# رسالة الترغيب والترهيب

## لشيخنا وشيخ الشيوخ ومعدن الثبات والرسوخ
## العالم العلامة المحقق المشارك الفهامة
## العارف بالله الإمام الرباني

## خليفة سيدنا ومولانا أبي العباس التجاني

## أبي عبد الله
## سيدي محمد العربي ابن سيدي إدريس العلمي اللحياني

**أمدنا الله من مدده العرفاني وأدام النفع به لمن يريد نيل الأماني**
**وسقانا من مشربه الصافي بأعظم الأواني وأبقاه بخير وعافية**
**آمين**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

**أحمدُ الله** الذي وفَّى الصابرين أجرهم بغير حساب، ووعدهم بالرضا والرضوان، وتوعَّد الملحدين المتسلطين تعسُّفا وتعنتا أليم العذاب، والخزي والسخط والطرد والخسران، وأصلي وأسلم على صاحب لواء الحمد والتاج، القائم بأعباء الرسالة صاحب المعراج، وعلى آله الوارثين منه المعارف والأسرار، وأصحابه الذين جاهدوا فيه إعلاءً لكلمة الله المنافقين والكفار، صلاة وسلاما يقيان قائلهما فتنة القبور، ويكونان له نورًا حال المرور على الصراط والعبور.

**وبعد** فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني الكبير، المعترف بالجهل والقصور والتقصير، محمد العربي بن إدريس بن محمد العلمي اللحياني، ثبَّته الله بالقول الثابت وزهده في الفاني: **هذه رسالة الترغيب والترهيب،** وضعتها بعد الاستخارة والتوقف، والتأنِّي والتخوُّف، تذكرة للبعيد والقريب، وتبصرة لمن يقف عليها ممن لا علم له من المغترين، وردعا لهم ونصرة لإخواننا المريدين، وغيرة على شيخنا القطب المكتوم، والبرزخ الأكبر والخليفة المعلوم، **مولانا أحمد** بن

مولانا مَحمَّد فتحا التجاني المضَوي، الجامع لشتات العلوم اللدنية والسِّر النبوي، ودفاعًا عن حوزة أهل الله الوهاب، المانح ما شاء من شاء من الأصفياء والأحباب، **وضمنتها** فصولا على حسب البضاعة، والقريحة الجامدة، فقلت مستعينا بالله الفتاح، متبريا من الحول والقوة مستمطرا منه أنداء النجاح:

## فصل في حقيقة الولي

والرد على أهل الزيغ والعناد، المشمرين لهتك حرمة شيخنا رضي الله عنه عن ساعد الاجتهاد، المنكرين لولايته وختميته جحودا، المزيفين لورده المحمدي جهلا بحقيقة الولي والأوراد، وخصوصا بعض من يزعم أنه من أولاد الصالحين أرباب الدنيا الذين لا يوفون ميثاقا ولا عهودا، مع إخلالهم بقواعد الدين، قد استغرقوا أوقاتهم في أكل لحوم أولياء الله الأمجاد إذ هم في حجاب عن الله، اتخذوا البدع سننا، وتركوا ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سرا وعلنا، ورفضوا الحقيقة والشريعة وأسبابهما، وركنوا إلى الجهل والغفلة وفتحوا أبوابهما، إن ذُكِّرُوا بالحقِّ أنفوا، وإن قدروا على من ذكَّرهم عنَّفوا.

قال اليدالي: وأما حقيقة الولي فهو العارف فهو العارف بالله تعالى وصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات.

وقال سيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي في الطرائف والتلائد: أصل الولي من الموالاة، وله معنى يعم كل مؤمن، وآخر يختصُّ بمنْ أخلص لله فَوَلَّاهُ أمره، وأخص منه من أَفَاض الله عليه ما فضَّله به على غيْرِه من أسرار ومعارف إلهية، أنار بها بصيرته حتى شاهد أسرار صنْعه، وكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت، وهي مرتبة جليلة. اهـ.

وقال في فرائد الفوائد نقلا عن الزياتي ما نصه: الولاية على قسمين صغرى وكبرى.

فالصغرى أن يتولى الله سبحانه عبده بالعكُوف على طاعته، ومنابذة أسباب سخطه، وامتثال المأمورات، واجتناب المنهيَّات، ومجاهدة ضبط الحواس، ومحاولة مراعاة الأنفاس.

والكبرى أن يتولى الله عبده وأن يمحُوَ عن قلبه ما سواه، ويجمعه عليه بحيث لا يرى إلا إياه، فلو حاول الالتفات لغيره لم يجد إلى ذلك سبيلا، بل لا يتصور ذلك في حقه، لأن الالتفات لشيء فرع الشعور به، ولا شعور له بغير مطلوبه ومرغوبه.

فأهل الولاية الكبرى يحصل هذا لجميعهم إن شاء الله تعالى، وأهل الولاية الصغرى قد يحصل ذلك لبعضهم لا لجميعهم. اهـ.

وقال سيدي محمد بن سيدي المختار: ولـه -أي للولي- مراتب، إلا أنه لا يشـترط أن تكـون لــه كرامــة، وهي تــدل على صــدق صــاحبها وفضيلته لا على أفضليته، ولا تجوز له مساكنتها ولا ملاحظتها فضلا عن الاغترار بها. اهـ.

وقال الشـيخ زروق في بعض شـروحه على الحكم بعــد كلام: فهي _يعــني الكرامة_ تــدل على اختصــــاص صــــاحبها لا على اســــتقامته، فيتعيَّن تعظيمه واحترامه لا تقديمه واتباعــه، إلا أن يظهر عليه كمال الاسـتقامة، وهي الاسـتواء في الحق ظـاهرًا وباطنًـا على منهج السَّـداد بلا علة. فهي إذًا توبة بلا إصـرار، وعمـل بلا فتـور، وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تـردد، واستسْـلام بلا منازعَة، وتفويض بلا تــدْبير، وتوكـل بلا وَهَن، مُلازمُها واصل قطعا، وهي الكرامة الحقيقيــة لا غيرها. اهـ.

وقال سيدي محمد بن سيدي المختار أيضـا بعد كلام ما نصه: فإن الولايـة طـور كمـال وراء نشأة العقـل، كمـا أن العقـل طـور كمـال وراء نشأة التمييز، والتميـيز طـور كمـال وراء نشـأة الحــواس. وكـان من طبـع النـاس إنكـار مـا لم يبلغوه وما لم ينـالوه، حـتى إن كـل واحـد منهم ينكر ما لم يشـاهده، ولا يـؤمن بمـا غـاب عنـه، فكــان من طبــاعهم إنكــار الولايــة وعجائبهــا، والنبــوءة وغرائبهــا. فلــو عــرض طــور العقــل وعالمــه ومــا يظهَــر فيــه من العجــائب على المميـز، لأنكـره وجحـده، وأحـال وجـوده، فمن

يؤمن بشيء لم يبلغْه فقد آمن بـالغيْب، وذلـك هـو مفتـاحُ السَّـعادات، ومعـراج الولايـات، كمـا قــالوا: الإيمــان بطريقنــا هــذه ولايــة، أي لأن الإيمان بالفتح لا يكون إلا عن فتح.

وقــال أيضــا: لم يخــل زمــان من ولي من أولياء الله تعالى يحفظ به البلاد والعباد، ويُجري على يديه الزوائـد والأمـداد، يتجلى عليـه طـورًا باسـمه الظـاهر فيظهـر بمعـاني الخصُوصـية، وطـــورا باســمه البـــاطن فيبطن تحت جلابيب البشرية، فيتحـرق ذلـك الحجـاب لعين الصَّـادق المبصِر، ويقِف دون ذلك الجلبابِ قـدَم المنكـر، فيقول ﴿**مَا هَذَا إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُـلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْـرَبُونَ**﴾. اهــ. بخ.

وقال سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه: وفي بعض الإشـارات عنـه سـبحانه: «أوليـاءي تحت فناءي لا يعـرفهم أحـد غيْـرِي»، وهـذا من غيرتـــه لأن الحـــق أغـــير على أوليائِه من أن يُظهـرَهُم إلى من لا يعـرفهم، فلم يجعَـل لأحـد عليهم دليلا إلا من حيث الــــدليل عليــــه، ولم يُوصـل إليهم إلا من أراد أن يوصـله إليـه، لأنـه يلبسهم لباسَ التلبيس بين الأنام، ويظهرهم بما يحقِّرهم في أعيُن الخواصِّ والعوام، فأنى يكون لأحد دليل عليهم، أو وصـول بسـبب إليهم. اهــ. بخ. مع زيادة ما بنقـل سـيدي محمـد بن محمـد الصغير رحمه الله في جيشه.

# فصل في شروط الولي على سبيل الاختصار والذَّب عن دائرة الولاية والانتصار.

قـال اليـدالي في فرائـد الفوائـد: وأمـا شروطه فأن يكون عارفا بأصـول الـدين حـتى يفـرق بين الخلـق والخـالق، وبين النـبي والمدَّعي، وأن يتحلى بالأخلاق المحمـودة الـتي يـدل عليهـا الشـرع كـالورع وامتثـال الأوامـر، والعقل وهو ما تثمره المعرفة، كعدم تعلقه بمـا سوى الله تعـالى خوفـا وطمعـا، لعلمـه حـدوث العالم وأنه في قبضته تعالى، وكـإخلاص العمـل لعلمه الوحدانيـة إذ الربوبيـة لا تحتمـل الشـركة في شـيء. وإذا علِم أن القـدر سـابق بمـا هـو كائن لم يخف فوت شيء مما قدر له، ولم يرْجُ نيل شيء مما لم يقـدَّر، وهـذا هـو المعَـبر عنـه بالرضا، ويرفق بالخلق ويصـفح عنـد إذايتهم لـه لعلمـه أنهم لا يسـتطيعون لأنفسـهم فضـلا عن غـيرهم دفـع ضـر ولا جلب نفـع، وأن يلازمـه الخوف أبدا. اهـ.

وقـال المسـناوي في رسـالته النصـرة نقلا عن الشـيخ سـيدي يوسف بن سـيدي محمـد الفاسي وابنه أبي العبَّاس رضـي اللـه عنهم: لا يشـترط في الشـيخ الهمـة، ولا يطلب فيـه من علم الظاهر عدا ما تقُومُ به فروض الأعيان، أي ما يحتـاجُ إليـه في خاصَّـة نفْسـه، ويحتـاج إليـه

المريد في سلوكه، إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها في السَّير والسُّلوك، وإلا لزم الحطُّ من مرتبة كثير من فحول الطريقة وأعلام الوجود، فقد كان كثير منهم غير متضلعين بعلوم الشريعة.

وأما علم الباطن فالمطلوب منه فيه التبحر التام، إذ هو المقصود بالذات منه لتسليك المريد وتعليمه علم الطريقة والحقيقة، فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه، ومِا يتبع ذلك ويتعلق به من الأحكام والحِكَم، وعلم بآفات الطريق ومكائد النفس والشيطان، وطريق المواجيد وتحقيق المقامات، قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان، وحصلت له مع ذلك قوة وتمكُّن من رفع الموانع وقطع العلائق الظاهرة والباطنة، وبصيرة نافذة يعرفُ بها قابليةَ أصحابه واستعدادهم، ليحمل كل أحد على شاكلة قابليته واستعداده.

قال: ومعنى الجمع بين الحقيقة والشريعة، أن يكون قد أشرق باطنه بأنوار اليقين، قائما بشعائر الدين، أي مجذوبا سالكا، لا أن معناه التغلغُل في علم الظاهر. اهـ.

ثم قال: والظاهر إنما تشترط الإحاطة بعلوم الشريعة كلها في الكمَّل من الأولياء كالأقطاب ونحوهم، كما هو صريح ما نقلناه عن الشعراني. اهـ بحذف وتقديم وتأخير وبعضه بالمعنى.

وقد يُطلِع الله تعالى أولياءه على خزائن من العلوم لو بيَّنوها لبَادرَ الناس لإنكارهم، وقد يكون عند أحدهم علم الأولين والآخرين ولم يطلع عليه أحد من خلق الله، لأنهم معادِن أسراره. فربما كان أحدُهم أميا لا يكتب ولا يقرأ، فيفتح الله عليه من العلوم والحِكَم ما تعجز عن الإحاطة بأقله عقول العلماء العاملين الذين أفنوا أعمارهم في طلبه وأحرى غيرهم. اهـ. بخ. نقله في فرائد الفوائد.

ثم قال: وخاصية الولي الحفظ من الكبيرة، ومن الإصرار على الصغيرة، كما أن خاصية النبي العصمة من التلبس بكبيرة أو صغيرة. اهـ.

وقال أبو يزيد: حظ النبي زقٌّ من عسَل، وما رشح منه فهو حظ الولي. اهـ.

وقال سيدي محمد بن سيدي المختار: فالولي لا يعرف إلا بتوصيل الحق تعالى له، وليس للأولياء حاجة عند أحد من الخلق حتى يتعرفوا إليه، لجمعيَّة قلوبهم على الحق سبحانه.

ثم قال: والولي لا يتعرفُ لغيره إلا لإحدى ثلاث خِلال: إمَّا أن يكون له معنى نسبة إلى المتعرَّف إليه من مريد أو نحوه؛ أو يكون مأذونا له في ذلك؛ أو يتعرف إليه مكرا بالمتعرَّف له والعياذ بالله، كأن يقصد بذلك إظهار ما في الباطن من الإنكار عليه، والاستخفاف بحقِّه، والاستهزاء بخصوصيته،

إقامة للحجَّة في المعرفة به، ولهم مقاصدُ معَ ربهم لا يطلع عليها الخلق. اهـ. بخ.

وقال بعض الأكابر: لا يعرفُ الولي إلا بنور يقذفُ في قلب المعتقد فيه. اهـ.

قال سيدي محمد ابن سيدي محمد الصغير في جيشه ما نصه: وبتمهيد هذا يظهر لك أن المبادرة بالإنكار على من ينتسبُ للولاية أمر عظيم، بل الحزم تركها وحسْم مادتها حتى يظهر ما يقتضي ذلك، ففي الحديث **«إِنَّ اللهَ أَخْفَى ثَلَاثًا فِي ثَلَاثٍ»**، وعد منها الولي في خلقه.

وقال في جذوة الأنوار: فأيما رجل تيقن خصوصيته يعني الولي ولم يتبعه ولم يوافقه على أقواله وأفعاله، فلا حجَّة له عند الله يوم القيامة، كما يشهد لذلك ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال **«الْوَلِيُّ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ»**، فكما يجبُ تصديق النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك يجب التصديق به، والاقتداء به، ومحبته، وإجلاله، لتمام متابعته لنبيه المقتبس من نور مشكاته، فالأنبياء حُجج الله، والأولياء أنصار الله. اهـ.

وقد يبلغ الجهل بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم، بما استحكم في قلوبهم من حصر الولاية وتحقيقها بالضوابط، فإذا عرض تلك الضوابط على كل موجود من أهل زمانه وجدها لا تطابقه فينفي عنه الولاية،

ويصير حاصله أنه يـؤمن بـولي لا وجـود لـه في الخارج، ولم يدر أن الولاية مجـرد اصـطفاء من الله تعـالى على عبـاده، ولا يقـدر على ضـبطها مخلوق من المخلوقين. اهـ. قاله اللمطي.

ورضـي اللـه تعـالى عن الشـعراني حيث يقـول في لطـائف المنن مـا نصـه: من النـاس فرقة صدَّقوا بكرامات الأولياء الذين ليسـوا في زمانهم وكـذَّبوا بأوليـاء زمـانهم، فهم كمـا قـال الشاذلي رضي اللـه عنـه: مـا هي إلا إسـرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صـلى اللـه عليـه وسلم.

# فصل في التنفير والتخويف والتحذير من الإنكار على ولي من أولياء الله العلي الكبير.

اعلم أنـه لا خفـاء إن الإنكـار على الأوليـاء والاعـتراض عليهم، والتكلم في أعراضـهم بمـا يؤدي إلى نقْصِ مراتبهم العلية إذايـة لهم، وفي إذايتهم خطـر عظيم على المـوذي لأنهم أبـواب رحمـة اللـه دنيـا وأخـرى، وعلى أيـديهم تـنزل الرحمـة من الـرحمن على كـل مرحـوم، وهم الوسائل ولولاهم لهلك الكل، إذ لـولا الواسـطة لـذهب الموسـوط كمـا قيـل، ومن آذى واحـدا منهم فقـد آذى الكـل، وفي ذلـك ذهـاب رأس

المال والربح، لأنه لا يشفع بشيخه الذي انتسب إليه أي وجده كذلك، بـل شـيخه يكـون أول من تـبرأ منـه أي وكـذا جـده لأنهم ورثـة الرسـل وللوارث مـا للمـوروث، ومن فـرَّق بين الرسـل وآمن ببعض وكفـــر ببعض طـــرد ولعن دنيـــا وأخــرى، قــال تعــالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُـرُونَ بِاللـهِ وَرُسُـلِهِ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يُفَرِّقُـوا بَيْنَ اللـــهِ وَرُسُـــلِهِ وَيَقُولُـــونَ نُـــؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُـرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يَتَّخِـذُوا بَيْنَ ذَلِــكَ سَـــبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَــافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ عَـذَابًا مُهِينًـا، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَـدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَـــوْفَ يُـــؤْتِيهِمْ أُجُـــورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾.

**إذا علم هـذا** علم مـا تـواتر وجـرى على الألسـنة قـديما وحـديثا، وهـو أن الإنكـار على الأوليـاء يكـون سـببا لسـوء الخاتمـة، لأن في إذايتهم إذاية الله جـل جلالـه، قـال تعـالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُـؤْذُونَ اللـهَ وَرَسُـولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فِي الــدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَأَعَـدَّ لَـــهُمْ عَـذَابًا مُهِينًا**﴾، كما في تبيين المحـارم الـذين يـؤذون أولياء الله.

وفي الحـــديث القدســـي: «**مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْـحَرْبِ**» كمـا في البخـاري وغـــيره، وفيـــه أيضـــا: «**مَنْ أَهَـــانَ وَلِيِّيَ الْــمُؤْمِنَ فَقَـدِ اسْـتَقْبَلَنِي بِالْــمُحَارَبَةِ**»

رواه أحمد. وفي حديث لمعاذ: «**وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللهِ فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ**»

فقوله «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**» أي اتخذه عدوا وإن لم يعاده الولي لحلم أو صفح ونحوهما، قاله اليدالي. قال: وقال النووي: آذنته أي أعلمتُه بإني محارب له، ومن حارب الله لا يفلحُ أبدا.

وقال السمهودي: وقوله «**بِالْحَرْبِ**»، وفي الرواية الأخرى «**بِالْمُحَارَبَةِ**»، بيانُ ذلك أن الحرب ينشأ عن العداوة، والعداوة تنشأ عن المخالفة، وغاية الحرب الهلاك، والله سبحانه لا يغلبُه غالب. فالمعنى: قد أعلمته بتعريضه أني أعمل به ما يعمله العدو والمحارب.

وفيه كما قال الفاكهاني تهديد شديد، لأن من حارب الله أهلكه. قال: وذلك أن من كره من أحبَّ الله فقد أظهر مخالفته، ومن أظهر مخالفته فقد عاداه، ومن عاداه فقد أهلكه. وقد جرت العادة بأن عدوَّ العدو صديق، وصديق العدو عدو، فعدوُّ ولي الله عدو الله، فمن عاداه كمن حاربه، ومن حاربه فكأنما حارب الله عز وجل.

قال: وإياك وموالاة من تجرَّأ على الإقدام على ما يُوجبُ عداوة الخالق وحربه، وهو الغالب الذي لا يُغلب، والقهَّار الذي لا قِبَل لأهل السموات والأرض بذرة من بلائه، ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها. فمن والى من تجرَّأ على ذلك كان من حزب محاربي

المولى عز وجل وأعدائه، فخفْ مقتَه وسوءَ عقابه فإنه تعالى أغير من خلقه. وقد ورد أن الله ينتقم لأوليائه ما لا ينتقم لنفسه.

وفي المواهب القدوسية: قال العلماء: لم يحارب الله عاصيًا إلا المنكر على الأولياء وآكل الربى، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة من سوء الخاتمة.

وقال الشعراني في لطائف المنن: وكان سيدي الخواص يقول: من اعتقد أنه ينال حظا من الله تعالى في الطريق مع مخالفته لطريقتهم وعدم الصفاء والمحبَّة فقد كذَب على الله تعالى في زعمه.

وقال: من آذى وليا، فقد خرج عن دائرة الشريعة. نسأل الله العافية.

وقال الشعراني رضي الله عنه: أجمع أهل الكشف أنه ما أنكر أحدٌ أمرًا إلا حُرِمَ ذلك الأمر. اهـ.

وقال في الرسالة: وبالجملة فكثرة البحث والجدال وعدم التسليم لكل شيء لا يخرق الإجماع تُعمي قلبَ العبد وتخرجه عن محل القُرب إلى محل الطرد. اهـ.

وكثيرا ما كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: الإنكار ركن عظيم من أركان الشرك والنفاق، لأن أصل الكفر عدم التصديق، فهو في حق النبي صلى الله عليه وسلم كفر، وفي حق التابع له صلى الله عليه وسلم نفاق، فللتابع حق كما للمتبوع حق، فالإنكار بالظن

والوهم كله مذموم، ولذلك طال الطريق إلى معرفة حضراته وحضرات أسمائه وصفاته على أهل الإنكار والجدال.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: ليس الكامل من الرجال من يوصل كل يوم ألفا من العوام، إنما الكامل من يوصل فقيها كثير الجدال في مائة عام.

ولا ينبغي الإنكار إلا على شخص خرق الإجماع بغير معتمد لا سيما إن اتبع على ما خرقه، وذلك لا يقع من ولي الله تعالى أبدا ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾. اهـ.

ومن قبائح كثير من الناس أنهم لا يوقرون أهل العلم، ولا يعرفون حقوقهم، وينكرون عليهم ما يرتكبون أضعافه. قاله في تبيين المحارم فانظره.

وفي طبقات الشعراني ما نصه: ومن كان شأنه الإنكار لا يشفع بأحد من أولياء الله تعالى في عصره وكفى بذلك خسرانا مبينا.

ثم قال أيضا: وإنما كان المعْترفُ للأولياء والعلماء بتخصيص الله تعالى لهم وعنايته بهم واصطفائه لهم قليلا في الناس لغلبة الجهل بطريقهم، واستيلاء الغفلة، وكراهة غالب الناس أن يكون لأحد عليهم شرفٌ بمنزلة أو اختصاص حسدًا من عند أنفسهم. اهـ.

وقال النخشبي: إذا أَلِفَ القلبُ الإعراض عن الله صحبَته الوقيعة في أولياء الله تعالى في عصره، وكفى بذلك خسرانا مبينًا. اهـ.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن أبي الدنيا: «**إِذَا أَعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ وَرَّثَهُ الْإِنْكَارَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَاتِ**». اهـ. فمن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى بموت القلب، فإن أعراض العلماء مسمومة. اهـ.

وقال في الطبقات: ولما كان العلماء والأولياء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام في (مقام) التأسي بهم انقسم الناس فريقين: فريق معتقد مصدِّق، وفريق منتقد مكذب، كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام، ليحقق الله تعالى بذلك (ميراثهم)، فلا يصدقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله تعالى أن يلحقه بهم ولو بعد حين، وأما المكذب لهم والمنكر عليهم فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بعدًا. اهـ.

وقال في الذهب الإبريز ما نصه: وسمعته رضي الله عنه يقول: إن الذين ألَّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء، فقد أضروا بهم كثيرا من حيث اقتصروا على ذكر الكرامات، ولم يذكروا شيئا من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات، حتى إن الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة، وتصرفا على تصرف، وكشفا على كشف، توهَّم أن الولي لا يعجز في أمر يطلب منه، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو

ظـاهرا، فيقـع في جهـل عظيم لأنـه يظن أن الولي موصـوف بوصـف من أوصـاف الربوبيـة، وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز، ويوصف بوصف من أوصاف النبوءة وهو العصمة. والأمر الأول من خصـائص الربوبيـة ولم يعطـه اللـه تعالى لرسله الكرام، فكيف بالأولياء، قـال اللـه تعالى لنبيه صلى الله عليـه وسـلم: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْـرِ شَـيْءٌ**﴾، وقــال تعـالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللـهَ يَهْـدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «**سَـأَلْتُ رَبِّي عَـــزَّ وَجَـــلَّ اثْنَيْنِ فَأَعْطَانِيهِمَــــا، وَسَأَلْتُهُ عَنِ اثْنَيْنِ فَمَنَعَنِيهِمَا، قَـالَ اللـهُ تَعَـالَى: ﴿قُـلْ هُـوَ الْقَـادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَـذَابًا مِنْ فَـوْقِكُمْ﴾، فَقُلْتُ أَعُـوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ، فَقَـالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فَقُلْتُ أَعُـــــــوذُ بِوَجْهِـكَ، فَقَـالَ قَـدْ فَعَلْتُ، فَقَـالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَـكُمْ شِـيَعًا﴾، فَقُلْتُ أَعُـوذُ بِوَجْهِـكَ فَقَـالَ سَـبَقَ الْقَضَـاءُ، فَقَـالَ: ﴿وَيُـذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِوَجْهِكَ فَقَالَ سَبَقَ الْقَضَاءُ**».

وقال تعالى في سـؤال نـوح نجـاة ابنـه من الغـرق: ﴿**وَنَـادَى نُـوحٌ رَبَّهُ فَقَـالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْـدَكَ الْـحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْـحَاكِمِينَ، قَـالَ يَـا نُـوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْـأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُـونَ**

**مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**، وقال تعالى: **﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾**. اهـ.

والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا فلم يستجب له، أو رأوا ولده على غير طريق، أو امرأته لا تتقي الله تعالى، قالوا ليس بولي، إذ لو كان وليا لاستجاب الله تعالى دعاءه، ولو كان وليا لأصلح أهل داره، ولا يظنون أن الولي يُصلح غيره وهو لا يقدر على إصلاح نفسه، قال الله تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

وأما الأمر الثاني وهو العصمة، فهو من خصائص النبوءة، والولاية لا تزاحم النبوءة.

قال رضي الله عنه: والخير الذي يظهر على يد الولي إنما هو من بركته عليه الصلاة والسلام، إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم. أما ذات الولي، فهي كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جُبلوا على العصمة وفُطروا على معرفة الله تعالى وتقواه، بحيث إنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه ولا إلى مُعلم يستفيدون منه، والحق الساكن في ذواتهم وحرف النبوءة الذي

طبعوا عليه يسلك بهم المنهج القويم والطريق المستقيم.

قال رضي الله عنه: ولو أن الناس الذين ألفوا في الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية، لعلم الناس الأولياء على الحقيقة، فيعلمون أن الولي يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له، ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لا يقضى، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويزيد الولي بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه، وتارة تظهر المخالفة عليهم كسائر الناس، وإنما امتاز فرق الولي منهم بأمر واحد، وهو ما خصَّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات، ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه فإنما هي بحسب ما يظهر لنا لا في الحقيقة، لأن المشاهدة التي (هو) فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعا لا ينتهي إلى حد العصمة حتى تزاحم الولاية النبوءة، فإن العصمة ذاتية في الأنبياء وعرضية في الأولياء، فيمكن والهٌ؟ (زواله) في الأولياء ولا يمكن والهٌ؟ (زواله) في الأنبياء. وسره ما سبق وهو أن خير الأنبياء من ذواتهم، وخير الأولياء من غير ذواتهم. فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صورية غير حقيقية قصد بها امتحان من شاهدها واختباره،

ولذلك أسرار. فنطلب من الله تعالى أن يوفقنا للإيمـان بأوليائـه، كمـا وفقنـا للإيمـان بأنبيائـه عليهم الصلاة والسلام.

قال رضي الله عنه: ومن علم سيرة النـبي صلى الله عليه وسلم في أكله وشـربه، ونومـه ويقظته، وجميع أحوالـه في بيتـه، وعلم سـيرته في حروبه وغزواته، وكيف يُدال له مرة ويُـدال عليه أخرى، وكيف يطلب منـه أنـاس قومـا من أصـحابه ثم يـذهبون ويغـدرون بهم، كمـا في غزوة الرجيع وغزوة بـئر معونـة، وعلم مـا وقـع في قصة الحديبيـة وغيرهـا، ولكـل ذلـك أسـرار ربانية أطلع اللـه تعـالى عليهـا نبينـا صـلى اللـه عليـه وسـلم، هـانتْ عليـه معرفـة الأوليـاء ولا يسـتكثر مـا يـراه على ظـاهرهم من الأمـور الفانيـة والأوصـاف البشـرية، واللـه تعـالى الموفق.

ثم قال: وسمعته رضي الله عنـه يقـول: إن الرجل قد يسمع بالولي في بلاد بعيدة، فيصوره في نفسه على صـورة تطـابق الكرامـات الـتي تنقل عنه، فإذا وجده على (غـير) تلـك الصـورة التي سبقت في ذهنه وقع لـه الشـك في كونـه هو ذلك الولي.

ثم قال بعد حكايـة حكاهـا في هـذا المقـام عن شـيخه، قلت: وكم واحـد سـقط من هـذا السـبب، فإنـه إذا طـالع الكتب المؤلفـة في كرامات الأولياء صوَّر الولي على نحو ما يسـمعُ في الكتب، فإذا عرض تلك الصورة على أوليـاء

زمانه شك فيهم أجمعين، لما يشهد فيهم من الأوصاف التي لا تكتَب في الكتب، ولو أنه شاهد الأولياء الذين دونت كراماتهم قبل تدوينها لوجد فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه. وقد يبلغ الجهل بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم، لما استحكم في عقولهم من حصر الولاية وتحقيقها بالضوابط، فإذا نزَّل تلك الضوابط على الموجود من أهل زمانه وجدها لا تطابقه، فينفي الولاية عنه، ويصير حاله أنه يؤمن بولي لا وجود له في الخارج، ولم يدر أن الولاية هي مجرد اصطفاء من الله تعالى لعبده، ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقات.

وقد وقع لبعض الفقهاء من أهل العصر هنا حكاية في هذا المعنى، وذلك أنه أتاني ببعض كتب القوم وهو يذكر فيه شروط الولاية وضوابطها، وكيف ينبغي أن يكون الولي الذي يشيخ، فقال لي: أردت منكم أن تسمعوا مني ما ذكره هذا الكتاب في الولاية وشروط الولي.

وقد فهمت إشارته، وأنه أراد الإنكار على بعض من يشار إليه بالولاية، فأراد أن يقرأ عليّ ما في ذلك الكتاب فإذا سلمتُ ألزمني ما في باطنه من الإنكار والاعتراض على أولياء الله تعالى، فقلت له: لا تقرأ علي ما في الكتاب حتى تجيبني عن سؤال، فإذا أجبتني عنه فاقرأ ما شئت، أخبرني عن مؤلف هذا الكتاب هل أحاط بخزائن الله تعالى وعطائه وملكه، أو هو

كما قال الخضر لموسى عليهما السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر، فإذا قلتم أحاط بملك الله وخزائنه فقولوه حتى أسمعه منكم. فقال: معاذ الله أن نقول ذلك. فقلت: وإن قلتم كما قال الخضر لموسى عليهما السلام فالسكوت خير له، فإن مثاله كنملة لها غُوير صغير تأوي إليه وتسكن فيه، فخرجت منه فوجدت حبة قمح ففرحت بها وأدخلتها في مسكنها، وحملها الفرح على أن صارت تصيح وتنادي يا جميع النمل لا مأوى إلا ما عندي ولا خير إلا ما أنا فيه. فقلت له: إنها تتعب حلقها وتوجع رأسها بلا فائدة، فإن من علمه من علم الله كنقرة العصفور من البحر كيف يصح منه أن يقطع على المولى الكريم ويقول إنه لا يرحم هذا، ولا يفتح على هذا، وليس هذا من الأولياء، وضوابط الولاية لا تصدق على هذا ولا تطابقه، وإذا كان الله تعالى يرحم العبد وهو على الكفر فيعطيه الإيمان ثم يفتح عليه من ساعته، فأي قاعدة تبقى للولاية حينئذ، وإذا قيل لك عن السلطان الحادث العاجز المولَّى على الناس أنه أغنى عبده الفلاني ومنع الحر الفلاني وخلع على اليهودي الفلاني كذا وكذا، فإنك لا تستبعده لأنك تعتقد أنه لا منازع له في ملكه، وإذا كنت تعتقد هذا في الملك الحادث فكيف تمنع الملك القديم سبحانه من ذلك بضوابطك وقواعدك، وإنك تعتقد أنه ﴿فَعَّالٌ لِمَا

يُرِيدُ﴾ وأنه ﴿غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾. فقال الفقيه: هذا الذي قلتم صوابٌ، واللهِ إنه لحق. وطوى كتابه وقال: إن قلنا إن هؤلاء المؤلفين أحاطوا بعلم الله فبئس ما قلنا، وإن قلنا إنهم لم يحيطوا بالنزر منه فلا ينبغي لنا أن نحجر على الله بقواعدهم، فلو سكتوا لكان خيرًا لهم، والمهدي من هداه الله، وكم من مهدي هدي قبل أن تكون هذه القواعد والضوابط، والله الموفق.

ثم قال: ووقعت لي مناظرة أخرى مع بعض الفقراء المنتسبين إلى خدمة الصالحين رضي الله تعالى عنهم، وذلك أني كنت أنا وهو نختلف إلى بعض الأولياء كثيرا، فلما مات ذلك الولي، اختلفتُ إلى ولي آخر وبقي هو في زاوية الأول، فلقيني ذات يوم وقال: أردت نصيحتك يا فلان. فقلت: حبا وكرامة، وعلى الرأس والعين. وقد فهمتُ مراده. فقال: إنك كنت أولا مع سيدي فلان وكانت ولايته لا يشك فيها اثنان، وقد ذهبت اليوم إلى غيره، فأنت بمثابة من ترك الجواهر واليواقيت واستبدلها بالأحجار. فقلت: أنت تتكلم عن بصيرة أو عن غير بصيرة؟ فإن كان كلامك عن بصيرة فاذكرها لنا حتى نذكر لك ما عندنا، وإن كان عن غير بصيرة فاذكر دليله. فقال لي: ظاهر مثل الشمس. فقلتُ له: فإن قال لك قائل إن كلامك هذا يبعدك من الله تعالى ويقربك من الشيطان فقلتَ له فما دليلك فقال لك ظاهر

مثل الشمس، فبم تجيبه؟ فسكت ولم يدرْ ما يقول، ثم قلت له: إني فكرتُ في دليلك وجُلْتُ بخاطري في برهانك فلم أجد لك دليلا إلا أمرا واحدا. فقال: ما هو؟ فقلت: إنك تزعم أنك شريك لله تعالى في ملكه بحيث لا يُعطي شيئا ولا يفتح على أحد إلا بإذنك، والفتح على الرجل الذي تنكر عليه لم يقع بإذنك ولا يقدر الله تعالى على إعطائه إلا بإذنك، فمن هذا الطريق يتهيأ لك الإنكار على عباد الله الصالحين، ولو كنت تعتقد أن الله تعالى لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في عطائه، لسلمت لعباد الله ما أعطاهم ربهم عز وجل من الخيرات. فقال الفقير: إني تائب إلى الله تعالى، الحقُّ ما تقول، والله ما نحن إلا فضوليون وما كنا ننكر إلا بالباطل، والله سبحانه وتعالى الموفق.

نعم ولغرابة علم الطريق في هذا الزمان تجد الكثير من أهل العلم وبعض المتصوفة وغيرهم من المتصلحين ينكر وجودها، بل لا يدرون لها حقيقة أصلا والأمر لله. ومن هذه الحيثية أي من حيث ما عم في الوقت من الجهل بعلم الطريق كبر في صدور كثير من الناس أمر طريقنا هذه المحمدية حتى ادعوا أنها لا شيخ لها ولا إمام فلم يهتد إليها إلا من سبقت له العناية الأزلية لا غير. اهـ.

على أن الولاية أمر خارج عن دائرة العقل والتخمين، وأن الأولياء تخفى حقائقهم وما امتازوا من العلم بالله في بواطنهم على

بعضهم بعضا فضلا عن غيرهم، فلهذا كان لا يصل إليهم إلا من جذبته جواذب العناية الإلهية، وقادته نحوهم أزمَّة الخصوصية الربانية، لأن الولي إذا كان لا يعرف حقيقته ولي مثله فكيف يعترض عليه من ليس له قدم فيها؟. اهـ. بخ.

## فصل في حقيقة الأوراد وأخذها وأصلها وأحكامها

**أما حقيقتها** فهو عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ، فمن بجَّل المشايخ وحافظ على العقود، ووفَّى بالعهود، كان له خير الدارين؛ ومن تهاون بالمشايخ وفرط في العقود والعهود، كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينته، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾، ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾، ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾. وهذه الآيات الثلاث هي أصول الأوراد من لدن زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

**وأما أصل أخذ الأوراد وأحكامها** فالبيعة الإسلامية كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾، وقال عليه السلام: «**مَنْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ بَيْعَةٍ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، ومن هذا الحديث

استنبط مشايخ السلف قـولهم: من لا شـيخ لـه فالشـيطان شـيخه، وقـولهم: من لم يمت تحت بيعة شيخ مات ميتة جاهلية.

فأخــذ من هــذا وجــوب الأوراد ووجــوب المحافظة عليهما بالنص. اهـ. بخ. من الكـوكب الوقاد أيضا.

وقال ابنه سيدي محمـد في بعض رسـائله: إقامـة الـورد في وقتـه عنـد إمكانـه لازم لكـل صادق، فإذا عارضه عارض أو واجب لزم إنفاذه وتعيَّن تداركه لمثله لئلا يعتاد البطالة. اهـ. بخ.

وقال في عدة الحصن الحصـين: ومن كـان لـه ورد معلـوم فليتداركـه مـا أمكنـه ليعتـاد الملازمة عليه. اهـ.

وقــال في الكــوكب الوقــاد: حكم أوراد السلف حكم الفـرائض، لأنهـا فـرائض بـالالتزام والعهود والنذر، فتجب أعادتها كالفريضة. اهـ.

وقـال ابنـه سـيدي محمـد في الطرائـف والتلائد: أوجبوا على المريد تدارك مـا فاتـه من أوراده ووظائفـه، وعـدم مسـامحة نفسـه في فوات ملزوم ما، مع أن مـا يأخـذون من الأوراد المسلسـلة الإسـناد يأخذونـه على جهـة النـذر والالـتزام، ولا قائـل بعـدم قضـاء الالتزامـات النذرية شريعة وحقيقة. اهـ. بخ.

أما الفقيه المنصف فيقـول هـذا نـذر يتعيَّن قضـاؤه، وأمـا الصـوفي فيقـول الصـوفي ابن وقته، فليس له تأخير العبادة عن وقتهـا، ووقت الفائتـة ذكرهـا، قـال تعـالى ﴿**وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ**

**لِـذِكْرِي**، ولهم في ذلـك أصـل راسـخ وفـرع شامخ، هذا حديث عائشة رضي اللـه عنهـا كمـا لمسـلم، أن أبـا سـلمة سـألها عن السـجدتين اللـتين يصـليهما بعـد العصـر، فقـالت: «كـان يصليهما قبـل العصـر فشـغِل عنهمـا ونسـيهما، فصـلاهما بعـد العصـر، ثم أثبتهمـا» يعـني داوم عليهما. اهـ. المراد بخ.

قـال صـاحب الجيش: قلت: مـا تقـدَّم من وجوب القضاء إنما هو في الأوراد المأخوذة من الأشـياخ على وجـه الالـتزام. وأمـا مـا اتخـذه الإنسـان وردا لنفسـه فحكمـه مـا أشـار إليـه سـيدي عبد الله بن الحـاج إبـراهيم رضـي اللـه عنه في رشد الغافل بقوله:

وفعله لغيْر راء للقضا = إن فات دون قصدٍ ذاك مُرتضَى

قال في شرحه: يعني أن الذكر الذي اتخذه الإنسان وردا له أوقات معروفة وفاته في وقتـه المعروف لعذر أو لغير عذر يُرتضى، ويطلبُ له فعله دون قصد أي نية القضاء لئلا تألف النَّفس البطالـة، ولئلا يكـون عملهـا بـالأمس أكـثر من عملها اليوم. هذا إذا كان لا يـرى القـول بقضـاء النَّوافـل، أمـا إن راعى القـول بقضـاء النوافـل فإنه يطلبُ منه فعله ولو بنية القضاء.

وقضاء النوافل فيه ثلاثة أقـوال في مـذهب مالك: قول بالقضاء مطلقا، وقول بعدم القضاء مطلقا، وقول بقضاء الفجر وحـدها، وهـو الـذي مشى عليه خليل رحمه الله تعالى.

# فصل فيمن تختص به الأوراد الموظَّفة وفضيلتها وما جاء فيها

ففي الأجوبة الناصرية ما نصه: ذكر الله تعالى على اختلافه حسن، ولكن لا تتَّخذ منه وظيفة رابتة إلا بإذن شيخ، وكذلك أحزاب السادات، ومن اتخذ وردا بغير إذن فهو غار مغرور، والذي تشترك الناس في منفعته التهليل، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أوراد الأولياء تكون لبعض الناس منفعة ولبعضهم مضرة. اهـ.

**فَفِي** الخبر **«مَنْ كَانَ عَلَى وِرْدٍ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ أَوْ غَيْرِهِمَا فَمَنَعَهُ مِنْهُ مَرَضٌ أَوْ هَرَمٌ أَوْ سَفَرٌ كُتِبَ لَهُ الْأَجْرُ تَامًّا»** أخرجه الطبراني في الكبير.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **«أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»**، وفي رواية **«مَا كَانَ دِيمَةً وَإِنْ قَلَّ»** أخرجه البخاري.

وفي بهجة النفوس لابن أبي جمرة رحمه الله: الشأن في العبادة الدوام والصبر عليها، قال تعالى ﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾، معناه اصبر

على عبادةِ ربك، ولذلك كان عليه السلام إذا عَمِلَ عملًا أثبته ودامَ عليه. اهـ.

وفي الأجوبة الناصرية في العمل الذي دام عليه صاحبُه ما نصه: إذا عَمِلَ في اليوم حسنة واحدة يكتبُ له بها عشر حسنات، وإن عملها في اليوم الثاني يكتبُ له بها عشرون حسنة، وإن عملها في اليوم الثالث يكتب له بها أربعون، ثم كذلك إلى آخر عمله. وإن تركها يوما أو يومين ولم يقضها ثم رجع إلى عمله فكأنما بدأه أولا. اهـ.

وقال ابن عباد: قال أبو طالب المكي رضي الله عنه: مُداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العارفين. وهي مزيد الإيمان، وعلامة الإيقان. اهـ.

وقال الشيخ المختار الكنتي رحمه الله تعالى: ملازمة الخير ملازمة الخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتا كمن لازم يوما كاملا ثم انقطع. فدوموا على السَّيْر إلى الله تعالى بذكره لا سيما الورد المأثور المسند، فإن له بركة وخاصية لا تكون لغيره من الأذكار المرتجلة التي اتخذها المريد لنفسه وِرْدا، عسى بعد المشي الركوب مع الجماعة، وبعده الجدُّ في السير، وبعده سرعة المطار، وبعد الطيران السيران. فالباب مفتوح، والجود ممنوح.

وقال أيضا: لا تزهد في الأوراد، فإن على قدر الأوراد تكون الواردات. والواردات هي الهواتف الربانية التي تأتي أرباب القلوب بالعلوم والفتوحات والأسرار والغيوب. اهـ.

وفي الحكم العطائية: لا يستحْقِر الوردَ إلا جهول، الوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار. وأوْلى ما يعتنى به ما لا يخلفُ وجوده. ثم الورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبُه منه. فأين ما هو طالبُهُ منك مما هو مَطلبُك منه. اهـ.

قال ابن عباد: الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة، والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة. هـ.

## فصل في بيان حقيقة وردنا التجاني ومبناه

ليعلم المنتقد أن انتقاده أوقعه في جرف هار انهار به في نار جهنم القطيعة وبئس مثواه.

اعلم أن الخلافة إرث النبوءة لا تنقطع ما دام حبل الله ممتدا، والقائم لها موجودا بنسبة التوارث سلفا عن خلف، وهي نصب قائم بأعباء الرسالة وآداب النبوءة بشروطها وآدابها،

ومن ثم قُصِر اسم الخلافة على الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم.

فلمَّا انقضت مدتهم تعدَّد الوارثُ بتعدُّد المورُوث. فورث الولاة الحرب، والفقهاء الأقضية، والمتصوفة الكرامة والحال والسمت والمقام، والعلوم اللدنية والفتح والإلهام. فانقسمت بحسب الواقع إلى ظاهرة وباطنة: فالظاهرة للفقهاء والأمراء، والباطنة للعلماء العاملين والأولياء. فللأمراء بيعة وشروط مسطورة في كتب الفقه، وللأولياء عهود وربوط، فعهود الأولياء وربوطهم مبنيَّة على البيعة النبوية، وهي ما أخرجه البخاري عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا**» إلخ الحديث. ثُم البيعة من البيع بدليل قوله «**بَايِعُونِي**»، ولم يقل: عاهدوني.

وفائدتها في الظاهرة جمع كلمة المسلمين لأنه إذا دار الأمر على واحد كان أجمع وأعظم للفائدة وأنكا للعدو وأكثر إقامة لأحكام الله وحدوده، ولهذا قال عليه السلام: «**يَزَعُ اللهُ تَعَالَى بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ**» وأمر بحفظ البيعة وإن كان المبايع أسود ذا زبيبتين.

وأمَّا في الباطنة ففائِدتها التمكن من الاجتماع المحَصِّل لثلاثة أمور هي عمدة هذه الطريق: التعاون على البر والتَّقوى، وإشادة

منار الدين برسم الاجتماع على سائس خلفا من رسولهم الداعي إلى الله تعالى بإذنه، مع استشعار قوله صلى الله عليه وسلم **«ألَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ»**، فعمَّم في الشاهدِ والغائب، فكان من شهِد مجلسَهُ ذلك شاهدا مُطالبا بالتَّبليغ، ومن كان عن ذلك المجلس غائبا مطالبا بقبُول المبلِّغ إليه والاذعان. ثم هذا المبلغ الغائب شاهد بالنسبة لمن لم يحصُل له لُقِيُّ الصَّحابي الشاهد، ثم كذلك إلى هلمَّ جرا. ثالثها ما يحصُل بالاجتماع من عوْد بركة الكامل على الناقص، والمردود على المطرود.

ثم المقصود الأهم بالأصالة بيعة رب العزة جل جلاله، وبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم النيابة عنها بشهادة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾. ثم كذلك كل بيعة لاحقة هي واسطة للبيعة التي قبلها إلى البيعة الإلهية.

ثم احتيج إلى تجديد البيعة النبوية كلما تجدد عصر وفات قائم بتأديتها بنحو ما أرشدنا إليه الشارع وخلفاؤه القائمون بعده، فعلى المبايِع أن يشهد المبايَع بالفتح نائبا عن نبيه الكريم، وهو نائب عن ربه الرءوف الرحيم، وعلى المبايَع بالفتح تقوى الله فيما كلفَه وتوفية كل ذي حق حقه، مع بذل المجهود في أداء النصيحة لمن استخلفه الله تعالى عليه كما هو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة

خلفائه. ثمَّ إن معاملة كل أحد للخليفة والنـائب هي معاملـة للمسـتخلِف والمـنيب، كمـا أن المعاملـة معـه صلى اللـه عليـه وسـلم نفس المعاملة مـع رب العـزة بشـهادة قولـه تعـالى: **﴿قُــلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللــهَ فَــاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللــهُ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُــوبَكُمْ﴾** أي دعواكم المحبة لله عز وجـل مـع عـدم محبـتي التي ثمرتها اتباعي فيما بلغتكم عنه زور، إذ لـو أحببتم المتوسِّـط إليـه لأحببتُم الواسـطة، ولـو اتبعتم مـا جئت بـه إليكم لصـدق حبكم للـه فأحبكم الله وغفر ذنوبكم وأزال عنكم ذنوبكم.

ثم لا خفـاء أن من خـرج عن بيعـة مقـدم الخليفـة أو الشـيخ فهـو خـارج عن بيعتـه، إذ لا فرق بين الخروج عنه في حضوره وغيبته. ثم لا حجر على المشـايخ في التقـديم والنيابـة، فمن قـدَّموه وجب على أتبـاعهم احترامـه واتباعـه، وهم في ذلـك مقتـدون بالصـحابة رضـوان اللـه عليهم، بـل كـانوا قلبـا على طاعــة أبي بكـر وتعظيمـه، ثم كـذلك في عمـر، ثم في عثمـان رضي الله عنهم. وقد كان المشايخ رضـي اللـه عنهم يقـدمون على مَن بَعُـد عنهم في أطـراف البلاد من أتبــاعهم من يختارونــه لإرشــادهم وحفــظ أحــوالهم وضــبط قــوانين آدابهم ومعاملاتهم، لتعذُّر مراجَعتهم للشـيخ في غـالب الأوقات، فيتـأدَّبون مـع المقـدَّم بـآداب الشـيخ، ويطيعونه طاعته، ويحترمونه احترامه.

ثم النَّفع بصحبة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم مقصور على شهود وساطته إلى الله عز وجل، وكون اتباعه وسيلة إلى معرفته عز وجل ومحبته والقرب منه، ثم كذلك في الخلفـاء من بعـده إلى هلم جـرا، فمن لم يحصـل لـه هـذا الشهود فلا نصيب له في الانتفاع.

ولا يجـوز للمبـايِع بالكسـر أن ينقض البيعـة ويتركها، ولا وجـه لفعلـه ولا عـذر لـه عنـد اللـه تعالى عند أهل الطريق، ولا يُستدل بمثل قضية الشيخ زروق مـع شـيخه الزيتـوني والحضـرمي رضي الله عنهم، فإن الناس قد نصُّوا على أنهـا من باب غرَّ وسلم، والذي تقرر عندنا هـو قـول إمام هذه الطريقة الشيخ الكبـير محيـي الـدين ابن عربي الحـاتمي رضـي اللـه عنـه، ونص مـا ذكره في كتاب التجليات له: المبـايعون ثلاثـةك الرسـل والأشـياخ والسـلاطين، والمبـايَع في الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد وهو الله تعـالى، وهـؤلاء شـهداء اللـه تعـالى على بيعـة هـؤلاء الأتباع.

إلى أن قال بعد ذكـر شـروط المبـايَع فتحـا وكسـرا: والبيعـة لازمـة لهم حـتى يلقـون اللـه تعـالى، ومن نكث من هـؤلاء الأتبـاع فحسـبه جهنم خالدين فيها، ولا يكلمهم الله يوم القيامـة ولا يـزكيهم، ولهم عـذاب أليم. هـذا حظـه في الآخرة، وأما في الـدنيا فقـد قـال أبـو يزيـد في حق تلميذه لما خالفه دَعوا مَنْ سـقَط من عين الله تعالى، فرئي بعـد ذلـك من المخنـثين. هـذا

لما نكث، أين هذا ممن وفَّى بعهد الله تعالى مثل تلميذ أبي سليمان الداراني رضي الله عنه الذي قال له: ألقِ نفسك في الشرر، فألقى نفسه فيه بلا توقف فعاد عليه بردا وسلاما، هذه نفحة الوفاء. اهـ من الكتاب المذكور بواسطة، وفيه الكفاية في هذا الباب.

# فصل وأما حقيقة هذا الورد التجاني

فهي قائمة من ثلاثة أذكار: ذكر الاستغفار، وذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر التهليل.

وهذه الأذكار الثلاثة هي أنسب الأذكار للمريد المعتني بعلاج نفسه، والخروج عن عالم حسِّه. لأن المريد مقبل من طريق المخالفة إلى طريق الموافقة. فالاستغفار مناسب له لأن له اختصاصا بمحو الأوزار والذنوب، وطالب لوجود العزم من نفسه على القيام بوظائف الشريعة.

فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لها اختصاص في تيسير القيام في اتباع سبيله،

لأنها تؤدي إلى رسوخ تعظيمه في النفس وثبوت محبته، ويعرض عن الخلق تعويلا على الواحد الحق.

فذكر التهليل فيه اختصاص بطرد الهموم وتصييرها هما واحدا للواحد الحق.

أمَّا الأوَّلان: فلا بد لكل سالك منهما في كل منزل من مقامات الدين، وإن كان الاستغفار خاصا بمنزل التوبة، والصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بمنزل الاستقامة، فإن لكل واحد منهما تأثيرًا في غير منزله الخاص. فالاستغفار يُهيئ محلا طاهرا لوارد الذكر، والصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم نور تنقشِع به ظُلم الباطن، وبها يُتوسَّل إلى نيْل المطلوب. ففي الحديث «**مَا مِنْ دُعَاءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، فَإِذَا صُلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْخَرَقَ الْحِجَابُ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ**».

ونعني بمقامات الدين مقامَ الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان. وفي كل واحد من هذه المقامات ثلاثة منازل:

ففي مقام الإسلام: منزل التوبة، ثم منزل الاستقامة، ثم منزل التقوى.

وفي مقام الإيمان: منزل الإخلاص، ثم منزل الصدق، ثم منزل الطمأنينة.

وفي مقام الإحسان: منزل المراقبة، ثم منزل المشاهدة، ثم منزل المعرفة.

ولكل مقام بداية وتمكين ونهاية، ولا مطمع في النهايات إلا بصحيح البدايات. فلا معرفة لمن لا مشاهدة له، ولا مشاهدة لمن لا مراقبة له، ولا مراقبة لمن لا طمأنينة له، ولا طمأنينة لمن لا صدق له، ولا صدق لمن لا إخلاص له، ولا إخلاص لمن لا تقوى له، ولا تقوى لمن لا استقامة له، ولا استقامة لمن لا توبة له. ونهاية كل مقام نتيجة بدايته وتمكينه.

وأما ذكر التَّهليل: فإنه وإن كان خاصا بمنزل التقوى فهو الذي يحرك إلى التوحيد الذَّوقي. ويعنون بالذوقي ما يُنيل ذوق مبادئ أسْرَار التوحيد ليخرجَ من معرة التقليد، وليرقَى عن شعب النظر والاستدلال إلى اليقين الذي لا يسَع معه تردُّد ولا تلجْلجٌ.

لأن أقسام التوحيد ثلاثة:

-تقليدي، وهو ما يقي من الشرك الأعظم.

-ونظري، وهو ما يحصل اليقين عن النظر في المخلوقات والمصنوعات والمحدثات، فيستدل بها على الصانع والخالق والقديم.

-وذوقي وهو ما ذكرناه.

**وأما أصول هذه الأذكار الثلاثة**، فاعلم أنها ثابتة في الكتاب والسنة.

أما ذكر الاستغفار فدليله من القرآن قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ ونحوه.

ومن السنة ما أخرجه أبو داوود والنساءي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**». وأخرج أبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

وأما ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فدليله من القرآن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ الآية.

ومن السنة ما أخرجه النسائي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**».

وأما ذكر التهليل فدليله من القرآن قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾.

ومن السنة ما خرجه مالك بن أنس رضي الله عنه عن طلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أَفْضَلُ مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». وخَرَّج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ**

**السَّـــمَاءِ حَتَّى تُفْضِــيَ إِلَى السَّـــمَاءِ مَــا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»**. إلى غير هذا. اهـ.

وفيما ذكرتُ الشفاء إن شاء الله تعالى.

## فصل

قال الساحلي: الحكمة في لـزوم طـرفي النهار -يعني للذاكر ورده- هـو أن الإنسان إذا هبَّ من نومه كأنه مُقبل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، والنفس ميَّالة إلى مقتضيات عالم الشهادة، فإذا استقبلها بالذكر في أول أمرها أثَّر فيها معناه، ميلًا إلى جنَبَة الخير، فكان من مقتضى الذكر حامل يحملها على الخير أثناء تصرُّفاته في سائر يومه، وكان لها من ذلك وازعٌ يزعُهَا عن الشر، وإن لم يكن ذلك متصلا فقد يكون غالبا، وإن لم يكن غالبا فقد يكون متفقدا بحسب حال الذاكر. فإذا تمَّ النهار وأقبل الليل، لم يخل من تضييع وتفريط وغفلة بطول النهار، ربما مَحَتْ من النفس ما ارتُسِمَ فيها من ذكر الغداة أو بعضه، فكان لها من ذكر العشية تثبيت لما امتحى وزيادة في مادة ما بقي، مع ما في ذلك من تقديم وسيلة بين يدي خروجه من عالم الحس وورُوده على عالم الغيب بالنوم الذي يمكن أن يتوفَّاه الله سبحانه فيه.

وفي العهود المحمدية: والسر في اشتغال العبد بالله تعالى في هذين الوقتين كون ذلك عقب تجلي الحق تعالى، وغالب الناس يقنع بما وقع له من مدد تجلي الثلث الأخير من الليل، وتجلي جميع القلوب على الحق تعالى في صلاة العصر مأخوذ من الضم كعصر الثوب من الماء، فإذا فارق أهل الله تعالى ذلك التجلي حصل لهم زيادة شوق إلى الله تعالى حين أرخى بينه وبينهم الحجب بعد فراغ التجلي كما كان الأمر قبل التجلي، فلما كان من الناس من ينسى الله تعالى بعد التجلي غار أهل الله تعالى من غفلة الناس عن ربهم فلذلك خص القوم تبعا للشارع هذين الوقتين بمجالس الذكر والخير، لكون ذلك يذكر الناس بالله تعالى.

قال: وسمعت سيدي عليا الخوَّاص يقول: يفرق الله تعالى الأرزاق المحسوسة التي هي قوت الأجسام بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس كرمح، ويفرق الأرزاق المعنوية التي هي قوت الأرواح من بعد صلاة العصر إلى الغروب. اهـ.

قال سيدي مُحمد بن محمد الصغير في جيشه: قلتُ: لعله يعني والله أعلم بالتجلي في الثلث الأخير من الليل ما ورد في الصحيحين: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ»** إلخ، ولعله خصَّ العصر دون غيرها بتجلي القلوب لمزيد

اختصاصها على غيرها، إذ قال في العهود المحمدية إنها هي الصلاة الوسطى بإجماع أهل الكشف، فانظره. انتهى

# فصل
# في ذكر سند هذا الورد الشريف
# وفضله المنيف

كما أخبر به شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا بعين الوجود في حماه، عن سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقال: «أخذنا عن مشايخ عدة، فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود، وإنما سندنا وأستاذنا في هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه، ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرُّف».

وقال أيضا: «سندنا في الورد المعلوم النبي صلى الله عليه وسلم، وأما المسبعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري رضي الله عنه، وهو أخذ عن الخضر مشافهة. وأما أحزاب الشاذلي، ووظيفة الشيخ زروق، ودلائل الخيرات، والدور الأعلى، فكلها أخذنا الإجازة فيها عن شيخنا

سيدي محمد بن عبد الكريم السمَّان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام».

وأما فضله فقد قال رضي الله عنه وأرضاه: «أخبرنا سيد الوجود يقظة لا مناما قال لي **«أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان»**.

إلى أن قال: «وسألته صلى الله عليه وسلم لكل من أخذ عني وردا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، وأن تُؤَدَّى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة، وأن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، وأن يكونوا معي في عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم». فقال لي صلى الله عليه وسلم: **«ضمنتُ لك هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين»**.

قال: «وسألته أن يموتوا كلهم على الإسلام، وأن يؤمنني الله عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة، وأن يظلني الله وجميعَهم في ظل العرش يوم القيامة، وأن يجيزني وإيَّاهم على الصِّراط أسرعَ من طرفة

عين، وأن يسقيني وإياهم من حوضه صلى الله عليه وسلم».

وذكر معهم من له انتساب إليه ممَّن يعرفُه أو أحسَن إليه، ووالديه، ووالدِيهم، وذريَّته المنفصلة عنه، وأزواجه ووالديهم، وأزواجهم وذرياتهم المنفصلة عنهم لا الحفدة، إلى (موت) سيدنا عيسى عليه السلام.

قال: «فأجابني صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف: **«كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلفُ عنك وعنهم أبدا إلى أن تكون وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين، وضمنت لك جميعَ ما طلبته ضمانةً لا يُخلفُ عليك الوعد فيها، والسلام»**.

ثم قال رضي الله عنه: «وكل هذا يقظة لا مناما».

قال: «ومن أخذ عني هذا الورد أو عمَّن أذنتُه، يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بغير حساب ولا عقاب، بشرط أن لا يصدر منه سبٌّ ولا بُغض ولا عداوة. وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني».

ثم قال رضي الله عنه: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل هذا الفضل خاص بمن أخذ عني الورد مشافهة، أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة؟ فقال لي: **«كل من أذنته**

**وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم».**

قال صاحب الجواهر: قلتُ: وهذه الكرامة العظيمة المقدار، وهي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ ورده ودخول والديه وأزواجه وذريته، لم تقع لأحد من الأولياء، ولا بلغنا من أخبار ساداتنا رضي الله عنهم، وإن وقع لهم أن من رآهم أو من رأى من رآهم يدخل الجنة، كالشيخ عبد القادر وسيدي عبد الرحمن الثعالبي ومولاي التهامي رضي الله عن جميعهم، لم يُنقل عن هؤلاء عدم الحساب والعقاب لأصحابه أو لمن رآه كما وقع لشيخنا رضي الله عنه، فهي خصوصية لشيخنا رضي الله عنه.

ومع هذا قال رضي الله عنه محذرا لأصحابه ومرشدا لما فيه صلاحهم: «أقول لكم إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ضمن لنا أن من سبنا ودام على ذلك ولم يتب لا يموت إلا كافرا. وأقول للإخوان من أخذ وردنا وسمع بما فيه من دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب، وأنه لا تضره معصية، ثم طرحَ نفسه في معاصي الله ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبَّنا، فإذا سبَّنا أماته الله كافرا. فاحذروا من معاصي الله ومن عقوبته. ومن قضى الله عليه منكم بذنب والعبد غير معصوم، فلا يقربنَّه إلا وهو باكي القلب خائفا من عقوبة الله تعالى، والسلام».

ولقد صدق صاحب رحلة التهـاني في مـدح شيخنا التجاني حيث يقول في وصف ورده:

تنبه لأمـداد يشـاهد ربُّهـا=عيانـا محيًّا سَـيِّدِ الكون إذ تجلى

له البيضةُ المرباة بـالألفِ حِسْـبَةً=بخمسَـة آلافٍ وأفراخُهُ أغْلى

ثلاث مـئين منـه كالسِّـتِ إثـرَه=من الـورْد وقتَيْه ورا خمسِ من صَلّى

فجـاءت بـترتيب يطـابقُ حـالَ مَنْ=أراد سلوكا من مواطنه السُّفْلى

فصـدر بـالتطهير أوَّل وَهلـة=من الـذنب باستغفاره فنفى النَّذْلا

(وشـفعه) بـالكنس للـدَّرن الـذي=بقايـاه تجلى بالصَّلاة على الأجلا

وثلث بالذكر المعظم شأنه=لـحُلة أنوار لها أحكم الغسْلا

فـأوجز حرفيـه حثيثـا لعـودة=لشـدة تـأثير بألفاظها تلا

وطـول وسـطاه لجمعيـة قضـت=بألفـة حرفيها لمجموع ما يتلى

بأمدادها الأولى البقايا مزالةٌ=وبالفضل من أعدادها استأنف الوصلا

فلم تطـل الأشـياخ قيـد مريـدهم=لتـدارك الأمداد منهم له نحلا

وأطلق هـو القيـد ثـابت عزمـة=بـأن الـذي لقاه مرسى به فضلا

يغار على أمر التدارك غيرة=وإن طـال مـا بين النوال فلا مطلا
بلا خلوة ربى وربوا بخلوة=فشـتان مـا بين اليزيدين منهلا
فراديس عليين أعلى جنانهـا=منـازل اتبـاع قفوه ترى نزلا
بخير رعيل كان أول واصـل=ومـا حوسـبوا كلا وما كلفوا كلا
بـذا غبطتـه الكمـل الغـرُّ إذْ لهم=نجـاح من أدَّى الورد واستحفظَ الإِلَّا
وأما ميادين السـباقِ فلم يكن=ضـمان بهـا فيما نعاينه نقلا
خصوصية حازت أبانة رفعة=ومحض اجتباء للمريد ولوْ زَلَّا
على أنه إن دام منه اقتحامـهُ=محـارم رب العز أربت لهُ غِلَّا
ومن يكتسب غلًّا من الشيخ ينخرط=بسلك الأُلَى سُخْطُ الإلهِ بهم حَلَّا
فأبشـر بحب منـه بـالقلب راسـخٍ=وحـذِّر لبُغْضٍ منه قد ألزم السُّفْلَى

نحمده جـل اسـمه أن جعـل محمـدا صـلى الله عليه وسلم حظنا من الأنبياء، وجعلنا حظـه من الأمم، وإن جعل هذا الشيخ رضي الله عنـه نصيبنا من الأوليـاء، وجعـل شـيوخته وهمتـه لنـا محبة من الهمم وقسمة من أعظم القسم، فله المنة الطولى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

# فصل في ذكر نبذة من فضل الياقوتة الفريدة لما فيه للمريد الصادق من عظيم الفائدة

قال شيخنا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، مولانا أحمد بن محمد فتحا التجاني رضي الله عنه وعنا به بجاه مولانا محمد العدناني: «سألت سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عنها فأخبرني أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء صغير أو كبير، ستة آلاف مرة».

ثم قَالَ: «وسألته صلى الله عليه وسلم أولا أنها بستمائة ألف صلاة هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة؟». فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه: يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة.

ثم قَال: «وسألته صلى الله عليه وسلم هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في

الحديث لكل صلاة، وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلخ، أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر في تلك الصفة، وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم؟». فقال صلى الله عليه وسلم «**بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة**».

ثم قال: «وسألته عن حديث أن الصلاة عليه مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة، كل غزوة بأربعمائة حجة، هل صحيح أم لا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**بل صحيح**»».

ثم قال: «فسألته عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة، وكل صلاة على انفرادها بأربعمائة غزوة؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه: إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة. وذكر فيها غير ذلك من الفضل».

ثم قال: «وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل للعقول فيه، فلا تلتفت إلى تكذيب مكذب، ولا قدح قادح، فإن لله سبحانه فضلًا خارجًا عن دائرة القياس، ويكفيك قوله تعالى ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾. فما توجَّهَ مُتوجه إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ما كان، ولا توجَّه متوجه إلى الله تعالى بأحب إليه

منها ولا أعظم عند الله حُظوة، إلا مرتبة واحدة وهي من توجه إلى الله باسـمه العظيم الأعظم لا غير، وتليه في الرتبة صلاة الفاتح لمـا أغلـق. ولا يحصل هـذا الخيـر إلا لمن صـدَّق بمـا سـمع وسـلم لفضـل اللـه، وأنـه لا يأخـذه الحـد والقياس».

ثم قـال: «واعلم أن كـل مـا تـذكره من الأذكـار والصَّـلاة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم والأدْعية، لو توجهت بجميعهـا مائـة ألـف عام، (كل يوم تذكرها مائـة ألـف مـرة)، وجُمـع ثواب ذلك ما بلغ مرة واحـدة من صـلاة الفـاتح لما أغلق». اهـ.

ثم قال: «وأخبرني صلى اللـه عليـه وسـلم أنها لم تكن من تأليف البكـري، ولكنَّه توجَّهَ إلى اللـه مـدة طويلـة أن يمنحَـه صـلاة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فيهـا ثـوابُ جميـع الصلوات، وسرُّ جميـع الصـلوات. وطـال طلبـه مدة، ثم أجابَ اللـهُ دعوتـه، فأتـاه الملـك بهـذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من نور».

وَقَدْ أجاب رضي اللـه عنـه بعض من سـأله عن صـلاة الفـاتح لمـا أغلـق أنهـا خاليـة من السـلام، بأنهـا وردت من الغيب على هـذه الكيفية، وما ورد من الغيب كمالـهُ ثـابت خـارج عن القواعد المعلومة، ليستْ من تأليف مؤَلفٍ. ووراء هذا كيفيات وردت عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الصـلاة الخاليـة من السـلام، وهي

كيفيات نبوية متعبَّد بها، فلا التفات لما يقوله الفقهاء. اهـ.

وتورك بعض المتهورين والفقهاء المترسمين على شيخنا رضي الله عنه في قوله في جوهرة الكمال «صراطك التام الأسقم»، بأنه لا يجوز إطلاق لفظ مفهم نقصًا على النبي صلى الله عليه وسلم، إنما يبتغي به زلات الأولياء والأصفياء حمله عليه القصور والجهل بما تقرر من أن كل ما صدر من أمثاله من الأولياء من المبهمات والموهمات يسأل عنه صاحبه، فإن بيَّنه بوجه يقبل منه، وإن لم يوجد فما وُجد له محمل حسن حمل عليه، وليس صوفي أولى من فقيه ولا فقيه أولى من صوفي، بل الصوفي أولى بالعذر لضيق عبارته غالبا عن الاحاطة بمراده. انظر قواعد الشيخ زروق.

ولعل هذا المتورك المتعسِّف يقول بقول من لا يؤول إلا كلام المعصوم، وقد قال المناوي هذا القول وإن جل قائله غير معتبر كيف وقد ملأ هذا القائل كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه، واعتنى بأن يجمع بين الكلامين المتناقضين وبتنزيل الخلاف على حالين متغايرين.

وقال في ترجمة الشيخ محيي الدين: وأقوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ويرده قول الإمام النووي

في بستان العارفين أنه يجب تأويل أفعال الأولياء الذي قد ينكر ظاهرها.

قال المناوي: وإذا وجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق اهـ. بنقل المسناوي.

وقال ابن زكري وفي الرسالة القدسية للشعراني: والعجب ممَّن يؤول كلامَ الحق تعالى مع كماله، ولا يؤول كلام البشر مع عجزه ونقصه. اهـ.

ولو أنصف هذا الطاعن (...)، لرجع إلى ما فسَّره به الشيخ رضي الله عنه وقبله منه. فإنه فسَّره في شرحه لجوهرة الكمال بقوله: «الأسقم أي المستقيم المعتدل في الاستقامة بلا اعوجاج». اهـ.

فإن قلت: هذا المعنى الذي فسَّره به غير مناسب لحروف اللفظ.

قلنا: من المقرر عند أهل الصناعة النحوية إجراء المزيد فيه مجرى الأصلي والعكس. ومن المقرَّر عندهم أيضا، أنه إذا دار الاختلال بين أن يكون في اللفظ أو في المعنى، كان في اللفظ أولى، لأن المعنى أعظمُ حُرمة إذ اللفْظ خادم للمعْنَى، بل إنما أوتي باللفظ من جهته. انظر كتاب الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي. وأيضا غاية الأمر أن يقال ما هذا في العربية، ولا جرى على اصطلاحهم. فللشيخ رضي الله عنه أن يقول: لا يلزمنا الجري على ما عرفتم من الاصطلاح.

قل للـذي يـدَّعي علمًـا ومعرفـة = عـرفت شيئًا وغابَتْ عنك أشياء

لا سيما إن مشَيْنَا على جواز القلب المبـني على أن اللغــة اصــطلاحية، أي لكــل أحــد أن يجري فيها على اصطلاح نفسه. فلـكَ أن تقـول أسـقم وأنت تريـد أصـح، فضـلا عن غـيره من المعـاني، ولـكَ أن تسـمي الثـوب فرسًـا وهـو المبني عليه لزوم الطلاق بإسقني الماء ونحـوه (إذا نواه)، وهو الأصح كما في المختصَر.

هذا لو كـان اللفـظ من كلام الشـيخ رضـي الله عنه، كيف وقد نسَب جوهرة الكمال للنـبي صلى الله عليـه وسـلم. ولعـلَّ في ذلـك اللفـظ خاصـية كمـا قـد يوجـد في ألفـاظ وردت من السـلف، فتبقى كمـا وردت من غـير افتيـات عليهم، كمـا ذكـر صـاحب الكـوكب الوقَّاد عنـد شــرحه للحــزب السَّــيفي القــادري، فــإنهم يقتصرون على كلمة كـذلك دون آخـر الآيـة من قولـه تعـالى ﴿**لَيْسَ بِخَـارِجٍ مِنْهَـا كَـذَلِكَ**﴾ وعللها بما قدمناه.

وأيضا إن لفظ الأسـقم على المعـنى الـذي حمله عليه هذا المنكر، وهـو أنـه أفعـل تفضـيل من سقُم ككرُم وجرح بمعنى مرض، فليس فيه نقص مسـتحيل عليـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لانعقاد الإجماع على جواز ذلك عليه لمشـاهدته به. وقد وردَ في القرآن وصف الأنبياء بالسـقم، كقوله تعالى في يونس عليه السلام ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُـوَ سَـقِيمٌ**﴾، وحينئـذ يصـير لفـظ

(الأسقم) الذي في الجوهرة نعتا لقوله (صراطك) فيرجع إذًا إلى قوله صلى الله عليه وسلم **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»**، ويكون فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم، لأنه صراط الله التام المستَقيم، مع شدة ما يقاسيه من السقم والبلاء، ولم ينقص ذلك من استقامته شيئًا، أو يكون من التعبير باللازم عن الملزوم، لأن الحب من لازمه غالبا إذا أفرط السقم، ولذلك قال البوصيري رحمه الله تعالى:

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ=بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

فيصير معنى الأسقم إذًا الشديد المحبَّة، البالغ منها ما لا يدرك.

وإذا علمْتَ أيها المؤمن المنصِف ما قدمناه وتأملته، ظهر لك أن لا موجب لهذا المنكر إلا مجرَّد العناد والجحود لما ثبت من فيضه وفيض أنواره. ولو وُفِّق لطريق الإنصَافِ لسكتَ، أو حذَّر من اللفظ فقط كما حذروا من مواضعَ من الإحياء والقوت، أو حذَّرَ من الصلاة جُملة ولم يطعن فيها كما حذروا من نحو كلام ابن الفارض ولم يطعَنوا فيما حذروا منه. لكن جرَّهُ سوء الأدب مع هذا الشيخ الكريم إلى إساءة الأدب مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فذهب ليفضحَ غيره فافتضح هو بعين ما طلب به إظهار الفضيحة، ألا تراه أنه نهى عن كل ما يُوهم نقصًا، فوقع في عين التنقيص، فسمَّى

جوهرة الكمال جوهرة الخبال وجوهرة الوعيد، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها، والله يُقيل عِثارَه ويُحسِن عَزاءه في مصيبة دينه التي أعماهُ عن الإحساس بها التعصُّب بالباطِل، ويعصمنا مما ابتلاه به.

قال سيدي محمد في جُنة المريد: كان لشيخنا يعني والده المختار، مريد من بعض الأصحاب ممن له باع في علوم العربية، فاتفق أن الشيخ نظم قصيدة منها قوله:

أيا غارة المولى أجيبي وهلمي= بنصر الإله ثم بالخيل والرجل

فاعترض على لفظة هلمي، وراجع فيها الشيخ رضوان الله عليه على رسم الانتقاد، وكنت يومئذ صبيا في المكتب، فغدا علينا الصاحب فزعا مذعورًا، وجعل يتصفَّحُ الألواح ولا يهتدي إلى كلمة، بل لا يميز الحروف، وجعل يبكي بُكاء الثكلى، ويتحرَّق تحرُّق الحبَّة في المقلى، وتوجَّه إلى البيت مستشفعًا بالشيخة إلى الشيخ في ردِّ ما سُلب منه، فلزم كنس البيت أيامًا. فشفعتْ له عند الشيخ فردَّ له ما كان سلبه، وحجَّر عليه التعليم، فكان لا يُعلم طلبته. فأقام على ذلك زمانا، ثم صدق في عقد التوبة، وأهدى واستشفع، فرَدَّ عليه الإقراء، وبقي به داء أرق ورعشة إلى أن توفي رحمه الله تعالى. اهـ.

وتوركه أيضا على قول الشيخ رضي الله عنه في قوله في الجوهرة (مطلسم) بقوله:

كذا مطلسم وما يدريك=لعلها كفر نفى الشريكا

هو تشبُّع أوْهَم به أنه بلغ في العلم مبلغ مالك رحمه الله، حيث قالها لما سئل عن ألفاظ مجهولة المعنى يقال إنها من أسماء الله تعالى، فأجاب السائل بمثل هذه المقالة، بل هو تعسُّف ووجه تعسُّفه هو جعله معنى (المطلسم) الذي هو بمعنى المستور من جملة الطلسمات التي هي معدودة من جملة الباطل، وهي نقش أسماء خاصة لها تعلق بأفلاك وكواكب على زعم أهل الطلاسم في جسم من المعادن أو غيرها، تحدث لها خاصية رُبطت بها في مجاري العادات. وليته لو صدق قوله: وما يدريك لعلها كفر، على الطلسمات، فما وجه صِدقه على لفظة (مطلسم) منعوت بها لفظ النور؟ فأين هذا من هذا؟ وإن كان يريد بهذه الجملة هنا الإخبار عن هذه المقالة بأنها حسمَتْ مادة التَّلفظ بمادة طلسَم كما يقتضيه قوله: نفَى الشريكا، فهو جهل منه باللسان العربي مع ادعاء الإحاطة باللغة حتى حكم بأن ما لم يجده هو في القاموس، وإن كان في غيره من كتب اللغة، لا يكون على زعمه القاصر إلا مصنوعا من كلام المولَّدين، وحينئذ لا يصِحُّ له وجه إلا ما وجَّهه به، كيف والمصباح من أجل كتب اللغة، وقد نقلها منه سيدي محمد الكنتي رحمه الله في شرحه للصلاة الدرعية أو اليوسيَّة على الخلاف في نسبتها:

اللهُمَّ صَـلِّ عَلَى الـذَّاتِ المُطلسَـمِ. قـال في المصباح: طسم الشيء وطلسَـمَهُ بزيـادة اللام للتأكيد: أخفاه وستره. اهـ من الجيش الكبير بخ وتغيير ما وتصرُّف.

## فصل في ذكر بعض أسرار الياقوتة الفريدة

اعلم أنه مما لا يدخل تحت حصر كما قـال صـاحب المـيزاب عليـه وعلى شـيخنا من اللـه الرضوان وعميم الرحمة، ونصُّه فيه:

**فمنها** أن جواهر اسـمه الشـريف الطـاهر (ظاهر) الجسم والنفس، ووصـفية تاليـة وافيـة على التحقيق بغير حدس بصيغ السير، والترحل إلى الله تعالى بأنواع الخير.

وذلك أن اسم **محمد** صلى الله عليه وسلم مشتمل على أربعة (أحرف) بلا تضعيف: فالميم الأولى دالـة على ابتـداء السـير لأنهـا شـفاهية المخرج، والشـفة مبـدأ المخـارج؛ والحـاء دالـة على انتهاء السير لأنها حلقية المخـرج، والحلـق آخر المخارج، وهـو سـير السـالكين والمريـدين الواصلين؛ وأما الميم المضعفة ودالهـا فللدلالـة على سير غير الواصلين، إذ الـدال ليس بحلقي فقد قصر دون الوصل (سير) صاحبه بعد ابتـداء السير بالميم، ومن لم يرد الله بـه الـدخول في زمـرة الإسـلام اسـتدارت دونـه الميم فـرام

الـدخول من جـوف الـدال الـذي ليس بنافـذ فيـؤنس ولا بمستدير فيـؤيس، فلم يـدخل غـير حضرة (إمداد) الإيجـاد الـتي لا بـد من وصـولها من سيد الوجود للجمع والآحاد لا إمداد التقريب والإرشـاد. وفي الاسـم الشـريف غـير ذلـك من الأسـرار الـتي لا يوقـف على كنهها (من كـون) جواهر حروفه آتية على الصورة الآدمية، فالميم رأسـها، والحـاء جناحاهـا، والميم المضـعف سرتها، والدال رجلاها. فلا نطيل بأسرار الاسـم الشريف مع أنـه لا خصوصـية لهـذه الصـلاة بـه دون غيرها من الصلوات.

**وأما الوصـف الفـاتح** فأولـه الفـاء وهي كالميم مبدءا، ومختتمـه الحـاء، والتـاء واسـطة بينهما، فيؤخذ منه سـير السـالك الـذي ابتـدأ ثم توسط ثم اختتم.

**وأما الوصف الخاتم** فقـد دل على سـير المجـذوب المـراد، لأنـه ابتـدأ بـالحلقي ثم ختم بالشفاهي، فـالتقى الوصـفان عنـد حـرف التـاء المتوسط، والسالك والمجذوب ربمـا التقيـا في الطريق هذا في ترقيه وهـذا في تدليـه كالتقـاء لفظي الوصفين عند حرف التاء.

**ومنها** مجيء الاسم وإضـافة الأربعـة على كيفيـات حضـرات الأنس بـالمعنى والحس، وكميات الصلوات الخمس.

أما الحضرات:

فأولهـا حضـرة الناسـوت، وهي حضـرة الأجسام الكثيفة، فقد استولى على مقتضياتها ولوازمها الاسم الشريف بالصورة الشريفة.

الثانية حضرة عالم الملكوت، وهي مرتبة فيض الأنوار القدسية، وهي من السماء الأولى إلى السماء السابعة، فقد تكفل بأنوارها المتصلة وأفلاكها المتحملة الوصف الفاتح لما أغلق، لانغلاق حقائقها وانسداد طرائقها على من هو بحضرة الناسوت.

الثالثة حضرة عالم الجبروت، وهي من السماء السابعة إلى الكرسي، وهي حضرة فيض الأسرار الإلهية، فتحقق بها الوصف الخاتم لما سبق إذ عند هذه الحضرة ختم المكونات المتكونة إذ هي عالم الأرواح المجردة، وهي عالم الملائكة.

الرابعة حضرة اللاهوت، وهي حضرة ظهور أسماء الله تعالى وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضاتها وتجلياتها، فتولى ذلك ناصر الحق بالحق أي ناصر الاسم الحق بالوصف الحق أي قام لله بالله، فإنما قام الوجود بأسماء الله وصفاته، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

الخامسة حضرة الهاهوت، وهي حضرة البطون الذاتي والعمى النفساني، فاحتيج إلى الوصف الهادي إلى الصراط المستقيم، والصراط هو التعقل لأحدية الذات فقط إذ لا مطمع في نيل (معرفة) تلك الحضرة إلا بالتعقل، ولا يكون ذلك إلا بمحض التوفيق

لتشوق قاطع الحضرات قبلها إلى أن ينال وصلها ولا يكون أبدا، فاحتاج إلى الهداية للقصد.

وأما الصلوات الخمس، فإن جزء الاسم الشريف باشتقاقه من مادة المحو والمد يشيران إلى الجملتين من قول بعض الأعلام محا الله به الكفر ومد به الإسلام، وذلك صريح في محو الظلام عند الصبح ومد الضياء بالجنح، فدل على ركعتي الصبح جزآ الاسم بالحكم القائم مقام الوسم، وأثنينية الجزأين كأثنينية الركعتين، كما أن ظهور فتح الفاتح تناول مكتوبه الظهر بالوصف العام، لأنها أول صلاة ظهرت في الإسلام، وعدد الأصول من الوصف كمثل أسلاك جواهر المكتوبة في الرصف، وختم الخاتم للسادات الأطهار يفنى باختتام العصر صلاة النهار، والأصول كالأصول في تحرير الفصول، وناصر الحق عند ظلم الشرك الحلك يؤذن بصلاة الشاهد عند تلاطم الأمواج على عمل العبد من مواخر الفلك، فتجتمع عندها ملائكة الليل والنهار الحفظة، الكاتبون كل لفظة، فمن غلبت حسناته قام بنصر الله وإلا فقد باء بسخط من الله، فالمناسب لظلمات سجال الحرب الأربع نصر الناصر، ورابعة الركعات الوتر الآخر، وهداية الهادي في جوف الليل، يطلبها الساري على ظهور الخيل، إذ بقوائمها الأربع بعد المساء، تتقوى على قطع فحمة العشاء، أربع قوائم على أربع دعائم.

**ومنها** مجيء كلماتها في الجملة على عشرين كلمة بعدد حروف البسملة. ثم كون حروفها بوسطى رواياتها الأربع الواضحة على عدد حروف الفاتحة.

**ومنها** ورودها على ثلاثة وعشرين حرفا من أحرف الهجاء، كعدد أحرف فاتحة الكتاب على السواء.

**ومنها** أن قافاتها وميماتها بجعل المضعف من القافات حرفين وترك تضعيف الميمات، بعدد الإحدى عشرة صفة التي في كل موقف من مواقف المقامات، يعني الحميدة التي تنفي مثلها عددا من الصفات الذميمة.

**ومنها** أن حاءاتها بعدد حضرات القدس، ودالاتها كالصلوات الخمس، وياءاتها بعدد مقامات الأنس، وصاداتها في قصري الروايات، وباءاتها في وسطاها، وتاءاتها في كلها، بعدد الثلاث المقامات.

إلى غير ذلك من الأسرار التي يقف عليها من لاحت له لوائحها، وهبت عليه روائحها.

فالمقصود هنا أن يشم منها حال أهل السلوك وحال أهل الجذب، وذكر المقامات الثلاث وما اشتملت عليه من الصفات الحميدة والذميمة، والحضرات والصلوات، فيستروح منها حينئذ أنها هي الصلاة الوسطى لأخذها قسطها من كل المذكورات، فتوسط بين الصلاة منحاها، ودارت عليها فهي قطب رحاها،

وهذا ما أفصحت به عنه العبارة، وسمحت به الإشارة.

فإذا تمهد هذا فاعلم أن المتوجه بهذه الصلاة واصل لا محالة لمراده، وداخل طريق رشاده، ما ظفر بالتصديق بأسرارها وفضائلها، وقطع بإدراك نائلها، وبيان ذلك أن تعلم أن المريد متى أعوزه وجود شيخ مربٍ، وأيقن أنه لا بد من العثور عليه، وإلقاء الزمام بين يديه، لما شاهد من احتياجه اليه في علل نفسه، ولهج بمدده لهج الأعمى بالقائد، ولجأ إلى الله في طلبه طلب الظمآن للماء البارد، وتوجَّه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة كانت في طلبه ظفر به لا محالة.

قال في الجواهر نقلا عن شيخنا رضي الله عنه: «فالذي يجب على المريد قبل لقاء الشَّيخ أنْ يُلازم الذِّكْرَ والصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسْب الطّاقة، مع اعتقاده أنهُ جَالِسٌ بين يديْه صلى الله عليه وسلم، مع دوام الإعراض عن كل ما يقدرُ عليه من هوى النفس وأغراضها، والسَّعي في كلّ ما يُحَبِّبُهُ إلى الله تعالى من نوافل الخيرات، وهي معروفة في الأوقات، كوقت الضحى، والرواتب، وبعد النُّهُوض من النَّوم، وليقلِّلْ من ذلك ويجعل اهتمامَهُ بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من النوافل، فإن الذكرَ والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

مفتاح أبواب الخير، مع العُزلة في وقت الـذكر، وتقليـل الغـذاء والمـاء، واسـتعمال شـيء من الصيام والصمت، إلى غير ذلك ممَّا هو مسطور عند أهل الطريق».

قـــال: «فـــإن من داوم على هـــذا، واهتمَّ بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمآن بالماء، أخذ الله بيده وجذبه إليه بشيخ كامل واصـل، أو بنبيه صلى الله عليه وسلم يربيـه، أو يفتح بـاب الوصول ورفـع الحجُب بسـبب ملازمته للصـلاة على حبيبـه. فمـا لازمهـا أحـد قـط في طلب الوصول إلى الله تعالى فخاب قط».

وإذا كـانت الصـلاة عليـه صـلى اللـه عليـه وسلم موصلة بأي صيغة إلى حـد الانتفـاع، فمـا بالـــك بصـــلاة أتت على العنـــق من الســـير والإيضـــاع، وحثت بطيء الخطـــو إلى نهايـــة الإسراع.

بقلبـك فـانظر كي تـرى بـاهر السِّـر=قـد اكتنفتْه زهر ألفاظها الغر

ومـا نِسْـبة الألفـاظ في جنب سـرها=ولـو وجهت إلا الحباب من البحر

فمقـدارها بين الصـلاة بأسـرها=كوسـطى صلاة الفرض في خمسها الزهر

فسر آمنا بين المقامات صـادقا=بخمسـتها واطو المسافة بالشكر

و كن كغريق البحـر حين تقطعت=وسـائله أو مثل من ضل في القفر

أو أعمى ينادي من لأعمى مـدَفَّع=أحـاطت به الأعداء في مسلك وَعْرِ
فتظفر بالوصل المصفَّى من الأسَا=بأسرعَ من لحْظ على صَحْوة الفِكر
لعمرك ما ركضُ الجيـاد وسـيرُها=بميـدانها سيْرَ العي من الـحُمْرِ
فمـا لصـلاة الفـاتح الغلـق مـدرك=بحـد ولا قيْسٍ لزيد ولا عمْرِو

وقــد وقفتَ وأرشــدك على مــا حثَّك على معرفة فضلها وأسرارها ممـا شِـمْتَ بـه بـوارق أنوارها، وقد علمت بديهة أنه لا بدَّ دون الوصـل إلى الله تعالى من لذْع أبَـر النَّحـل، وأن الجمـع على الشــيخ جمــع على اللــه وعلى رســوله، والجمــع على اللــه ورســوله لا بــد من قطــع المواقـف قبلـه كمـا وقفت عليـه في الطريقـة الأولى.

فإذًا بالتقرب إلى اللـه تعـالى بهـذه الصـلاة الفريــدة ومزيَّتهــا الوحيــدة ســيْر في مقامــات الدين الثلاث، إذ المقامات كمـا علمتَ مشـتملة على مواقف مغلقة الأبواب، أولها بـاب المتـاب إلى آخر مـا بعـده من الأبـواب، فـالغلق شـامل لجميعها اشتمال باب واحد، والفتح مطلوب في كلها لكل قـائم وقاعـد، والختم محتـاج إليـه في كافـة عوارضـها المعــادة، وأن في الختم منعـا للزيــادة، وغلقــا بين المريــد وبين موانـع جـادة الإفـادة، وإن في النصـر لعُـدَّة، لمـا يكـون من الأعداء المذهلة والآفـات المعضـلة، من الآمـال

الخائبة واللوائح الكاذبة. ولقد كان المريد للهداية عند تلاطم أمواج بحار حقائق الأسرار وللتوفيق لقطع مهامه تلك الأخطار، والاهتداء إلى الحضرة ومالها من الأنوار، في غاية الاحتياج والاضطرار، فكان الأليق بالمريد أن يتعلق بهذه الصلاة من بين كافة الصلوات على نبيه الكريم، إذ ما كل صلاة تفي بما تفي هي به في ظلمة ذلك الليل الأليل البهيم، ويسأل الإعانة من مولاه الفتَّاح العليم، على أن يقدر نبيه حق قدره ومقداره العظيم.

ولينو عند استعمال هذه الصلاة بالوصف الفاتح فتح كل باب من أبواب المواقف، وبالخاتم غلقها بينه وبين كل مانع من طيف عائق طائف، وبناصر الحق النصر على كافة الأعداء حتى يصبح بهم ظاهرا، وبالهادي الهداية إلى سواء السبيل في كل أمر كان فيه حائرا، وأنه في ساحته ألقى عصاه، بساحة نبيه في كل ما انتحاه، إذ هو الكفيل بذلك، والمرجو لتحقيق ما هنالك، وأن يختم وظيفته منها بقوله: اللهم بجاه الفاتح لما أغلق افتح لي من كل باب خير فتحته على محمد رسول، وبجاه الخاتم لما سبق اختم لي بخاتمة الناجين الراجين الذين قيل لهم (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**)، وبجاه ناصر الحق بالحق أنصرني على جميع الأعداء نصر الذي قيل له (**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ**). وبجاه الهادي إلى

صراطك المستقيم اهدني صراط الـذين أنعمت عليهم (**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ**). اهـ. محل الحاجة بخ من الميزاب.

# فصل

ولنستدرك بعض غير المكتوم من فضل الياقوتة الفريدة، وبعض فضل جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال، ولنقتصر منه على لصاحب المنية رحمه الله ونصه فيها:

أمَّا صَلاة الفاتِحِ الحسنى الَّتِي=يَدْعُونَ باليَاقُوتَةِ الفَرِيدةِ

ففضلهَا علَى مَراتب انقسَمْ=وجلها عَنِ الخلائِق انكتَمْ

و مِن سِوَى المكتُوم أنَّ مَن تلا=مِنْ هَذِهِ الصَّلاةِ عَشرا حصلا

ما لمْ يُحصِّلهُ وليٌّ سَامِ=قدْرًا وعَاشَ ألفَ ألف عام

وَعَدَمُ الإحْبَاطِ لِلذِي فعَلْ=ما هو في سِواهَا يُحْبِطِ العَمَلْ

وَمَرَّةً وَاحِدَةً تقرأ مِن=هذي تكفـر الـذُّنُوبَ وتزِنْ
مِن كُلِّ تسبيح وذكر وقعا=سِـتَّة آلافٍ ومِنْ كُلّ دُعَا
ومرَّة مِنهَـا بسِـتِّمِائَةِ=ألـفٍ مِن الوَاقـع في البريَّةِ
مِنْ صَلواتِهم لِـوقتِ الـذِّكْرِ=وهي تضـاعَفُ بهذا القدْر
سـعادة الـدَّارَيْن ضـامِنتُها=في اليـوم مَـرَّةً مُداوَمَتُهَا
ومَن يُلازم مَرَّةً في كـل يـومْ=مِنْهَـا يمُـوتُ مسْلِمًا من غير لَومْ
وفضلُهَا يَحصل مَـعْ شَـرطيْن=من ذاك إذنُ الشَّيخ دونَ مَيْن
ثم اعتِقادُ أنَّها قد بَرزتْ=مِن حضـرة الغَيْبِ لمنْ له سرتْ
ومرة من الجحيم فِديَة=يـوم القيامـة بغـير مِريَة
(وذا بلا اشْـتراطِ مـا تقـدَّما=سُـبحانَ مَن فضَّلها وعظَّما)
وما على النبي صلى أحـدُ=بمثلِهَـا سـمع ذا ذا الأوحَدُ

فقولـه: سـمع يعـني من النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، ففيـه حـذف المتعلـق للعلم بـه. وأشار بهذا إلى مـا في جـواهر المعـاني وغـيره من قول سيدنا رضي الله عنه: «قال لي صـلى

الله عليه وسلم: ما صلى عليَّ أحد بمثل صـلاة الفَاتح لما أغلِق» اهـ.

فقد ظهر من هذا ومن جميع مـا تقـدَّم من فضـلهَا أن اللـه تعـالى استجاب دعـوة القُطب البكري رضي اللـه عنـه في سـؤاله صـلاةً على النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فيهـا سـرُّ جميـع الصَّلوات. وقد صرَّح سيدنا رضي الله عنه بذلك فقال: «إن جميع ما في الصلوات من الخـواص وغيرها يحصل لـذاكر صـلاة الفـاتح لمـا أغلِـق» اهـ.

**تنبيه:** قد عرفت أن هذه الصلاة قد أُهْديت إلى القطب البكـري رضـي اللـه عنـه على مـا تقـدَّم، وأن الفضـل الخـاص لم يتلقَّه القُطب المذكور، وإنما تلقاهُ سـيدنا الشـيخ رضـي اللـه عنه. وبسبب هذا وقع السؤال لمقيده عفا اللـه عنـه من بعض الإخـوان الصـادقين حفظـه اللـه تعالى عن الحكمة في (عدم) إظهار هذا الفضل على يد من نزلت عليـه وبـرزتْ بسـبب توجُّهـه إلى الله تعالى.

فَأَجَابَهُ سـامحه اللـه تعـالى: بأنـه يمكن أن تكون الحكمة في ذلك والله أعلم، تقرير فضلها إجمالا في عصـر القطب البكـري وفيمـا بعـده، حتى يكون ذلك كالتمهيـد لقبـول تفاصـيله عنـد وجـود من سـبَق في علم اللـه أنـه صـاحب إظهاره، وأنه المخصوص بالتربية بهـذه الصـلاة، لـمُوافقتها لزمان وجوده الذي هو آخـر الأزمـان لما عليـه أهْلـه من ضـعفِ الإسـتعْدادات، وقلـة

الرغبـة بالجـدِّ والاجتهـاد في عظيم الإفـادات، وفضـلها الإجمـالي هـو كونهـا فيهـا سـرُّ جميـع الصلوات حسبما عُـرف ممـا مـرَّ، واللـه تعـالى أعلم وأحكم، وهو المسـؤول بفضـله أن يتـولى غفران ذنوبنا وستر عيوبنا، بجاه السبب الأعظم لكل خير وسعادة، سـيدنا ومولانـا محمـد صـلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسـلم تسـليما. اهـ بنقل سيدي العربي بن سيدي سـائح في بغيتـه رضي الله عنه.

ونصه أيضا فيها في فضل جوهرة الكمال:

جـوهرة الكمـال من إملاء=إمـام الإرسَـال والأنبياءِ

على حَبيبـه الـولِيِّ العـالم=قطب الـورى أحمدَ نجل سالم

وبعض فضـلها تقـدَّم ومَن=لازمَهـا سـبعًا فأكثر قَمِنْ

بأن يكون خير الأنبياءِ=يحبُّه ومن الأولياءِ

ومرة تعدِل تسبيحَ الوَرَى=ثلاث مرَّات على ما سُطِّرَا

ومن يكن لازَمهـا سـبعًا لـدَى=منامِـه يـرى النَّبيَّ أَحْمَدَا

ومن فضـل هـذه الصـلاة كمـا في الجـامع والجواهر ونقلـه صـاحب البغيـة، أن من ذكرهـا اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يـا رسول الله، فكأنَّما زاره صلى الله عليه وسـلم في روضـته الشـريفة، وزار أوليـاء اللـه تعـالى والصالحين جميعًا من لدن آدم عليه السلام إلى

وقتـه ذلـك. يعـني أنـه يحصُـل لـه من الثـواب والفضل مثل ما يحصل للزائر للروضة الشريفة وجميع أولياء الله تعالى في كل عصر.

ونص صـاحب البغيـة على قـول صـاحب المنية في منع الزيارة في طريقنا المحمدية:

ونحن ما لنا بزورهم غرض=لـمَّا نهانـا عنـهُ خيرُ مَن فرَض
ومع ذلك لنا منه عِوضْ=صـحيح الإسـناد بلا شك عرضْ
فمن تلا جوهرَة الكَمالِ=فِي عَدَدٍ نَاوٍ بِهَـا ذَا التَّالِي
لحضـرة النـبي ذي المعـالِي=زيـارة لسـيد الأرْسَالِ
كانت لـه تعـدل زور الرُّسـلِ=والأنبيـا وكـل قطب وَوَلِي
لأنه كأنه قد زارا=نبيَّنا فيا له فَخَارا

فإن من قرأها في عدد مبلغه اثنتي عشـرة مـرة بشـروطها المعلومـة ناويـا زيـارة سـيد الرجـال، حصـل لـه مثـل مـا يحصل لمن زاره صلى الله عليه وسلم في روضته الشريفة وزار جميعَ الأنبيـاء والمرسـلين والأقطـاب والأوليـاء وسائر أهل الكمال.

ونص العلامة الخليفة اللوذعي أبي عبد الله سـيدي محمـد بن سـيدي المشـري الشـريف السباعي في جامعه، نقلا عن شيخنا رضي الله عنه وجعلنا من أهل حزبه: اعلم أن هذه الصلاة المسماة بجوهرة الكمـال هي من إملاء رسـول

الله صلى الله عليه وسلم على شيخنا القطب الرباني، مولانا أبي العباس التجاني، وذكر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خواصا، منها: أن المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات، ومنها: أن من قرأها سبعا إلى ما لا نهاية له تحضره روح النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها، ومنها: أن من لازمها أزيد من سبع مرات يحبُّه النبي صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء اهـ ومثله في الجواهر فانظره.

## فصل في بيان فضل شيخنا رضي الله عنه

ختم الأولياء، وسيد العارفين، ممد الأقطاب والأغواث، وإمام الصديقين

وبيان أنه هو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم

وأنه هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء، وهو الممد للأولياء من حيث لا يشعرون ولا يعقلون ولا يعلمون

وإذا كان كذلك، فلا ينكر على هذا السيد الكامل إلا هالك، فالحذر يا من وقف على هذا أن تكون بالانتقاد عليه من الخاسرين،

إن لم تكن بالاعتقاد والتسليم من الفائزين، على أن أفراد الأقطاب والأغواث والصديقين يعلمون أن مقام خاتم الأولياء يفوق جميع مقامات الولاية، ولم يكن فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم السلام، ولا علم للأولياء بعينه ولا اطلاع لهم على حقيقته.

قال الشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه: فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ النبوءة إلا من مشكاة خاتم النبيئين، وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله: **«كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»**، يعني كان نبيا بالفعل عالما بنبوته. قال: وغيره من الأنبياء ما كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته.

قال الحاتمي: إلا حين بعث. قال شارحه: بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوءة. فاندفع بذلك ما يقال من أن كل واحد بهذه المثابة من حيث إنه كان نبيا في علم الله تعالى السابق على وجوده العيني وصورة آدم بين الماء والطين.

وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله شروط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من أجل كون الله تسمى بالولي الحميد. وخاتم الأولياء هو الولي الوارث،

الآخذ عن الأصل، المشاهد للمراتب، العارف باستحقاقها، ليعطي كل ذي حق حقه، وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة. اهـ كلام الحاتمي رضي الله عنه.

ثم إن أكابر الأولياء ما زالوا يخبرون عن فضل القطب المكتوم، ويشيرون إليه، ويتحدثون به في كل مجمع من جموعهم، ويتمنى كل واحد منهم أن يكون هو، حتى رأى الحاتمي رضي الله عنه في المنام رؤيا ظن بها أنه هو. قال في الفتوحات أنه رأى حائطا من ذهب أو فضة وكمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فانطبع رضي الله عنه في موضع تينك اللبنتين. قال: وكنت لا أشك أني أنا الرائي، ولا أني أنا المنطبع في موضعهما، وبي كمل الحائط، ثم عبرت الرؤيا بخاتم الولاية وذكرتها للمشايخ الكاملين المعاصرين وما قلتُ مَنِ الرائي، فعبَّروها بما عبرتها به. اهـ.

قال الحكيم الترمذي: لا يعلم الأخلاق الإلهية يعني التي هي شروط الولاية كما هي عليه إلا خاتم الأولياء، ولكنه ما تكلم إلا على ظواهرها فقط، لأنه من جواهر الأقطاب ومن أفراد الأحباب، وهم لا يغترفون إلا من ظواهرها كما سيأتي.

وبعد ذلك صرَّح بأنه لم يكن هو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والخاتم المحمدي

المعلوم. وذلك أنه رضي الله عنه رأى مقاما فاق مقامات الأقطاب كلها ما فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فظنَّ أنه له، واطمأنت نفسه به غاية الاطمئنان، والفرح وأنشد:

بنا ختم اللهُ الولاية فانتهتْ=إلينا فلا ختمٌ يكون من بعدي

وما فاز بالختم الذي لمحمد= من أمَّته والعلم إلا أنا وَحْدي

فبينما هو كذلك إذ سمع مناديا يقول له: ليس لك ما ظننت وتمنيت، و إنما هو لولي في آخر الزمان ليس وليٌّ أكرمَ على الله منه. فعند ذلك قال: سلمتُ الأمور إلى خالقها ومكونها، ولقد طال ما جلت ببصيرتي في الغيوب لأطّلع عليه وعلى مقامه واسمه ، واسم بلده ومكانه وكيف حاله، فما أطلعني الله تعالى على شيء منه، ولا شممت له رائحة أصلا.

وأما شيخنا، ووسيلتنا إلى ربنا، مولانا **أحمد التجاني** رضي الله تعالى عنه فإنه قال: «أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني أنا القطب (المكتوم) منه إليَّ مشافهة يقظة لا مناما» فقيل له: وما معنى المكتوم؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيئين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله، وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على

جميعها، وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تخلّق بواحد منها أدخله الله تعالى الجنة»، ولا اجتمعت في نبي ولا ولي قبله إلا في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين، وبي ختم الله تعالى الأقطاب المجتمعة فيهم أخلاق الألوهية والربوبية، وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها، ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق».

قال رضي الله عنه: «ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء عن بواطنها وأسرارها وعلومها وخباياها إلا لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وأنا معه حمدا وشكرا لله، وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط».

قال الشيخ عمر الفوتي السوداني رضي الله عنه: قلتُ: ولا يستغرب هذا وينكره إلا أحد رجلين حاسد معاند أو جاهل بفضل الله الكريم الذي يعطي التابع لأجل المتبوع الذي يكون الإذن له في الدخول إذنا في التابع.

قال في لطائف المنن في هذه الآية ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾: سمعت شيخنا أبا العباس يقول: وفي معناه أو ولي أو صديق، وذلك لأن السلطان إذا أذن لوزيره أن يدخل عليه ربما دخل بعضُ مماليك الوزير معه، وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم، كذلك الولي إذا أطلعه

الله تعالى على غيب فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوءة وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رأى بنور متبوعه. اهـ.

وقال الغزالي: في الكلام حذف يدل عليه الشرع والمشاهدة الضرورية، وهو إلا من ارتضى من رسول أي ومن اتبعه باستقامة، وشواهد الشرع كثيرة جدا تُعجزُ المتأول وتُبهتُ المعاند. اهـ.

قال الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه: وما ذكرت ما قال هذان الإمامان بعدما أوردنا لك من الفصول المتقدمة –يعني قبل هذا الفصل من سيوفه ورماحه رضي الله تعالى عنه وجزاه عن المسلمين أحسن الجزاء. اهـ مؤلفه- إلا شفقة عليك أن تزل بك القدم بالإنكار فتكون مع الهالكين. وقال –يعني سيدي أحمد التجاني- رضي الله تعالى عنه: «إن الفيوض التي تفيض من ذات النبي صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي، ومني تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخُصِّصْتُ بعلوم بيني وبينه لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة».

وقال رضي الله عنه: «أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء».

وقال رضي الله عنه: «لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور».

وقال رضي الله عنه: «إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادي مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان مَددكم منه -من غير شعور منكم. مؤلفه-».

وقال رضي الله عنه: «القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء، فكل ولي لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبي إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومدده الخاص به يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم، ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه صلى الله عليه وسلم».

وقال رضي الله عنه مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى: «روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد».

وسبب هذا أن بعض أصحابه تحاور مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه: «كل الشيوخ أخذوا عنى في الغيب»، فحكي له ذلك فأجاب رضي الله عنه بما ذكر.

وقال رضي الله عنه: «نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب».

وقال رضي الله عنـه: «الشيـخ عبـد القـادر قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعـالى، يعـني أهـل عصـره -وبهـذا قيـده الشـيخ زروق أيضا رضي الله عنه. مؤلفه- وأنا قدماي هاتـان، جمعهمـا رضـي اللـه عنـه وكـان متكئـا فجلس، على رقبة كل ولي لله تعـالى من لـدن آدم إلى النفخ في الصور».

قال الشيخ عمر رضي الله عنـه: قلتُ: قـد أخبرني شيخي وسيدي محمد الغـالي الشـريف الحسني وأنا معه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضـل الصـلاة والسـلام أن الشـيخ رضـي اللـه تعـالى عنـه قـال ذات ليلـة في مجلسـه: أين السيد محمـد الغـالي؟ فجعـل أصـحابه ينـادون: أين السيد الغالي؟ على عادة الناس مـع الكبـير إذا نادى أحدا. فلما حضر بين يدي الشـيخ، قـال رضي الله عنه: «قدماي هاتـان على رقبـة كـل ولي لله تعالى»، فقال له سيدي محمـد الغـالي وكان لا يخافه لأنه من أكابر أحبابه وأفرادهم: يا سيدي ، أنت في الصحو و البقاء أو في السـكر و الفناء؟ فقال رضي الله عنه: «أنا في الصـحو و البقاء وكمال العقل لله الحمد»، وقلت له: ما تقول في قـول سـيدي عبـد القـادر رضـي اللـه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعـالى؟ فقال: «صدق رضي الله تعالى عنه يعـني أهـل عصره، وأما أنا فأقول قدماي هاتان على رقبـة كل ولي لله تعـالى من لـدن آدم إلى النفخ في الصور»، قال: فقلت له: يا سيدي فكيف تقـول

إذا قال أحد بعدك مثل ما قلت؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «لا يقول ذلك أحد بعدي» قال فقلت له: يا سيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا، ألم يكن الله سبحانه قادرا على أن يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات أكثر مما أعطاك؟ فقال رضي الله عنه: «بل قادر على ذلك وأكثر منه ولكنه لا يفعله لأنه لم يرده، ألم يكن قادرا على أن ينبىء أحدًا ويرسله إلى الخلق ويُعطيه أكثر مما أعطى محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم؟» قال: قلت بلى لكنه تعالى لا يفعله لأنه ما أراده في الأزل، فقال رضي الله تعالى عنه: «وهذا هكذا، ما أراده الله في الأزل ولم يسبق على علمه تعالى».

وقال رضي الله عنه: «أعطاني الله تعالى في السبع المثاني -وهو فاتحة الكتاب- ما لم يعطه للأنبياء».

وقال رضي الله عنه: «إن الله أعطاني ما لم يعطه لأحد من الشيوخ أبدا فضلا منه وجودا سبحانه عز وجل بلا استحقاق شيء عليه بل في سابق أزله قضى بذلك، فله الحمد ومزيد الشكر».

وقال رضي الله عنه: «أعطاني الله عز وجل الشفاعة في أهل عصري من حين ولادتي إلى حين مماتي». زاد الخلفية المعظم الأكبر، والعارف الأشهر، سيدي الحاج علي حرازم

برادة رضي الله عنه ما نصه: وزيادة عشرين سنة بعد وفاته.

قال الشيخ عمر رضي الله عنه قلت: قد أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ رضي الله عنه توفي عام ثلاثين ومائتين وألف.

قال: ولا يحرم من هذا الخير العظيم من غير عمل ولا كلفة ولا مشقة إلا من حرم بالإنكار والانتقاد.

وقال رضي الله عنه: « كل الطرق تدخل في طريق الشاذلي إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية فإنها مستقلة بنفسها، فلا ينبغي لها إلا التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا صلى الله عليه وسلم قال لي: «لا يصلك شيء إلا على يدي» وهو الذي ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى حمدا وشكرا لله».

وقال رضي الله عنه: «كل طريق تدخل عليه طريقتنا فتبطلها، وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره».

وقال رضي الله عنه: «من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق أمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله تعالى ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى».

وقال رضـي اللـه عنـه: «إن جميـع الأوليـاء يـدخلون زمرتنـا ويأخـذون أورادنـا ويتمسـكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة، حتى الإمام المهـدي رضـي اللـه تعـالى عنـه إذا قـام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعـد مماتنـا وانتقالنا إلى دار البقاء».

وقال رضـي اللـه عنـه تحـدُّثا لأصـحابه بمـا أنعم اللـه تعـالى عليـه وتفضـل بعـد البسـملة والحمدلة والصلاة على رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: «يليه إعلامكم بأن فضل الله لا حد له، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأقـول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من صغر شأنه ومن كـبر، وأن جميع الأولياء من عصر الصـحابة إلى النفخ في الصـور ليس فيهم من يصـل مقامنـا ولا يقاربه، لبُعد مَرامه عن جميع العقول، وصـعوبة مسلكه عن أكـابر الفحـول، ولم أقـل لكم ذلـك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقـا. وليس لأحد من الرجال أن يُـدخل كافَّة أصـحابه الجنة بغـير حسـاب ولا عقـاب، ولـو عملـوا من الذنوب ما عمِلوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا، إلا أنـا وَحْـدي. ووراء ذلـك مـا ذكـر لي فيهم، وضمنه صلى الله عليـه وسـلم أمـر لا يحـلّ لي ذكره، ولا يُرى ولا يُعرف إلا في الآخرة». اهـ.

وللـه در المحب العلامـة النحريـر، المتبحـر أبي العبـاس سـيدي أحمـد بن بابـا الشـنجيطي

العلوي الشهير، حيث قال في منيته رضي اللــه عنه:

وكم لهــذا الشــيخ من كرامــةْ=غــدت على رِفعته علامَةْ
فما عليَّ إن ذكرتُ منهـا=مـا يُنْـبئُ الغافـل يوما عنها
ومـــا بـــه أُبَجِّحُ المريـــدا=وأردع الـــــمُنكِرَ والـمَرِيدا
فلَا يُطيق حصرها إنسانُ=يوما وعنـه يعجـز اللسانُ
وهـل يُعَـدَّدُ حصـى البطحـاءِ=أو هـل تكتُّ أنجم السماءِ
من ذلك اتباعه للسـنة=وهـو لـدى الرّجـال خيرُ منَّة
وكان في ذاك لا يُجـارَى=ولا يُضـاهى لا ولا يُبارى
وكان من صِغَره مذكورا=عنـه ومـا زال بـه مشهورا
ومنه رؤيةُ النبي الهادي=وهي لـديهم غايـة المراد
وعنه لا يغيب لمحَ بصرِ=يقظـة فيـا لـه من منظر
في يوم الإثنين أو الجُمعة=رائيه يدخل غـدا في الجنة
بلا حسـاب لا ولا عقـابِ=بـل هـو آمن من العذاب

وكـل مـا يُملي فعن خـير الـورى=مـترجم بلفظه بلا مِرا
ومنـه أَن ربـه قـد شـفَّعهْ=في كـل من قـد كان في العصر معَهْ
وزيد عشرون من السنينا=لشيخنا مُصـحَّحا يقينا
ومنه أن خـاتم الرِّسـالةْ=قـال لـه مـا لبلال قاله
وقِيل للشيخ رفيع الـذكْرِ=مـا لابْن داود أتى في الذِّكرِ
من قَوله هذا عطاؤنا إلى=آخرهـا ومثـل ذا لن يُحظلا
وكل ما ينـال كـل عـارفْ=من الخلال ومن المعارفْ
فشيخنا أمدَّه من النَّبِي=وحزبه بنيله للرتَبِ
فخضعت رقاب الأولياءِ=لقدَمَيْ شــيخي بلَا امتراءِ
يصعد منبرًا من النور غدا=يسـمو بـه الكـل سنًى وسُوددا
ثم ينادي عند ذا مُنادي=يـا أهـل ذا الحشـر وهذا النَّادي
هـذا إمـامكم وذا مُمـدُّكُم=في دار دُنيـاكم بغير علمكُم
طائفةٌ من صـحبه لـو اجتمـعْ=أقطـابُ أمـة النبي المتَّبَع
مـا وزنـوا شـعرة من فـرْد=منهـا فكيـف بالإمام الفَرْد

جعلنا من خلـق البريَّةْ=من هـذه الطائفـة العليةْ
وعنه في عدد هذه الفئـةْ=مِن صـحبه أكـثر من ستمائةْ
وكم خصائص للاسْم الأعظم=لغـيرِ شـيخنا الرضا لم تُعلم
وكم فَدَافِدَ له قد طُويتْ=وكم جمادات لــه تكلمت
(زاد صاحب العضب هنا:
وكم تــدور الكعبــة الشــريفة=بشــيخنا ذي الرتبة المنيفة/مؤلفه)
وكم يُكاشَفُ به ممَّا يُـرى=مطابقـا لمـا بـه قد أخبَرا
وكم تصرف لذا الوَلِيِّ=في العـالم العُلـوِي والسُّفليِّ
وكم عِلِمْنَا لهُ من إبْراءِ=حَليـف أمـراض بلا دواءِ
وكم لـــه من دفْـــع خطب هائــل=ونصـــر مظلوم وردعِ صائل
وكم إغاثــة لــذي أســفار=في الضــنْكِ في البحار والبرارِي
وكم من الـوُلاة عن مرتبتـةْ=لظلمـه عزَلـه بهمَّتِهْ
وكم لــه من نصـــر وال لم يكُن=من قبــل ذاك واليا حتى يمن
وكم إغاثة بغيث وابلْ=لغوثنا في عام جدب ماحِلْ

وعُد تكثيرِ طعـام النَّزْر=من الكرامـة لهـذا الـحَبْر
دعاؤه كصارم بتَّار=مدده كصيِّب مدرار
فان دعا عليك فالخُسْرُ وإن=لك دعا فـأنت بالخير قمِن
ولم يواجهه بمكروه أحدْ=من الخلائـق على طُول الأَبَدْ
وكان محفوظًا من الأعداءِ=جميعها من غير ما مراءِ
وكم مريد نال فوق مُنْيِتهْ=من الولاية لأجل صُحْبتهْ
كحِبِّ طه المصطفى ابن العربي=من نــال من مولاه أعلى الرتب
وكخديمه الرضا عَلِيِّ=حرازم ذي المنصــب العليِّ
وكالفقيــه العــالم ابن المشــري=صــاحب شيخنا رفيع الذِّكرِ
والتونسـي سـيدي محمـود=صـفي شـيخنا كثير الجود
والعلوي الـوارث الربـاني=سـيدنا الحافـظ ذي العرفان
وكالشـريف ذي المزايـا الغـالي=والسـيد المفضل المفضال
وغـوث عصـرنا التماسِـني=قطب الــورى سيدنا علي
والغيرمّن أدرك الولايـةْ=من صـحبه وفـاز بالعنايةْ

وكم إمام عالم علَّامَةْ=نقَّادة درَّاكة فهَّامةْ
من ورد شيخنا الإمام قـد ورد=حـتى تضـلَّع وفاز بالـمَدَد
كترجمان العلم والقـرآنِ=السـالك العلامـة الودانِي
والعُمَـــري الســـيد الحفْيَـــانِ=ذي العلم والصلاحِ والعرفانِ
والعلـــوي حِبْـــر شـــنجيط العَلَم=الطـــالب العلامة البحر الخِضم
والتونسي العالم الرياحي=جـامع بين العلم والصلاح
وغيرهم من علمـاء السـنةْ=أهـل الفضـائل وأهل المنَّةْ
لاشك أن شيخنا التجاني=ممِـدُّ كـل عـارفٍ صمداني
يُعطي ويَمنـــعُ ويســـلُب فَمن=كمثلـــه من الورى في ذا الزمَن
ومعَ ما تـرى من الخـوارق=على يـديْ هـذا الإمام الفائق
يُخفي الخوارق خفاء غايَةْ=ويبغض المدَّعي للولايَةْ
وكـــان يَنهي النـــاسَ عن دعواهـــا=مخافـــة السّقوط في بلواها
اهـ.

وهذه رشحة من رشـحات قطب الأقطـاب، ونقطة من بحر مناقبه الخضم العباب، وإلا (...) ربما يسـتغرق الأوقـات، ويفضـي إلى الإسـهاب

الممـل ولـو في حالـة من الحـالات، وقـد ألم بعبارة منها الخليفة بمغربنا، وحجة الله بقطرنا، مولانا محمد العربي بن سائح في بغيته، الدالـة على غزارة علمه، فمن أراد ذلـك فلينظـر فيهـا جزاه اللـه عن المسـلمين وخصوصًـا أهـل هـذا الطريـق، بمـا جـزى بـه كـل عـارف ومحبـوب وصديق، آمين.

## فصل في ذكر بعض ما تفضل به على أصحاب هذا السيد المعطي المتفضل المفضال لأجله رضي الله عنه لا غير سبحان الكبير المتعال

وقد ساق شيئا منها صاحب الرمـاح الشـيخ عمر الفوتي رحمه الله ورضـي عنـه فيهـا وفي سـيوفه، ولنسـتغن بمـا فيهـا أي سـيوفه وفيـه الغـنى لمن اكتفى بـه، ونصـه نقلا عن الجـواهر عن شـيخنا علم الأعلام، بـالمعنى دون اللفـظ المناسب للمقام، مع زيـادة توطئـة لمـا بعـدها، وتبشيرا لمن سبقت لـه العنايـة الربانيـة، فأخـذ هذا الطريق ودخلها، أو تعلق به ولـو بوجـه مـا، كما ستراه منتظما:

اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لنيل هذا الخير العظيم، والفوز العميم، الذي يوجد من غير عمل منك ولا كسب ولا مشقة ولا يُحرم منه إلا من حرم نفسه، أن الله بفضله وكرمه تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم بأمور ضمنها له جده ومحبه وحبه سيد الوجود، وعلم الشهود، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، وأكثر تلك الأمور لا يحل ذكره ولا إفشاؤه، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة.

وذكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه منها أمورا جملة كافية يستبشر بها المعتقد، على رغم المنتقد، فلذلك أردنا أن نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره، ونمسك عما ينبغي كتمه.

فالتي رأينا أن نذكر منها أربعة وثلاثين فضيلة: أربع عشرة منها تحصل لجميع من تعلق به بالتسليم له والاعتقاد، وتعظيمه ومحبته وترك الاعتراض عليه والانتقاد، وبمحبة أهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم إذايتهم؛ والباقية يختص بها أهل طريقته، المتمسكون بأوراده.

فلنبدأ بالقسم الأول فنقول:

-الأولى أن جده صلى الله عليه وسلم ضمن له أن يموتوا على الإيمان والإسلام.

-والثانية أن يخفف الله تعالى عنهم سكرات الموت.

-والثالثة أن لا يروا في قبورهم إلا ما يسرهم.
-والرابعة أن يؤمنهم الله تعالى من جميع عذابه وعقابه، وتهويله وتخويفه ورعبه، وجميع الشرور، من الموت إلى المستقر في الجنة.
-والخامسة أن يغفر الله تعالى جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر.
-والسادسة أن يؤدي الله تعالى جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم.
-والسابعة أن لا يحاسبهم الله تعالى، ولا يناقشهم، ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة.
-والثامنة أن يظلهم الله تعالى بظل عرشه يوم القيامة.
-والتاسعة أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة.
-والعاشرة أن يسقيهم الله تعالى من حوضه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.
-والحادية عشر أن يدخلهم الله تعالى الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى.
-والثانية عشر أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن.
وسبب ضمانه صلى الله عليه وسلم كل ما ذكر أنه رضي الله تعالى عنه لما رأى ما صدر

له (رضي الله عنه) من جده صلى الله عليه وسلم من المحبة، وصرح له بها، تذكر أصحابه ومن وصله إحسانه وأهل طريقته، وكتب كتابا وطلب فيه لنفسه ولهم ولغيرهم ممن لم أذكرهم جميع هذه المطالب، وجعله في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما نظر صلى الله عليه وسلم إلى المكتوب، أجابه بأنه صلى الله عليه وسلم ضمن له جميع ما طلبه. وقد طلب جميع هذه المطالب أيضا منه صلى الله عليه وسلم بغير كتاب مشافهة، وضمن له صلى الله عليه وسلم جميع ما طلب.

وزبدة السؤال: «أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لي ولجميع هؤلاء أن نموت أنا وكل حي منهم على الإيمان والإسلام، وأن يؤمننا الله تعالى وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور»، إلى آخر ما ذكر رضي الله تعالى عنه. وقد ذكر أمورا تتحير فيها العقول، وتعجز عنها الأفكار والنقول، فمن أرادها فليتبعها في جواهر المعاني.

-والثالثة عشر أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب كل من أحبه رضي الله تعالى عنه.

-والرابعة عشر أنه لا يموت حتى يكون وليا. قال رضي الله عنه: «أخبرني سيد الوجود بأنه لا يموت حتى يكون وليا قطعا»، وقال رضي الله عنه: «قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنت من الآمنين ومن أحبك

من الآمنين، أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي، وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار»، وقال رضي الله عنه: «أبشروا أن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة (كان) ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله»، وقال: «وأما من كان محبا ولم يأخذ الورد فلا يخرج من الدنيا حتى يكون وليا».

فلنجعل هذا آخر القسم الأول، ونشرع فيما اختص به أهل طريقته المتمسكون بأوراده:

-والخامسة عشر أن أبوي -زاد صاحب الجواهر أبوي أزواجه كما في بعض الهوامش اهـ مؤلفه- آخذ ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، مع أن أحدا منهم لم يكن له تعلق به بوجه من وجوه التعلقات، وإنما نالوا هذا الفضل العظيم بسبب هذا الآخذ.

قال رضي الله تعالى عنه: «ومن أخذ عني الورد المعلوم» إلى آخره كما في جواهر المعاني، فمن أراده فليطالعه فيه فإنه ذكر خيرا يجب كتمه.

-والسادسة عشر أنهم تلاميذ للنبي صلى الله عليه وسلم.

-والسابعة عشر أن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم أصحابه، قال رضي الله عنه: «قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنت من الآمنين» إلخ، انظر جواهر المعاني.

-والثامنة عشر أن كل من يؤذيهم فإنه يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن محاورة وقعت بين رجلين من أصحابه فأمره أن يصلح بينهما بالفور، ثم أخبر رضي الله تعالى عنه أنه وقع الأمر بالاصلاح بينهما من النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره عليه الصلاة والسلام بأن يؤذيه صلى الله عليه وسلم ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنا وعنه.

-والتاسعة عشر أن الإمام المهدي المنتظر، انظر الإفادة الأحمدية.

-والموفية عشرون أن أهل طريقته كلهم أعلى مرتبة من أكابر الأقطاب، قال رضي الله تعالى عنه: «لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار لا يلحقون مراتب أصحابنا»، وقال رضي الله تعالى عنه: «لو اطلع أكابر الأقطاب» إلخ، انظر منية المريد، وقال رضي الله تعالى عنه: «وليس لأحد من الرجال»، انظر جواهر المعاني.

-والحادية والعشرون أنهم ينالون من ثواب الأذكار العالية من الاسم الأعظم الكبير وما دونه ما لا يناله منها أكابر العارفين والأقطاب، قال رضي الله عنه بعد ذكر ثواب الأقطاب الذين كانوا قبله من ذكر الاسم الأعظم وثواب أهل طريقته من ذكره الاسم الأعظم من ذكرهم هم الكنز المطلسم: «ولعلك ترى أن ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب

واحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلـك من قلة التأمل، وإذا تأملت ثـواب القطب من قبـل هذا الوقت مع ثـواب مـرة واحـدة من أصـحابنا بان لك أن ثواب القطب من قبلنا بالنسـبة إلى ثواب مـرة واحـدة من ذكـر واحـد من أصـحابنا كبصقة في البحر المحيط». ولما قيل له رضـي اللـه تعـالى عنـه: بم نـالوا ذلـك؟ قـال: «من اجلي».

-والثانية والعشرون أن اللـه تعـالى يُعطيهم من عمل كل عامل إلخ، انظر منيـة المريـد في فضل ما أعـد اللـه لأصـحابه رضـي اللـه تعـالى عنه.

-والثالثة والعشرون أن من آحـادهم من إذا رآه شـخص يـوم الإثـنين أو يـوم الجمعـة فـإن الرائي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية.

-والرابعـة والعشـرون أن منهم من إذا رآه شخص وقال له الرائي: اشهد أني رأيتك، وقال له المرئي: شهدت لك أنك رأيتني، فإن الـرائي يدخل الجنة.

-والخامسة والعشرون أن لهم في المحشر موضعا في ظل العـرش يكونـون فيـه وحـدهم، قـال رضـي اللـه تعـالى عنـه: «إن أصـحابنا لا يدخلون حفرة المحشر مع النـاس، ولا يـذوقون مشقة، ولا يرون محنة، من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين»، وقال رضي اللـه تعـالى عنـه: «إن أصـحابنا يـوم القيامـة ليسـوا في

الموقف بل هم مكتنفون في ظـل العـرش في موضع وحدهم، ولا يقدَّم عليهم أحـد في دخـول الجنة إلا الصحابة رضي الله تعالى عنهم».

-والسادســـة والعشـــرون أنهم في أعلى علــيين، وأمــا أحبابــه الــذين ليســوا من أهــل طريقته وأوراده فغاية أمرهم كونهم في عليين، قال رضي الله تعالى عنه: «أصحابي في جواره صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين مع أولي العـزم من الرسـل وغـيرهم من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام».

-والسابعة والعشرون أن لهم برزخا وحدهم وبعض الرسل، وأخبرنا أيضا قـدس اللـه تعـالى روحه أن لهم برزخا يستقلون به، وهذا كلـه من كثرة الاعتناء بهم لما خصهم الله تعـالى بـه من معرفته ومحبته.

-والثامنــة والعشـــرون أنهم لا يحضـــرون أهوال الموقف، ولا يرون صواعقه وزلازله، بــل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلون مـع المصـطفى صـلى اللـه عليـه وسـلم في الزمرة الأولى مـع أصـحابه، ويكـون مسـتقرهم في جـواره صـلى اللـه عليـه وسـلم في أعلى عليين مجاورين أصحابه صلى الله عليه وسـلم، فسـبحان المتفضـل بمـا شـاء على من شـاء اختيارا منه لا تحكم عليه في شيء.

-والتاسعة والعشرون أن أكثرهم يحصل لـه في كل يوم فضل زيارته صلى الله عليه وسـلم في روضــته الشــريفة وجميــع أوليــاء اللــه

والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك، قـال رضي الله تعـالى عنـه: «أعطـاني رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم صـلاة تسـمى جـوهرة الكمال، كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله، فكأنمـا زاره في روضـته الشـريفة، وكأنمـا زار أوليـاء اللـه والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك».

-والموفية ثلاثون أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مـع أهـل هـذه الطريقة في كـل يـوم، قـال رضـي اللـه تعـالى عنه: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأها سبعا فأكثر يحضره النبي صلى الله عليـه وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها».

قلتُ: قـد منَّ اللـه تعـالى على إخواننـا في الطريقة بأنها تذكر في الوظيفـة اثنـتي عشـرة مرة، فإنها تكفي أهل الكسل.

-والحاديـة والثلاثـون أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يحبهم محبـة خاصـة، غـير الـتي تقدمت لهم ولجميع الأحباب في القسـم الأول، قال رضي الله تعالى عنه: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة ولا يموت حتى يكون وليا».

قلت: وهـذا الفضـل أيضـا حاصـل لأهـل الكسل لاشـتمال الوظيفـة عليـه إلا إذا كـانوا لا يقرؤونها في الوظيفة.

-والثانية والثلاثون أن لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرفون بها أنهم تلاميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراؤه، وهي (أن) ما من أحد منهم إلا وبين عينيه مكتوب بطابع النبي صلى الله عليه وسلم: «**محمد رسول الله**»، وعلى قلبه مما يلي ظهره: «**محمد بن عبد الله رسول الله**»، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه: «**الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية**».

والثالثة والثلاثون أن لهم من الله تعالى لطفا خاصا بهم. أخبرني سيدي محمد الغالي الشريف الحسني، الذي قال له جده سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: «من نظر إليك غفر الله تعالى له»، أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قال: «إن لأهل هذه الطريقة من الله تعالى لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم»، ولذا قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها».

-والرابعة والثلاثون أن كل من لم يحترمهم وكان يؤذيهم طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان صلى الله عليه وسلم يغار لأصحابه، لأن أهلها فقراؤه وتلاميذه كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله تعالى عنه: «إذا مر أصحابك

بأصحابي فليزوروهم فقط، وأما غيرهم من الأولياء فلا»، وذلك كله لشدة اعتنائهم بأهلها لأجل حبيبه وولده الذي قال له: «أنت ولدي حقا» قال له: «أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي»، وقال لبعض أصحابه رضي الله تعالى عنه: «أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الحبيب»، وقال صلى الله عليه وسلم لمن أرسله إليه رضي الله تعالى عنه يقظة لا مناما: «قل لحبيبي التجاني» إلخ -ولعله يشير إلى قضية العربي الدمراوي رضي الله عنه. قاله مؤلفه-.

ولشدة محبته صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله تعالى عنه أخبره أن كل من أحبه لا يموت حتى يكون وليا، وضمن له أن من سبه وداوم على ذلك لا يموت إلا كافرا.

وهذه المحبة منه صلى الله عليه وسلم لشيخنا رضي الله تعالى عنه هي التي سرت منه صلى الله عليه وسلم إلى أهل طريقته، حتى قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه: «قل لأصحابك لا يؤذوني بإذاية بعضهم بعضا».

وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أمر الشيخ أن يصلح بين اثنين من أصحابه، وكان قد وقعت خصومة بينهما، وأخبره أنه يؤذيه ما يؤذي أصحابه رضي الله عنه، وذلك لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم لئلا يصيبهم ضرر من إذاية بعضهم بعضا، لأن من آذى واحدا منهم فقد آذاه صلى الله عليه وسلم، كما قال

صلى الله عليه وسلم في حق أصحابه رضي الله عنهم: «لا تؤذوني في أصحابي» أو كما قال، ولهذا قال رضي الله تعالى عنه وعنا به: «إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره، ليس هي ما أفشيته لكم، ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمَّن عداهم، وليست هي التي ذكرت لكم بل من ورائها. ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله عن قربه وسلبه ما منحه»، نعوذ بالله تعالى من الطرد والسلب بعد العطاء.

قلتُ: وقد منَّ الله تعالى عليَّ بفضله وكرمه بمعرفة أمور عظام، وأسرار جسام، وخيرات ضخام، في هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية، على يد بعض الرجال، ومنَّ عليَّ أيضًا وأطلعني على أمور وأسرار وأنوار منها ببركة صاحبها رضي الله تعالى عنه وجده صلى الله عليه وسلم، ولا يسعني في هذا الوقت ذكر شيء منها. اهـ. بخ. وفيه تصحيف فاحش يحتاج إلى فتح إلهي، ونور محمدي أحمدي، في أصله من سيوف الشيخ عمر الشريف السوداني الفوتي الفودي، فليراجع فيه أو في الرماح، رضي الله تعالى عنه وسقى ضريحه شآبيب الرحمات ما هبَّت الصبا وانفلق الإصباح.

## فصل له تعلق بما قبله يليه
## وله نسبة به وأي نسبة فيه

قال الشيخ عمر رضي الله عنه في السيوف:
قلتُ: ومن أهم ما ينبغي ذكره ليتنبَّه له كل موفَّق الدائرة العظيمة التي أوقع الله فيها هذا الشيخ العظيم، وأهل طريقته وحزبه الصميم، وليتبيَّن لكل ناظر في هذا المحل أنه لا ينكر فضله رضي الله تعالى عنه ويستغربه، أو ينكر فضل طريقته وأهلها ويستغربه، إلا من غفل عن هذه الدائرة العظيمة وجهل أنها هي دائرة طريقته، وفيها يسبح أهلها، وكان مسجونا في سجن عقله، جاهلا بسعة فضل ربه، وكونه مختارا يفضل من يشاء على من يشاء، ويعطي من يشاء ما يشاء، لا يسأل عما يفعل، فأقول وبالله التوفيق: -قلتُ: وقد رسمها رضي الله تعالى عنه بكتابه الرماح فانظرها فيه أيها المحب الصفي الصادق المقتفي هـ مؤلفه-

اعلم أن لله سبحانه وتعالى دائرة تسمى الدائرة الفضلية، وتلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي، والجزاء خيرا وشرا، والاعتبارات، واللوازم، والمقتضيات، فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم

الخلق، وتلك الدائرة الفضلية دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه.

وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضا من بحر الجود والكرم، لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع، بل الأمر فيها على اختصاص مشيئته فقط، ولا يبالي بمن كان وفى بالعهود أم لا، انتهج الصراط المستقيم أم سقط من المعاصي في الطريق الوخيم، ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ما أعطى، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله تعالى كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم، وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي، وجعلها سبحانه وتعالى دائرة أهل طريقته وأوقعهم فيها فضلا منه سبحانه وتعالى وجودا وكرما، لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم، الذي جمع له بين مقام المحبة والخلة الناشئتين من هذه الدائرة التي بها اتخذ الله تعالى نبينا محمدا حبيبا وخليلا، وسيدنا إبراهيم عليه السلام خليلا، لوراثته إياهما عن هذين النبيئين. ولذلك كانت طريقته رضي الله تعالى عنه طريقة المحبة والشكر **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**، أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

وكانت أسهل الطرق على الإطلاق، وكان أهلها محبوبين مقبولين على أي حالة كانوا ما لم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله، ومن بحرها ... إليه له جده سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم حتى أحبه صلى الله عليه وسلم محبة لا تعرف ولا تكيف -ولا تكشف-، ومن بحرها جعله الله القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، المحمدي المعلوم، ومركزا يتفجر منه لجميع الأغواث الفيوض والعلوم، سيبين ذلك في المحشر تصديقا بالنبي المعصوم، إذا نادى مُنادٍ: يَا أَهْلَ المحشر هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعور منكم، ومن بحرها تفضل علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم الأعظم وبكيفيات منه، ما تفضل بها على غيره، وبدائرة الإحاطة الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم، وبالياقوتة الفريدة التي هي خاصة به صلى الله عليه وسلم، وبإطلاقه رضي الله تعالى عنه في إعطاء جميع أوراده من الاسم الأعظم الكبير وما دونه لمن شاء ومنعها عمن شاء، وكذا جميع من قدمه رضي الله تعالى عنه، ومن قدمه من قدمه، هكذا الأمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكان يقول رضي الله عنه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»، وهذا في غير الأوراد اللازمة للطريق فإنها لا تمنع ممن قبل شروطها.

وفي هذه الدائرة الفضلية قال مولانا جل وعلا: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾، وقال: ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾، وقال: ﴿**وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾، وقال: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ إلى قوله: ﴿**مَنْ يَشَاءُ**﴾، وقال: ﴿**فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، وقال: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾، وقال: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا**﴾، وقال: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾، وقال: ﴿**إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**﴾، وقال: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ إلى: ﴿**يَجْمَعُونَ**﴾، وقال: ﴿**لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ**﴾ إلى: ﴿**الْعَظِيمِ**﴾، وقال: ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ إلى: ﴿**الْعَظِيمِ**﴾.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ**

**سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيتُمْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**»، وفي رواية: «**فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا رَبَّنَا**» الحديث.

والأحاديث الدالة على هذه الدائرة كثيرة، وإنما نبهنا على هذه الدائرة مع أننا قد أودعنا في الفصول المتقدمة ما ينفر كل عاقل من الإنكار لكون غرضنا في هذا الكتاب سد باب الإنكار على السادات الأخيار ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾.

وقال رضي الله تعالى عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبره بقوله عليه الصلاة والسلام: «**بعزة ربي يوم الإثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك وكل من يراك في اليومين تكتب الملائكة اسمه**

**في ورقـة من ذهب ويكتبونـه من أهـل الجنة»**. اهـ. بخ. وزيادة من السيوف.

# فصل في التعريف بشيخنا الغوث الرباني، والفرد الصمداني
# أبي العباس مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه

ونسبه، وعشيرته، ومولده، ووفاتـه، وسـنه، وسـيرته، ورحمـه، ولباسـه، وأخلاقـه، وأدبـه، وصـفته، وعلمـه، وحلمـه، وكرمـه، وفتوتـه، ووفاته.

وأسـلك في ترتيبـه مـا سـلكه صـاحب الميزاب تبعـا لجـامع الجـواهر خليفـة شـيخنا قطب الأقطـاب رضـي اللـه عنهم وعنـا بهم، فأقول:

قال صاحب جواهر المعاني، وبلوغ الأماني، في فيض أبي العبـاس سـيدي أحمـد التجـاني، وهـو سـيدي الحـاج علي حـرازم بن العـربي المغـربي الفاسـي، أحـد كـبراء خاصـة تلامـذة الشيخ التجاني رضي الله عنه:

هو -يعني الشيخ رضـي اللـه عنـه وأرضـاه- من العلمـاء العـاملين، والأئمـة المهتـدين، ومن

جمع بين شرف الجرثومة والدين، وشَرَفَ العلم والعمل والأحوال الربانيَّة الشريفة، والمقامات العليَّة المنيفة، والهمَّة العالية السماويَّة، والأخلاق الزكيَّة الرحمانية، والطريقة السَّنيَّة السُّنية، والعلم اللدني، والسر الرباني، القطب الجامع، والغوث النافع، الوارث الرَّحماني، والإمام الربَّاني، مَنْ أقامَهُ اللهُ في وقته رحمة للعباد، وبركة ونورًا في البلاد، موضع نظره من خلقه وخزانة سرِّه، ومظهر نفوذ تصريفه، فيَّاض المدد والإمداد، كثير النفع للعباد، عنده الكيمياء الخاصة التي تقلب الأعيان، وتُحيل نُحاسَ النفوس إبريزًا في أقرب زمان، فيصير ظلامها نورا، وحُزنها سرورا، وتُمِيط خبث شهواتها، وتلطف كثافتها، فانتفع جل العباد، في أقطار البلاد، بمدده الرباني، وسرِّهِ الشريف المحمَّدي الصمداني، من غير مجاهدة ولا تعب بمحض فيضه وفضله الرحماني، العالم بالله، الناصِر لسُنَّة رسول الله، ذو السيرة النبوية، والأخلاق المحمدية، الدال على الله بحاله ومقاله، الداعي إليه بإذنه بخلاله وفعاله، صدر الصدور، الفيّاض النور، الحُجَّة الأعمد، شهاب الدين سيدي أبو العباس أحمد.

ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضي، ونشأ بها في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، وتُقَى وديانة، محفوظًا بحفظ الله سبحانه، محروسًا بالعناية، محفوفًا

بالرعاية، مقبلا على الجِـد والاجتهـاد، مـائلا إلى الرشد والإنفاد، مشتغلا بالقراءة، معتادا للتلاوة، عـالي الهمـة، متواضـعا معظمـا عنـد الخاصـة والعامة.

قال صاحب الميزاب: قلتُ: وتـوفي رحمـه الله -أي فجر يوم الخميس سابع عشـر شـوال الأبـرك- بفـاس ودفن بهـا -أي بزاويتـه بالبلديـة رضي الله عنه- سنة ثلاثين ومائتين وألف.

حَفِـظَ القـرآن في صـغره حِفْظـا جيـدا في سبعة أعوام، من رواية نافع، على الشيخ العالم الصالح والأستاذ أبي عبد الله سيدي محمـد ابن حم التجـاني، وقـرأ هـو رضـي اللـه عنـه على شيخه سيدي عيسى بُوعكاز المضاوي التجـاني، وكان رجلا صالحا مشهورا بالولاية، وكان مؤدِّبـا للصبيان أيضا بالقرية المـذكورة، وقـد ذكـر أنـه رأى رب العـزة في النـوم وقـرأ عليـه القـرآن برواية ورش مِنْ أوَّلِهِ إلى آخِره، فقال لـه ربّـه: هكذا أُنْزِلَ، وحصَلَ على يديْـه النفـعَ في قـراءة القرآن. ثمّ بعد حفظه القـرآن اشـتغل بـالعلوم الأصـولية والفروعيـة حـتى رَأسَ فيهـا وحصَّـل معانيها. فقرأ على شيخه العلامة، العارف باللـه الدراكة، سـيدي المـبروك بن بُعافيـة المضـاوي التجـاني، قـرأ عليـه مختصـر الشـيخ خليـل والرسـالة ومقدمـة ابن رشـد والأخضـري، ثم تمادى في طلب العلم زمانـا ببلـده حتّى حصـل من العلوم ما انتفع به، وكان يدرس ويفتى.

ثمّ مال رضي الله عنه إلى طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الإلهية حتى تبحر في فهم علومها، والأحوال والمقامات والعلل والوقت والحال، وله أجوبة في فنون العلوم فأبدى فيها وأعاد، وحرز المعقول والمنقول وأفاد.

ثم اشتغل بالطاعة، وحُبِّبَت إليه العبادة، وتاقت إليه همته بالزهادة، فكان يُكثِر القيام في الليالي المتطاولة، حتّى (إذا) بلغ الأشدّ أرشده الله بسابق عنايته، لِمَا أراد به من كرامته، فصار رضي الله عنه يدل على الله، وينصح عباد الله، وينصر سُنة رسول الله، ويُحيِي أمور الدين وقلوب المؤمنين، فأحيى الله به العباد، ونفع به الحاضر والباد، وقد أحيا الله به سُنَنَ مغربنا بعد دروس آثارها، وخمود أنوارها، فانتشر به اللهج بذكر الله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينظمنا في سلكه، وفي دائرة حزبه، بجاه حبيبه ونبيه محمد وآله وصحبه.

وأبوه رضي الله عنه هو الشيخ الإمام، كهف الإسلام، وملاذ الأنام، العالم الشهير، الورع الكبير، الدال على الله والجامع عليه، والداعي بحاله ومقاله إليه، أبو عبد الله صاحب الأنوار سيدي مَحمد بالفتح ابن المختار، وكان عالما ورعا، متبعا للسُّنة مدرسا ذاكرا، وكانت تأتيه الروحانية ويطلبون منه قضاء حوائجه ويقول لهم: أتركوني بيني وبين الله، لا حاجة

لي بالتعلق بسوى الله تعالى. وكان متعلقا بالله، قائما بالحق لله في سائر حركاته وسكناته، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأمه رضي الله عنها، هي السيدة الفاضلة، الزكية الكاملة، المطهَّرة الطيبة، الخيرة المنورة، فكانت رحمها الله كثيرة الإرضاء والبرور لوالده مع سعيها المشكور، قائمة بأداء حقوق بعلها الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، مطيعة لأمره وكلامه، شديدة الاعتناء بشأنه ومرامه، تتحرى مراده، وتهتم بما أراده، تراعي فيه حق مولاه، وما حق له وأولاه، الحرة النفيسة، السيدة عائشة بنت السيد الأثيل، الولي الجليل، سيدي مُحمد بالرفع ابن السنوسي التجاني المضاوي. ولهما أولاد غير شيخنا رضي الله عنه ذكورا وإناثا، وماتوا كلّهم رحمهم الله فلم يترك منهم إلا أخوه سيدي محمد ولدا وبنتا، فحازهما سيدنا رضي الله عنه.

وأمّا جَدُّهُ لأبيه رضي الله عنه، فهو السيد الأصيل، النزيه الجليل، ذو المروءة والصيانة، والحسب والمكانة والديانة، سيدي المختار بن أحمد. كان رضي الله عنه زكيا مرضيا، مِنْ أكابر الأعيان، وأفاضل الزمان.

وأمّا جَدُّهُ الثاني فهو عالم العلماء، وأمير الأمراء، الزاهد الورع، الناصح المتبع، أبو العباس سيدي أحمد بن مَحمد بالفتح.

ورابع الآباء لسيدنا رضي الله عنــه ذو النهج القويم، والخلق الكريم. وهذا السيد رضي اللــه عنه هو الذي وفد أولًا لعين ماضي وتوطّن بهــا، وبـنى وتـزوَّج من تجـان، فكـانوا أخـوالًا لسـيدنا رضي الله عنه، ولهذا ينتسبون للتجانيــة، وليس لهم نسـب لأهـل عين ماضـي بـل غلبت عليهم الكنية والشهرة لأجل مصاهرتهم لهم.

وأمـا نسـبه رضـي اللـه عنـه فهـو شـريف محقق، ويُرفع نسـبه إلى مولانـا محمـد الملقب بالنفس الزكيـة ابن مولانـا الحسـن بن الحسـن السبط بن مولانا علي رضي الله عنهم. ونســبه مــذكور في رسـومهم عنــد أوائلهم، فلم يلتفت سيدنا رضي الله عنه إلى ذلك لِـمَا هو عليه من الجِدِّ والاجتهـاد، ولم يكتـفِ بمـا هـو مـذكور من الآباء والأجداد، والرسوم وأخبار الأعيان والآحاد، حتَّى سألَ سـيد الوجـود، وعلم الشـهود، صـلى اللـه عليـه وسـلم في كـل نفس مشـهود، عن نسـبه، وهـل هـو من الأبنـاء والأولاد، ومن الآل والأحفاد، فأجابه صلى الله عليـه وسـلم بقولـه: **«أنت ولدي حقا»**، كرَّرهـا صـلى اللـه عليـه وسلم ثلاثا، وقـال لـه: **«نسبك إلى الحسـن بن علي صحيح»**، وهذا واقع يقظة لا مناما.

وأمّــا عشــيرته الأقربــون إليــه، فَهُمْ أولاد الشيخ سيدي محمـد رضـي اللـه عنـه، المكـنى بــأبي عمــر، وكــان حافظــا للقــرآن العزيــز، ومشاركا في علوم الشـريعة. وأختـه وشـقيقته السيدة رقية رضي الله عنها، فكانت أكـبر سـنًّا

من سيدنا رضي الله عنه، وكانت تأتيه إلى منزله ويكرمها ويواسيها ويرضيها حتى يبعثها لمكانها عين ماضي، فماتت وتركت ولدا اسمه عبد الله، حافظا للقرآن، ومشاركا في بعض العلوم، وله باع في علم الحساب، وهو من أصحابه وأخذ عنه.

فهؤلاء المعروفون عندنا من عشيرة شيخنا رضي الله عنه. اهـ. بخ.

# فصل
# في ذكر نبذ من سيرته المصطفوية وأخلاقه النبوية

ومن حق هذا الفصل أن يفرد بدفاتر، تبدي رشفة من بحره الزاخر، ليتقاصر عن الطمع في درك شم نفحاتها من كان ذا فهم قاصر، وجفن فاتر.

أما سيرته رضي الله عنه، فقد قال في الجواهر: لا خفاء أن الله أكمل لشيخنا وسيدنا

أبي العبـاس أحمـد التجـاني رضـي اللـه عنـه الشريعة، كما أكمل الله فيه الحقيقة، وسلك به بين صـــراطهما المســـتقيم أحســـن طريقـــة، فشرب منهما لبنا خالصا سـائغا، وورث منهمـا مقامـا كـاملا بالغـا، وتمكَّن من الحـاليْن، ورَقَى درجـة كـل من الكـامليْن، جاريًـا على مقتضـى الأمــرين، وســائرا (على) منهجهمــا الأعــدليْن، متكافئُ الطرفيْن، ومعتـدلُ الوصـفيْن، جبلًا بين سـهليْن، وبرزخًـا بين بحـريْن، لا يـذهب بحـرُه ببَرِّه، ولا يبعُد بَرُّه عن بحره، فقد مكَّنَه الله من الاتبــاع غايــة التمكين، وأنزلــه اللــه بــالمنزل المكين، فهــو رضــي اللــه عنــه في موافقــة الشــريعة ومتابعــة السـنة آيــة، قــد وصــل في التحافظ عليهـا الغايـة، وَقَّافٌ على حـدود اللـه، حافظٌ لحدود الله، واقفٌ على أوامره ونواهيــه، لا أحد في ذلك يقاربه أو يضاهيه.

قد حكَّمَ السُّـنة في نفسـه وعيالـه،وجعلهـا شِعاره في جميع أفعاله وأحوالـه، وأتقن رعايـة رعِيتــه في داره، على مــا كــانت عليــه زمن أسلافه من أمر الدين وشعاره، فـازدادت كمـالا على كمال، وجمالا على جمال، حتى طارت بهـا كلَّ مطار الأمثال، وأعوز سـيرها كثـير الرجـال، وتخلــق بــالأخلاق الشــرعية، وجميــع آدابهــا المرعية، فكان خلُقه القرآن، وكل مـا يـأمر بـه الرحمن، يرضى برضاه، ويسْـخط بسَـخَطه في كــل أمــوره، ويــأمر بــأمره، ويُحــذر بتحــذيره، فتحقــق بــالإرث من رســول اللــه والتحــق

بالسَّابقِين من أهل حزب الله، فتجده رضي الله عنه شديد الحزم في الدين، عالي الهمة فيه، شديد الحرص على مهماته، بعد القيام بواجباته، شديد التحرز والورع في الدين، كثير التحفظ فيه والتحرز للأحوَط، ما رأيت أشد حزما ولا أعظم ورعا منه، كله حزم وعزم، لا يحب التأويلات، ولا يميل إلى ارتكاب الرخص، عارفا عالما مدرسا للعلوم كلها، والسيرة النبوية بأسرها، بصيرا بما زاد عليها وما نقص يعانق الكمالات، ويسابق الغايات، ويسارع إلى الخيرات، يستمع القول فيتبِع أحسنه ويبادر للعمل به يغري على فعل المأمورات، ويحذر من الوقوع في المنهيات، ويعظم أمر الشرع العزيز، ويجل أمر النبي صلى الله عليه وسلمن وكثيرا ما يستشهد بقول الله: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ الآية، ويحب أن يفعل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فعله على سبيل الأمر، ولا يحب الخروج عن السنة في شيء من الأشياء ولو دعت إليه الضرورة وكان لا بأس به، فيقول: «الخير كله في اتباع السنة، والشر كله في مخالفتها»، ويحض على العمل بالعلم كثيرا وخصوصا لمن يشتغل به، فعلى قدر رياح السفينة جريانُها، وعلى قدر طبخ الحديد إحكامُ الصنعة فيه وإتقانُها.

وقد رزق هو رضي الله عنه من القوة في اتباعه أفعاله صلى الله عليه وسلم ما يكافئ

غزارة نوره، وعِظم حاله. وكثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات في أوقاتها وفي الجماعات وعلى قيام الليل لا سيما آخره، يحث عليه، ويداوم على غسل الجمعة ويؤكده لتأكيد سنته، ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلا بالرواح، ويلبس نقي ثيابه إن كان، وإلا ذهب للمسجد الجامع بما عليه. ولا تراه يتطيب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطِّيب لها مستحبا، ولا في سائر الأيام، وهو يحبه كثيرا ويجلب إليه، ولعله لأجل ما كثر من استعماله لأهل الرفاهية، وكثيرا من السفهاء يقصد الترفه. ويمشي هوينا في سعيه للصلوات كلها ويحب فاعل ذلك عملا بمقتضى الحديث: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأْتُوهَا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ**».

ومن شأنه رضي الله عنه أن يطلب التحقيق والتدقيق في كل شيء مما جل ودق، ليقف على التحقيق ويخرج بذلك من ربقة التقليد والتصديق، في كل أمر فرد فرد، حتى لقد احتوى على جميع العلوم الرسمية تحقيقا وتدقيقا وتفهما، وفي حل المشكلات، حتى صار إماما في سائر العلوم يرجع إليه، ويقصد في تبيينها لديه، عالما بعللها وحكمها، وأصولها وفروعها، واستنباطاتها ومفهومها ومنطوقها، وناسخها ومنسوخها. وتبحر رضي الله عنه في جميع العلوم النقلية والرسمية، حتى صار لا يضاهَى، ولا يقاس بحره ولا يتناهى، كما صار كذلك في علم الحقيقة على

ما هنالك، فاستجمع بذلك شروط المشيخة والاقتداء على وجهها، وأتى على حقيقتها وكنهها.

ويذكر الله تعالى في كل أحيانه، لا تفارقه سبحته، يحب الإكثار من ذكر الله ويحضّ عليه، ويواظب رضي الله عنه على أوراده بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى الأعلى في خلوته، وبعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في خلوته أيضا، وكذلك له ذكر مرتب بعد صلاة العصر إلى الغروب. وقال رضي الله عنه: «لا نذكر ذكرا إلا ما رتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم». وكثيرا ما يلازم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، ويحض أصحابه عليها لا سيما صلاة الفاتح لما أغلق، فإن فيها خير الدنيا وخير الآخرة، وبها تنال جميع المطالب، ويبلغ بها الطالب أنواع المآرب.

هذا حاله رضي الله عنه.

ويحفظ جوارحه مما نهى الله عنه، فيُعرِض عن اللغو وما لا يَعني، ويصون عنه لسانه، ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره، وإن نطق أحد بمنهي ردَّه إلى الصواب لا محالة، كائنا من كان لا يتساهل في ذلك، يحذر عن الغيبة غاية التحذير، وينفر عنها كل التنفير، ويذكر ما ورد في ذلك من آية أو حديث، ويُطْنِبُ في ذلك مبالغة في النكير، و يتحرَّى الصدق رضي الله عنه في حديثه، ويحض عليه

وعلى تحريـه، ويسـرُّه مَنْ صـادَقَه في حديثـه، ويسوءه من يكذب عليـه، ويعجبـه الصـادق في فعله الذي يظهر كل ما من شأنه أنْ يفَعَلَه ولـو كان قبيحـا ويستحسـنه، ويحظى عنـده صـدوق اللسان غاية الحظوة.

ولا يحب الإكثـار من الحلـف باللـه مخافـة الوقـوع في الحنث. ويغضّ طرفـه رضـي اللـه عنه، فلا تراه ذاهبا في الطريق إلا ناظرا موضع ممره ولا يلتفت، ذلك دأبه وعادتـه. فـإذا جلس مـع النـاس كـان الغـالب عليـه التغافـل عن أحوالهم، يـؤدِّب بـذلك كـل مَن حضـر لديـه، ولا يحب ملاقاة النـاس ولا الخـوض معهم على مـا هم فيـه، وإذا لقيَـه أحـد مِن أصـحابه لم يـزده على السلام عليكم، ولا يقدر أحد منهم أن يقبل يده، حمْلًا لهم على عدم التكلف، وميلا بهم إلى الأدب الباطني، وهـو الأدب الحقيقي، خِلافًا مـا اعتاده الناس من تقبيـل يـد كـل من يعظِّمونـه، هـذا شـأنه رضـي اللـه عنـه مـع من يعرفـه وخالطـــه، وأمـــا الأجنـــبيون فإنُّه يســـامحهم ويعذرهم مخافة أن يكسر قلوبهم، فلا يمـرُّ في طريــق إلا أكبَّ النــاس عليــه يســلمون عليــه بتقبيل أطرافه، وربما يزدحمون عليه وذلك لمـا يفــاجئهم من جلالتـــه ومهابتـــه، ويســـري إلى قلوبهم مما ألقى اللـه عليـه من محبتـه. وكـان رضي الله عنه في بدايته قبل هذه الأزمنة ينكر كثرة تقبيل يديْه ويزجر كل مَن فَعَلَهُ من قَـريب أو من بعيد، وأمـا بعـد ذلـك فلم يبـق على تلـك

الحال بل نقله الله إلى حالة الخلافة الدينية، فصار حاله على ما وصفناه رضي الله عنه وأرضاه.

يصلُ رحمه الديني والطيني، ويحضّ على القيام بحقوق الأقارب، ويوصي بالابتداء بهم عند إرادة المواساة عملا بما ورد في الحديث.

وأما رحِمه الديني فهو من أعظم الناس مواصلة، وأكثرهم برورا وإحسانا لأهل جانبه، يواسي إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة في الله بأنواع المواساة، ويحسن إليهم.

وأما لباسه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما تلبس عامة الناس، ولا يحب الامتياز بثوب حَسَن ولا قبيح.

ويشدد النكير في دعوى الفقر وما يشار إليه ويقول: «إلى الآن ما حصلت لنا التوبة والإيمان الكامل»، أو كلاما هذا معناه، تنبيها للسامعين، وإرشادا للتابعين، والتعليم بالفعل أبلغ نصحا، وأتم نجحا. فجزاه الله عنا خيرا، وزاده منة وبرًّا، وكثيرا ما نراه يستعيذ من الدعوى ويقول: «إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة».

ويطلب الخمول ولا يحب الظهور ولا مَنْ يتعاطاه.

ويحب آل البيت النبوي المحبة العظيمة، ويودُّهُمْ المودةَ الجسيمة، ويهتم بأمورهم، لا يزال حريصًا إلى إيصال الخير لهم، ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

والعمل بسنّته ويقول: «الشرفاء أوْلى الناس بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم»، ويحض الناس على محبتهم وتوقيرهم والأدب معهم، ويبين عظيم مجدهم ورفيع قدرهم.

وأما أخلاقه وهي ما تكيَّف به من الأوصاف الحميدة، والأخلاق المجيدة، التي هي المسماة بمكارم الأخلاق، وهي الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة والحنانة والشفقة والرأفة والرحمة والصبر والاحتمال والتواضع والأدب، وعلوّ الهمّة التي هي العفاف والصيانة والوفاء، والفتوّة التي هي الكرم والسخاء والحلم والأناة والعفو والإيثار والسعي في حوائج الأبرار، إحدى وعشرون. فقد أكرمه الله تعالى بأوصاف جُبِلَ عليها في أصل فطرته، فلمّا فُتح عليه ما فتح عادت قُربى إلى الله ووصلة لحضرته، فأنزل كُلا بمحلّه، ولِمَا خُلِقَ لأجله، فصارت كلّها لله وفي الله، فكان ذكاؤه فهمه عن الله في مراده، وأناته إتقانه للعبادة، وصبره سكونه تحت مجاري الأقدار، واحتماله قضاءه الحوائج والأوطار، وشجاعته قوة في الدين، ونجدته نصرة طريق المهتدين، وسخاؤه بيع نفسه على الله وفي الله، وعُلو همَّته انقطاعَه إليه عما سواه، وفتوته وفاءه بمعاملة مولاه . وكانت تلك الأوصاف تمهيدا لهذه الأخرى، ورقى بها في درجة الإحسان مقامة كبرى، كلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ له.

ومن أخلاقــه الكريمــة النافعــة العميمــة، الحنانة والشفقة والرأفة والرحمــة. لا تجِـدُه إلا عطوفًــا رءوفًــا شـفيقًا، يحن على المسـلمين، ويرقُّ للمساكين، ويألم بمصـابهم، ويشـفق بمـا بهم، ويلاطـــف ذوي الحاجـــات، ويواســـي ذوي الفاقـات، ويـود ذوي الاغترابـات أكـثر من ذوي الاقترابـــات، ويميـــل إليهم ويتعطـــف عليهم، ويجالسهم ويؤانسهم ويعاملهم.

ومن أخلاقـه العظيمـة الـتي سـبق بهـا مَن قبلـه، وأعجـز مَن يـأتي بعـده، التواضـع والأدب وحُسْنُ الخلق والمعاشرة، رقيـق القلب رحيمـا بكل مسلم، متبسما في وجه مَن لقيَه، كل أحدٍ يظنُّ أنـه أقـرب إليـه مِن غـيره، لِمَـا يـرى مِن طلاقة وجهه وحُسْن كلامه وكـثرة إقبالـه، حـتى إذا لقيه المحزون زال حزنه بمجرّد لقائـه، هيِّنـا ليِّنًا في كلّ شيءٍ حتى في مَشْيِهِ تذكر، يـذكِّرُكَ قولَه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ما رأيت أحسن خُلُقًا، ولا أوسعَ صدرا، ولا أكرمَ نفسا، ولا أعطفَ قلبا، ولا أحفظ عهدا وودًّا، ولا أكثر علما وفَهمًا منه، ومع جلالة قدره يقف مـع الصـغير، ويـوقر الكبـير، ويجـالس الضـعفاء، ويتواضـع للفقــراء، ولا يقصــد أحــد معارضــته بشيء من العلوم كلّها إلا أفحمه فيبقى متحيّـرا متعجّبا من غرائب العلوم والفهوم.

ويشـهد حقـوق النـاس عليـه ويقـول: «لم نُـوف لِمَنْ عرفنـاه حقَّه ولا نسـتوفيه أبــدا»،

ويقول: «المؤمن هو الـذي يـرى حقـوق الخلـق عليه ولا يرى على أحدٍ لنفسه حقا».

وأما أدبه رضي اللّه عنه ظاهرا و باطنا في الشريعة المحمدية ومع الله جل جلالـه فشـيء بلغ فيه أقصى الغايات، وبرع فيه أهل البـدايات والنهايات، حسبما يعلم ذلـك من حالـه ومقالـه، ويشهد له من خلاله وفعاله.

ومِن أدبه رضي الله عنه وما رُئيَ قط مـادًّا رِجْلَيه إلى القِبلة، ولا بَصَـقَ في المسـجد قـط، ولا تكلم فيه بصوت قط، أدبا مع الحضرة وأداء لحقها واستحضارا لربقة رقها.

ومن صفته رضي الله عنـه لا يـؤم أحـدا إلا أن يكـون في داخـل داره وعيالـه، ويصـلي هـو خلـف الأئمـة إلا أن يكـون مـانع شـرعي كأخـذ الرشى وغيره فلا يصلي وراءهم، وهذا كان في ابتداء أمره، وكان له إمـام جـامع بين الشـريعة والحقيقـة، والإفـادة وعلـوم الطريقـة، خـازن سره، أبو عبد الله سـيدي محمـد بن محمـد بن المشري، الشريف الحسَنِي السـباعي، ودارهم دار علم وصـلاح، ورشـاد وفلاح، ولا زال هـذا السيد مع سيدنا رضي الله عنه من سنة ثمانيـة وثمانين ومائة وألف. فلمـا وصـل سـيّدنا رضـي اللـه عنـه سـنة ثمانيـة وتسـعين ومائـة وألـف تصدَّى للإمامة بنفسه لموجبٍ قـام بـه لا ينفـك عنه ولا تصحّ صلاته إلاّ بنفسهً إلا إن قام به عذر شرعي، فهو رضي الله عنه يصلي إماما بالناس إلى الآن ولا يصلِّي خلـف أحـد إلا في الجمعـة،

وهو شهر رمضان سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف.

ومن أدبه رضي الله عنه أنّه لا يريد الخوض في شيء من تصاريف أقدار الله سبحانه وتعالى، ولا التعرّض للكلام فيما وقع، ولا تمنّى زوال ما هو واقع، ويَعُدُّ الخوض في ذلك كلّه اعتراضا على الله تعالى وسوء أدب معه، وينسب القصور للنفس ويرى النقص فيها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنه من الله تخلقا بأخلاق الشريعة، وتحققا بأن الكمال لا ينسب إلا لله ولا ينسب لغيره، وأن النقص وإن كان أثرا من آثار قدرته لا ينسب إلا لغيره، مراعاةً لمقام الأدب معه تعالى.

وبالجملة فأدبه مع الله ورسوله، وتواضعه في نفسه للعام والخاصّ من أبناء جنسه، وصبره واحتماله وشفقته وحنانته، وعظيم فتوته وعلو همته هذه خصوصا، وسائر أخلاقه عموما، أمر عزيز الوجود، غريب الورود، لا يتفق إلا لخواص الخواص الذين استغرقتهم رحمة الرحمن، وعَمَّهُم الفضل والإحسان، وإذا أراد الله أن يُظهِرَ فضله على عبده أَهَّلَهُ لِحُبِّهِ وودِّه.

وأما عِلمه رضي الله عنه فطالع أجوبته في الجواهر عن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ورسائله وإشاراته، وتقرير عباراته، من فيوض أسراره، وأشعة أنواره، تجد العجب العجاب، الذي يكون عبرة لأولي الألباب.

**ولا علينا أن نـورد منهـا ثلاثـة أجوبة يحصل بها الإمتاع، وتشنف بها الأسماع:**

قال في الجواهر: سألت شيخنا رضـي اللـه عنه عمّا ذكره بعض المفسرين في حـق سـيدنا داود عليه الصلاة والسلام، وأنّه تمنى كذا بقلبـه وأمر الرجل بكذا وكذا؟

فأجاب رضي الله عنه فقال: معـاذ اللـه أن يصدر هذا من المعصوم، وإنمـا حكى اللـه عنـه أنّ الخصمين اختصما في نعجة من الغنم لا غير كما قال الله: ﴿إِنَّ هَـذَا أَخِي لَـهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ إلى قوله تبارك وتعـالى: ﴿وَأَنَـابَ﴾، ومن المعلوم عنـد المحققين أن القـرآن لا يُفَسَّـرُ إلا بالخبر الصحيح لا يُصْرَفُ عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منـه المحـال، وكِلاَ الأمـرين مُنْتَـفٍ هنا، فلا خبر صحيح مفسِّر للآية يُعتمَد عليـه، ولاَ قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمتَ هذا تبيّن لك أنّ الآية على ظاهرها، وليس كمـا قيـل من التأويل الذي لا ينبغي أنْ يُذكَر حتّى في صالحي عامة المؤمنين فكيف يُقال في صفوة الله هـذا التأويل الشنيع، نعوذ بالله من التخليط.

قال: وقلت للشيخ رضـي اللـه عنـه : فَمِمَّا تاب سيدنا داود عليه السلام؟ قال الشيخ رضي الله عنه: من ظنِّه أنه أخطأ في الحكم فقـط لا غير، هـذا كمـا أخبـر اللـه عنـه: ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ**﴾ الآية.

فانظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء، التي كلُّ مَن سَلَكَهَا بَاعَدَ لظى. فاستمسكْ بهذا الحبل المتين، واتركْ عنك كل تأويل ومصدره من تخييل العقل الخشين.

قلت لسيدنا رضي الله عنه: فإذا كانت توبته ممّا ذكرتَ فما معنى قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾؟ قال لي: غفر له ظنه، قلتُ له: ظنّه ليس بذنب في نفس الأمر، قال: أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم، فإنهم يُؤاخَذون بمثاقيل الذر لأن الحضرة مطلوبة بالأدب، فمن كان في حضرة الحق وغفل أو نسي ولو في أقل قليل يُؤاخَذ ولم يُعذَرْ كغيره وإن كان في ظاهر الشرع غير ذنب.

وذكر الشيخ رضي الله عنه ما يعضد هذا من الحكايات في آداب أهل الحضرة إلى أن قال: فإن كانت هذه الآداب في حق أولياء الله تعالى فما بالك بصفوة الله مِنْ أنبيائه ورسله، فَهُمْ أوْلى بمطالبة الأدب وعدم الغفلة.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ و: ﴿**هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾، ونظائرهما، وعن معنى القرب في قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ**﴾، ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾. وأن العلماء قد اختلفوا في ذلك لاختلاف فهومهم، فمنهم من قال معكم بعلمه، ومنهم من قال بذاته، وكل واحد

لـه أدلـة وشـواهد، إلا أن من قـال وهـو معكم بعلمـه هـرب من التحـيز والجهـة، ومن قـال بالـذات ألزمـه -أي المعـارض- في زعمـه مـا يناقض مذهبه فأردنا من سيدنا أن يبين لنا وجه الحق بنص شاف وجواب كافٍ.

فأجـاب رضـي اللـه عنـه بقولـه: إن مَعِيَّةَ الحق سبحانه وتعـالى لكـل شـيء من الوجـود، وقُرْبَهُ لكلّ شيءٍ من الوجود، صفتان نفسـيتان يتبعان ماهية ذاته. فكما لا تُعقَـل ماهيـةُ الـذات ولا سبيل للعقـل إلى شـم روائح الوقـوف على حقيقتهـا، كـذلك لا سـبيل للعقـل إلى إدراك حقيقة معية الحق لكل شيء وقربه لكل شيء، فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بذاته، وأقرب إلى كل شيء بذاتـه، من وَجْـهٍ لا يدركـه العقـل في هاتيْن الحقيقتيْن، فذاته جـل جلالـه مُتعاليـة (...) على جميع حدود الجرم والجسم ولوازمـه ومقتضـياته، من دخـول وخـروج وقـرب وبعـد واتصـال وانفصـال وتحـيز واختصـاص بِجِهَـةٍ أو إحاطـة بالظرفيـة أو صـورة أو لـوْن أو كـبرٍ أو صغر، إلى غير ذلك من كونه جامدا أو سـيالًا أو متحركـا أو سـاكنا أو مِلْءَ العـالم أو في جـزْء منه، ولذا لا يقع عليه الوهم والعقـل لأنهمـا في وقت الفكـرِ لا يخرجـان عن قيـود الجسـم ولوازمه، فتعيَّنت ماهيـة الـذات العليـة من وراء طـور العقـل والحس والفكـر، كمـا قـال بعض الأكابر في هـذا الحـد: لا يتمثـل في النفس، ولا يتخصَّص في الذهن، ولا يتصـوَّر في الـوَهْم، ولا

يتكيَّف في العقل، لا تلحقه العقول ولا الأفكار، ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار. ولما كان انحصار العقل والفكر في هذه المدارك لا يخرج عنها، طرَدهما صلى الله عليه وسلم عن الجوَلان في هذا الميدان بقوله: «**تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِيهِ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدُرُونَ قَدْرَهُ**».

وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات، فإن معية الحق بذاته لكل ذرة من الموجودات وقربه لكل ذرة منها، صفتان نفسيتان يتوقف تعقلهما على تعقل ماهية الذات، وحيث كان تعقُّل ماهية الذات ممنوعًا لا سبيل إليه للعقل والفكر كذلك تعقُّل هاتيْن الصفتيْن مَعِيَّةً وقُرْبًا لكلِّ شيءٍ من الموجودات، تعقلهما مِن وراء طور العقل والحس، فلا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد ولا حُلول ولا مكان ولا دخول ولا خروج ولا تتعدَّد الذات بتعددها بالمعية. ودُونكَ وَجْهًا يُوضح لكَ شيئا من هذا الميدان إن عقلتَهُ فهو في الحادث فقط دون القديم، فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلا من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك يجامعهن في الآن الواحد ويدرك لذة كل واحدة بانفرادها على اختصاصها في ذلك الآن الواحد، ويجامع كل واحدة منهن جماعا متمكنا بمحله الواحد وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاته ولا في محله ولا تعدد للآن الواحد ولا تأخير ولا

تقديم ولا اشتراك في ذواتهن في محـل واحـد، إلا أن تعقل هـذا في هـذه الـدار من وراء طـور العقل والحس، لكنـه في سـعة القـدرة الإلهيـة واقـع، وهـذا وإن لم يسـلمه أربـاب الحـدود العقلية، فقـد دلت عليـه الأخبـار الصـحيحة بمـا تقرر في الحديث أي معناه أن الرجـل من أهـل الجنة يجـامع جميـع نسـائه في مقـدار يـوم من أيام الدنيا ويمكث في جماع كـل واحـدة مقـدار سبعين سنة في اليـوم الواحـد من أيـام الـدنيا. فـإذا عـرفتَ هـذا في حـق الحـادث وصـححتَه فَخُـذْهُ سُـلَّما تـرتقي بـه إلى تصـحيح القُـرب والمعيـــة في حـــق القـــديم لكـــل ذرة من الموجـودات في كـل آن من الزمـان من غـير تقديم ولا تأخير ولا افـتراق ولا تعـدد، وفي هـذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر.

إلى أن قـــال: إن قُـــرْبَ الحـــق ومعيتـــه للموجـودات من وراء طـور الحس والعقـل، لا مطمـــع للحس والعقـــل في إدراك حقيقتهمـــا، أعني القرب والمعية، ما لم يدركا حقيقة ماهية الذات.

إلى أن قـــال: وأمـــا القـــول بأنـــه مـــع الموجـودات بالصـفات من قـدرة وإرادة وعلم إلى آخـر الصـفات، فـالجواب: إن هـذا القـول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية وهو باطـل، وبيانه أنه متى أحلت معية الذات للحوادث يلزم أن تكون خارجـة عن جميعهـا، ويلـزم من ذلـك خروجهـا عن كـورة العـالم بأسـرها، فيلـزم أن

تكون محيطة بالكورة وهي ظرف لها والكـورة في جوفهـا، وهـو محـال لأن هـذا من قيـود الجسم، وإن كانت غير محيطة بـالكورة فيلـزم أيضا إما تخصيصها بجهة عن جهة الكـورة، وهـو الذي هرب منه من هرب من الجهة فوقع فيهـا، لأنه متى قال القائل بخـروج الـذات العليـة عن كـورة العـالم لـزم إحاطتهـا إحاطـة الظـرف بمظروفـه، أو تخصيصـها بجهـةٍ من جهـات الكـورة، وكِلَا الأمـرين مُحـال عقلًا، فلم يبـق إلا أن تكـون مـع كـل شـيء من المحـدثات على الوصف الـذي يليـق بجلال الـذات العليـة، تـنزه وتقدس عما يقولون عُلوا كبيرًا.

إلى أن قـال: وأمـا معيـة العصـمة والعنايـة والنصر والاختصاص فمختصة بأهـل الخصـوص، وهذه المعية أي معية الذات عامة فهي مع كـل شيء على أي حال كان ذلـك الشـيء من عـدو أو حبيب أو قريب أو بعيد فهو على الحـد الـذي ذكر فيها سابقا، والسلام.

ثم قال: وسألته رضـي اللـه عنـه عن قولـه تعـالى: ﴿**وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

فأجاب رضي الله عنـه بقولـه: هـو خطـاب منـه سـبحانه وتعـالى في بسـاط الحكمـة، ثم خطابه في بساط الحقيقة والمشـيئة هـو قولـه تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُـونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾ الآيـة، فهـذا هـو الواقـع لأن خطـاب

المشيئة لا يتأتى انتفاؤه، وأما خطاب الحكمة فيمكن انتفاؤه في بعض الموجودات، لأن أمر الله مسُوق إلى المشيئة لا إلى الحكمة، والحكمة سجاف إلى المشيئة. قال صاحب الحِكَم رضي الله عنه: إلى المشيئة يستند كل شيء ولا تستند هي لشيء.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ وذلك خطاب في بساط الحكمة، فلذا وقع فيه التخلف وكَفَرَ كثير من الخلق بالرسل، ولو كانت طاعة الخلق مقررة في المشيئة ما أمكن أن يعصي الرسل أحد. اهـ. بخ. انظر الجواهر.

ومهما تكلم رضي الله عنه في مسألة من علم الظاهر خرج منها لعلم الآخرة، لا سيما التفسير والحديث لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى ومراقبته وعدم التفاته لزخارف الدنيا كأنه يشاهد الآخرة بين يديه، وتقريراته العلوم الظاهرة رجعت كلها علوما باطنة، وكثيرا ما يقول ما معناه العالم من يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه.

وأما علومه الباطنة الحقيقية، المستمدة من الأنوار الإلهية، فهو قطب رحاها وشمس ضحاها، يقول من سمع كلامه فيها هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله تبارك وتعالى، وهذه العلوم محلها القلب وهو معدن الأسرار،

ومطالع الأنوار، ولهـذا لا يمكن التعبيـر عنهـا ولا يعرف حلاوتها إلا من اتصف بها وذاقها، ولا شك أن السـادات المتصـفين بصـفات الأحـوال هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقـة واقتـدوا بهم ظـاهرا وباطنـا، فجمعـوا بين الشـريعة والحقيقـة على أكمل وجه، وقد فاقهم سـيدنا رضـي اللـه عنـه وحصل له ما حصل لهم، فهـو رضـي اللـه عنـه القدوة للمقتدي، والهداية للمهتدي، لجمعـه بين لطـائف الأحـوال، وصـحيح الأقـوال والأفعـال، باطنه حقـائق التوحيـد، وظـاهره زهـد وتجريـد، وكلامه هداية لكل مريد.

وأمـا كرمـه رضـي اللـه عنـه فمِنْ أخلاقـه وسجاياه، كثرة إنفاقه في سبيل اللـه منـذ نشـأ يتقلب كيف شـاء، جعـل اللـه لـه الكـرم وصـفًا طبيعيًّا، ثم صـرفه فيـه تصـريفًا شـرعيًّا إلى أن أرقاه الله سبحانه مرقى الكمال، وصـيره ممن لا يشهد لنفسه ملكا ولا مال، فجمع الله له بين الحالتين (جمعا)، صُـنعا (مِن اللـه) ومَن أحسـن من الله صُنْعا.

ومن عادته رضي اللـه عنـه إخفـاء الصـدقة جدا حـتى لا يشـعر إنسـان بمـا يصـدر عنـه من الإحسان، في عمـوم الأوقـات وغـالب الأحيـان، فإذا أعطى شيئا لا يعطيه بيده إنمـا يـأمر بـذلك ويرسل به ويوصي المرسل معه بالكتمان، وقد يباشـر الإعطـاء بيـده إذا كـان المعطَى لـه من الموالين له من الأصحاب وغـيرهم ممن يعـرف أنه لا ينوه به ولا يفشي سره.

ومن كراماته رضي الله عنه أنه لا تصل عطيته أحدا إلا وجدتْهُ على حين ضرورة وشدة احتياج، لا يجد ما يحاوله ولا (ما) يناوله، كأن سيدنا بات ينظر إليه أو ظل معه مطلعا عليه، فيوقع كل ذلك مواقعه، وينزله مواضعه، على بينة من ربه، وبصيرة في أمره، ويوفي فيما يعطيه كل ذي حق حقه من قريب أو بعيد جامعا بين العدل والإحسان، مراعيا لحال كل إنسان، فيمتع أولاده وأهله وعياله، ويوالي عليهم بره ونواله، شأنه في ذلك بديع، وحاله في ذلك بأسره رفيع. لا يَدَعُ شيئا إلا أمتعهم فيه على وجْهٍ شرعي من قَصْدِ كفايته إياهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم، لا على الرفاهية والترفه، واضحة عليهم آثارها يدخر إليهم لإغناء نفوسهم فوق ما يحتاجون، ويصرح أحيانا بأنه لولا الرفق بهم والجري على مقتضى عقولهم وصونهم على أن يتشوفوا لما في أيدي الناس ما أدخر شيئا، فيخزن من قوت سَنَتِهِمْ طعامًا وأدامًا وعسلا وفاكهة ما يكفيهم ويكفي أضيافهم به وأضعافَ أضعافهم في عدد أهل نفقته أو مَن يَرِدُ عليه، فيؤكل عنده الوسق من القمح (في) نحو يومين أو ثلاثة، وأمّا في وفد ركب الزائرين فلا نقدر لذلك قدْرا.

ومن عادته رضي الله عنه أنه لا يُخرِج شيئا لأضيافه أو لغيرهم إلا بعد كفاية مَن بداره، وإن أخرج يوما طعاما لم يكن فيها غيره حاضرا

عوضهم آخر مثله لا محالة، وينبه على ذلك ويُرَبِّي غيره مخافة التوصّل لِحَقٍّ بِتَرْكِ آخر.

ومن شأنه حفظ الطعام واحترامه، وعادته إجراء الصدقات على ممر الليالي والأيام.

وبالجملة فسخاؤه رضي الله عنه عظيم، وإحسانه جسيم، ليس على سنن ما يُؤلَف وإنّما هو خارق للعادة، وخارج عن الأمور المعتادة.

وأما فتوته فأشهر من نار على علم، وهي عندهم أكثر ما تُسْتَعْمَلُ في المواساة والعفو عن الإساءات.

ولشيخنا رضي الله عنه من هذه الأوصاف أعظم نصيب، والسهم الذي ما عثر عليه في هذا الوقت مصيب.

وأما حلمه وعفوه فشأنه رضي الله عنه الصفح عمن اشتغل بإذايته، وعدم المؤاخذة له، والنظر فيه بعين الحقيقة، والتماس المعذرة له، ويقول: إذا نظرتُ إلى الناس وما يجري عليهم من قدر الله عذرتهم، وإنما يجيء الملام من عدم شهود أمر الله النافذ، ويحن مع ذلك عليهم ويشفق من حالهم مخافة أن يُدركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك، وكثيرا ما يعاملهم حرصا على إزالة ضغنهم ومحو ما في قلوبهم، وإذا اشتكى له أحد من أصحابه إذاية أحد سلاه عن ذلك، وحمله على العفو والحلم، وحضه على الاشتغال بما يعنيه، ولا يحب المعتنين بنصرة أنفسهم، ولا المشتغلين بملاحاة الرجال، ولا يحب الغلظة ولا الفظاظة

ولا أهلها، ويقول: إن الحليم يحلم الله عنه، ويستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**، ويقول لهم: «بضعفائكم تُرحمون، ولا عمل أحسن من ذلك لكم، ومن عفا عُفِيَ عنه»، ويُعرض عن جهل الجاهلين، ويصبر لجفوة الجافين، ويعفو عن إذاية المؤذين، بل يحسن إليهم زيادة على العفو حتى يستحيي منه المسيء غاية الحياء ويخجل غاية الخجل، ويتعجب من عفوه عنه، ثمّ تفضله عليه، ومِن سابقِ سيئاته التي عادت كالحسنات لديه، والكلامَ على حلمه وعفوه أوسع وأرفع.

وأمّا وفاؤه رضي الله عنه، والوفاء نوع من الفتوة، فمنه إذا استلف شيئا رضي الله عنه قضاه بسرعة، لا يتوانى في ذلك ولا يغفل البتة، وما حفظ له تأخير قضاء دين قط حفظا من الله.

ومنه وفاؤه بمعاملة الإخوان، وحفظ عهودهم وعهود أصحابه في كل أوان، على ما قدمناه قبل.

ومنه وفاؤه في معاملة مولاه وعبادته له وقيامه لله في سائر حركاته وسكناته، حيث لا يقطع شيئا ابتداه، ولا يرجع عن شيء لله عزم عليه، وأعظم بذلك وفاء، ومنة من الله وإعطاء.

والكلام على وفـاء سـيدنا رضـي اللـه عنـه أوسع دائرة من أن يستوفى.

وأما علو همَّتـه وورعـه وزهـده، وموعظتـه وحريته، فقد بلغ في ذلك كله الغايـة، وإذا رأيت سـيره فيهـا علمت أنـه مفـرد أوانـه، وسـيد الـورعين والزاهـدين في زمانـه، لا يُجـاري في ذلك، ولا يبارى فيما حـازه هنالـك، علقت همتـه العليا بمعالي الأمـور، فتجـاوزت الأواسـط منهـا إلى الصدور، وكيف تقف همة من ليس مناه إلا سيده ومولاه، قد خلف وراءه كل مُشـتهَى وأن إلى ربّك المنتهى.

وأما خوفه فهو رضي الله عنه كثير الخـوف من اللـه، متطـاول الأحـزان في سـبيل اللـه، وربّما سُمِعَ لصدره أنين ودوي من شدة خوفـه، لا سيما إن كان وحده في خلوته.

وقـد أرخينـا لسـان القلم، وأطلقنـا عنـان الهمم، في ذكـر بعض مزايـاه لتكـون نصـب العين، وننفي عنـا بهـا نعقـة غـراب الـبين، ومـا ذاك في فضل جنبه المأثور، إلا كرشقة عصفور من بحـر مسـجور، فلا أدري أي فعالـه أبْين، ولا أي حالة أحسن، بل هو كما قال القائل:

إذا سكتت جاءت بكـل مليحـة=وإن نطقت جاءت بكل مليح

فاجعل أيها الأخ همتـك في التلقي لأنـواره، بتلمح استشعار إحضار صورته المشـرفة نصـب عيـني قلبـك، حـتى تكـون بمنظـر من عيـني رأسك، وصفة ذاته الكريمـة، كمـا في الجـواهر

وصورة شكله الفخيمة، تتميز بوجـوده العيـاني، كما تتميز بوصفه العرفاني، أنه رضي اللـه عنـه أبيض مشـوب بحمـرة، معتـدل القامـة، عظيم الهيئة، منور الشيبة، ذو صوت جهوري، وسَـمْتٍ بهي، وقدر علي، حلو المنطق، فصـيح اللسـان، يعـبر عن مـراده في غايـة البيـان، ولا شـك أن معاطـاة أوصـافه قلبـا وقالبـا تريـاق للأمـراض القلبيـة، والعلـل النفسـية، وكم تعـرض لنـا من أمـراض معنويـة، وتـتراكم على القلب ظلمـات ردية، فتنجلي بسبب معاطاتها وموالاة سـاحتها، والحمـد للـه حـقَّ حَمْـدِهِ، كمـا ينبغي لجلالـه وعظيم سـلطانه، لا أحصـى ثنـاء عليـه، والنعم كلهـا منـه إليـه، فليس شـيخك مَنْ تجعـل بينـك وبينه عهـدًا بلسـانك، وتعتقـد مشـيختة بجنانـك، وإنما شيخك من جذبك من قلبك، وأخذ بمجامع لبك، ونفعتك حرمته، وحاطتك همّته، متعنا اللـه بقربـه، وأماتنـا على حبـه، وجعلنـا من خاصـة حزبه، إنه ولي ذلـك والقـادر عليـه، لا ملجـأ ولا منجا منـه إلا إليـه، ولا علينـا أن نـورد هنـا نبـذة ملفقــة من رحلــة التهــاني في مــدح الشــيخ التجاني رضي الله عنـه، لجـامع الكتـاب -يعـني رضي الله عنـه كتـاب مـيزاب الرحمـة الربانيـة في التربية بالطريقة التجانية تأليف وحيد دهـره العلامة سيدي عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوج رحمه الله- وهي ستمائة بيت ونيف:

فلم يـر كالشـيخ التجـاني حليـة=تحلَّى بهـا تلَّى وحلَّ بها فلا

يـــداه صـــناع في الوصـــول ولم نجـــد= إذا استوجب السلب الفتى بهما مطلا
فكم ســاقتا بأســا وكم= وكم ســقتا شــهدا وجرعتا دفلا
وأعملتا التكسير في سالم البُنى= وألزمتــا التصحيح ما كان معتلا
فمــا زال من حفــاظ أهــل زمانــه= بمــا قــد تعاطى من علوم نفت حذلا
فجاء على علم الرســوم من اصــلها=وجــاز إلى لوح الفهوم وقد أغلا
وحاز فناء في بقاء وسكرة=بحلة صحو في مغيب فذا الجلا
تراه إذا مارسته حاضرا وما=يراه بعيد قلبه حمل الثقلا
يذكرنا مــا كــان من برحــاء من=يكابــد أمــر الوحي أعظم به شغلا
فأغرق في بحر الحقيقة حاملا=لراية جذب لا يرام ولا يعلا
فليس يجارى في الإشارة والــوحى=وليس يبارى في عبارة ما حلا
مواجده فاقت وأمداده رقت=وأحواله دلت شهودا من اعتلا
فدارت على محض الفناء بربه=رحى حالــه سكرا وصحوا به رفلا
تحلى فلون الماء لــون إنائــه=زمانــا كبعض الأصفيا نزهة الأملا

ومن بعـد يلفى سـاكنا متحركـا=ومضـطربا
حاز التماسك منشلا
وذا سكرة في صحوه مترسلا=وذا حضـــرة
في غيبه أسست نبلا
وما زال منحاشا إلى الله راغبا=عن الخلق
في إسناد شيء ولو قلا
شهود وجـود الحـق وصـفا بخلقـه=وأكوانـه
واسما له منزع أغلا
حـــــوى الجــــــود والمجهـــــود من عين
جوده=ترامى وبالمجهود علاه ما دلا
له همـة سـباقة وعزيمـة=تـرى الرجـع عن
أمر تحاوله جهلا
لو اهتم يوما بالثريا لنالهـا=ومـا فوقهـا من
عرش عالمها سهلا
أتتـــه على النهج الخلافـــة منحـــة=وألقت
عصاها عنده تبتغي النَّحْلا
فحلى بكشف الأيم واليتم جيـدها=فـأعظم
به بعلا وأكرم به نجلا
بكليـة الشـيخ التجـاني قـد سـرت=علـوم
الجمالي والجلالي فلا فلا
على أكمل الهيئات تم نتاجه=سلوكا وجـذبا
في العلية والسُّفلا
فشب على مرقى مناهي جدوده=كمـا قـد
تنوّاها مباديها طِفْلا
تجمع فيه كـل من كـان قبلـه=شـتيتا فحـاز
السبق من بينهم خصلا

خلافته معقولة قبل كونهـا=وآثـاره منقولـة
كلها نقلا
لئن أخرت وقتا فلهي حريـة=بتقـديمها بين
الألى قدموا فضلا
تقلد من المصطفى الـبر وحـده=فلاح فلاح
المستظل به ظلا
يميل إلى الراحات شكرا لربه=على طرف
جد واصل الحزن والسهلا
فمد على متن الصـراط الذي بُني=به رصد
الإغوا طريقته المثلا
فقيدت هداة الأتقيا الثغرى له=بلبيـك لبيـك
العزيز من استحلا
لهم عنـده سـقيا بكـأس رويـة=تعلهم علا
وتنهلهم نهلا
أحــال فلــوس النفس إبريــز وقتــه=من
أصحابه من حينها اكتسبت تلا
عليــك رضــى الــرحمن يــا شــيخنا
الرضى=وأرضاك عنا واستفدنا الرضا فضلا
وقال رضي الله عنه في وصف حضرته:
بحضرته العليـاء لا تسـمع اللغى=بحـال ولا
يثنى سوى ذكره جلا
خذ العفو وامر لم يجزهـا لغيرهـا=ولم يعـز
إضراب بكلا ولا بل لا
وإن قـال فيهـا قولـة مـا تلبثت=خلا ريثمـا
تملى لمن حضـر الإملا
وجلاسه تمضـي على قلب واحد=كأن على
اليافوخ طير الكرى حلا

إذا ما طـرا أمـر تحـروا مـراده=وقوفـا مـع الأمر الذي شاءه فعلا
فإن ينه كانوا عنه أورع منته=وإن يـك منـه أمر ابتدروا كلا
على صــدد الجلاس من مــورث لــه=وقــد تخلف الوراث موروثها حملا
وقال رضي الله عنـه يصـف أصـحابه وأنهم مظهره:
كفتنا موالاة الجهابـذة الألى=قفـوه مبـاراة الأساتذة الفضلا
فلم يقف مثلاه سوى فاضل حـوى=مفـاخر لم يعدم زواخر تستملا
لهم أرج يزكــو فؤوحــا ولن تــرى=رعاعــا مروعا بينهم بل ترى عدلا
ومــا ذاتهم ســيماهم في وجــوههم=تــدلك مرأى قبل أن تجد الفعلا
وعين الفتى صـدق القـرار ولم يـزل=على فيه ما فيه يلوح ولو قلا
حماة إذا ما الدين سيم بضيعة=هداة إذا ما الجهل عم الورى شغلا
رعاة السـهى والشـمس لم تـك همـة=لهم بسوى عليا محاولها صلا
أساة إذا مـا الغـر رام بشـبهة=نهـاة إذا مـا النهى ألفوا له أهلا
خلال رأيناها مشاهدة بهم=فلم تنخرم أصلا ولم تنقطع فصلا

ولم لا وفرع الشيء أحرى بأصله=ولو أحدثت أسواء بإسائه خبلا
أبى صادق الميعاد غير الحلى كما=أبى الشيخ إلا أن يكون له مجلا

## فصل في سند طريقته المحمدية

وسنده هو رضي الله عنه مسلسلا إلى الحضرة العلية، ليزداد بذلك المريد الصادق رغبة فيها وصفا ونعتا، ويكبت المنكر المعاند الذي سجل عليه بالخسران المبين بكتا.

قال في الجواهر: أما سند طريقته رضي الله عنه فقد أخذها عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما. ثم قال له صلى الله عليه وسلم: «لا منة لأحد عليك من الأشياخ». فرتب له صلى الله عليه وسلم جميع أوارده، فصار من سيد الوجود جميع استمداده.
وأما أوراده رضي الله عنه فهي من أعظم الأوراد، وفيها من الفضل ما لا يخفى على أهل

السداد، وهي من أملح ما رتب أهل الله في زواياهم قصد الجمع على الله لمن خالطهم ووالاهم، لتنضبط أوقاتهم، وتنضم بها حالاتهم، سلك رضي الله عنه بذلك مسلك السادات الكرام، والعارفين الكُمَّل الأعلام، أئمة الملة المحمدية، عليه من الله الصلاة والسلام حتّى بدت بظهوره الطريقة، وجاءت بحمد الله تعالى موافقة للحقيقة.

فلأوراده رضي الله عنه عذوبة في الأسماع، ممزوجة بعضها ببعض كلها شهية السماع، قد أبدى فيها ما كان كامنا وأجاد، وأبلغ فيها للراجي غاية المراد، فرتب أورادا، مدخرة للآخرة زادا، فجاءت بحمد الله رائقة المعنى، لذيذة الطعم سهلة المجنى، وقد وقفت على أساسها وحقيقتها، وشاهدت حسنها وطلعتها، وما أودع من السر فيها، وبذلك تستدل على كمال إرثه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاله، وتعلم ما من الله تعالى به عليه من عميم إفضاله، وكما قيل:

من مثلكم يا أبا الخيرات يشبهكم=قد حُزْتُم السرّ والأخلاق والشيما

والله ما رَأَتِ العينان مثلكمُ=في العصر قاطبة يا بهجة العُلَمَا

وقال الشيخ زرّوق رضي الله عنه لما تكلم على الأوراد في آخر كلامه: وبالجملة فأحزاب المشايخ رضي الله عنهم صفة حالهم، ونكتة مقالهم، وميراث علومهم وأعمالهم، وبذلك

جَرَوْا في كـل أمـورهم لا بـالهوى قبـل كلامهم، وربما جاء بعدهم من أراد محاولـة ذلـك بنفسـه لنفسه، فعاد ما توجه عليه بعكسـه، ومـا هـو إلا كمـا يُحكَى عن النحلـة علمت الزنبـور طريـق النسـج فنسـج على منوالهـا، وصـنع بيتـا على مثالهـا، ثم ادعى أن لـه من الفضـيلة مـا لهـا، فقالت له: هذا البيت وأين العسل؟ وإنما السـر في السكان لا في المنزل. قاله في الجواهر.

وقال فيها أيضا: ولم تزل أوراد سيدنا رضي الله عنه منذ ظهرت للعيان تظهر لهـا البركـات الكثيرة من تيسير المطالب، وبلوغ المآرب إلى الآن، واسـتخرجت منها بحمـد اللـه جـل جلالـه نسخ عديدة للوجود، وانتشـر صـيتها في أقصـى البلـدان عن إذن سـيد الوجـود، فلم تـزل بين العبـاد مشـهورة، وأسـرارها ظـاهرة منشـورة، فهي من أعظم الـــذخائر، وأســـنى المفـــاخر، فأسأل الله أن لا يعدمها من وجـوده، وأن يُبقِيَ أنوارها محفوفة بشهوده.

# فصل

أذكر فيه سند ورد شيخنا الإمام، الممد غيبا للأنام، ليعلم المعاند في ذلك من أهـل الزمـان، ممن سـجل عليـه بالحرمـان، أنـه مرفـوع

مسلسل معنعن بالأقطاب والأغواث والصديقين والأوتاد والأبدال، إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إلى جبريل إلى رب العزة سبحانه وتعالى ذي الجلال.

فأقول تبعًا لصاحب الجامع، ونصه بخ من خط الشيخ محمود مكاتبة لشيخنا رضي الله عنه:

لقّن ربُّ العزة جبريل، وهو لقن النبي عليه السلام، وهو لقن عليا رضي الله عنه، وهو لقن الحسن والحسين والحسن البصري وجميل بن زياد، والحسن البصري لقن حبيبا العجمي، وهو لقن داوود الطائي، وهو لقن معروفا الكرخي، وهو سريا، وهو الجنيد، وهو محمد البكري، وهو وجيه الدين القاضي، وهو عمر البكري، وهو أبا النجيب السهروردي، وهو قطب الدين الأبهري، وهو ركن الدين محمد النجاشي، وهو شهاب الدين الشيرازي، وهو جمال الدين التبريزي، وهو إبراهيم الكيلاني، وهو محمد الخلوتي، وهو عمر الخلوتي، وهو محمد بن أبرام الخلوتي، وهو الحاج عز الدين، وهو صدر الدين الجياني، وهو يحيى الباكوبي، وهو عمر بن بهاء الدين الشيرواني، وهو جلبي سلطان المقدس جمال الدين الخلوتي، وهو خير الدين التقاد، وهو الشيخ شعبان القسطموني، وهو محيي الدين القسطموني، وهو عمر الفؤادي، وهو وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي، وهو وأرشد عليا

أفندي قرا باشا، وتخلف عن والده مصطفى الطبيبي -أي أجازه بالإرشاد- وهو وأرشد الشيخ مصطفى أفندي، وهو وأرشد عبد اللطيف الخلوتي الحلبي، وهو وأرشد قطب الوجود السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري، وهو وأرشد الشيخ محمد الحفني، وهو الشيخ محمود الكردي، وهو لقن قطب زمانه، فريد عصره وأوانه، شيخنا وقدوتنا إلى الله، مولانا أبا العباس أحمد التجاني قدس الله سره ورضي عنه وعن جميع أهل السلسلة وعن أولياء الله أجمعين وجميع المسلمين آمين.

أولئك آبائي فجِئْنِي بمثلهم=إذا جمعتنا يا جرير المجامع

# فصل

لا ينكر على هذا السيد الكريم، أعني شيخنا مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه ما أخبر به من أنه أخذ هذا الورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، منه إليه مشافهة، لأنه من جملة الكرامات الثابتة للأولياء عقلا ونقلا. وإذا كان كذلك، فلا عبرة باستثقال بعض الناس وإنكاره لذلك لعدم مطابقته لهواه، لا بدليل اعتمده واقتفاه، لأنه إما أن ينكر جواز اللقيا فلا كلام معه، أو يصدقها وينفيها عن الشيخ من غير دليل أيضا بل بمجرد الهوى والعناد، فلا كلام

معه أيضا، لعدم تصديقه للأولياء لأن الشيخ تقدَّم من شواهد حاله ما يدل على ولايته، وإن لم يكن هذا المستثقل المنكر كذلك قلنا له إذا ثبتت الرؤية يقظة فما المانع من الأخذ لا سيما وقد توطأت أخبار الأولياء بذلك.

قال العارف بالله أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه في حاشيته على الحزب الكبير: إن واضعه رضي الله عنه كان يقول: ما رتبتُ منه كلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني على وجه التلقي يقظة لا نوما، كما هو معلوم في حق أهل الله، وشواهده من الكتاب والسنة كثيرة، وناهيك بآية الوحي إلى أم موسى كما أخبر الله تعالى، وبموافقة الفاروق به في غير ما قضية، وقضية تلقي الأذان نوما.

وقال الشعراني: كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: أخذت طريقي هذه عن سيدي إبراهيم المتبولي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أيضا: وأخبرني الشيخ أبو الفضل الأحمدي أن سيدي عليا الخواص لم يمت حتى صار يأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة.

قال: وكان سيدي أبو العباس المرسي يقول: لا يكمل مقام الفقير إلا إن صار يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه في

أمـوره كلهـا، كمـا يشـاور التلميـذ شـيخه. اهـ. بحذف.

قـال في الجيش الكبـير: وإذا كـان إلهـام الأولياء معمولًا بـه مـا لم يُعـارض كتابًا أو سُـنة كمـا نص عليـه العلمـاء، فكيـف بمـا تلقَّوْهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهـو مـأخُوذ من نصُـوصِ الكتـاب والسُّـنة، فَضْـلًا عن أن يُعارِضها.

والعجب كل العجب مِمَّنْ يُصَدِّقُ بمـا تلقـوه عنه في المنام، ويجعله وردًا، كيَا حَيُّ يا قيُّومُ لا إله إلا أنت، كل يوم أربعين مـرة لحيـاة القلب، حتى عدَّ صاحب شهيةِ السـماع تركهـا في يـوم من سوء الأدب، ونحـو ذلـك ممـا هـو كثـير، ولا يصدق ولا يعمل بمـا تلقـوْه يقظـة، ومعلـوم أن النـائم لا يضـبط بخلاف اليقظـان، اللهم إلا أن يكون ممَّن يُكذب برؤية اليقظة، فقد خـرجَ إلى إنكار الكرامة والعياذ بالله.

وأمـا من لا ينكـر ذلـك، وإنمـا يَعْتِبُ على الشيخ رضي الله عنه في إظهـاره ونشـره لمـا أخـذهُ من تلـك الكيفيـة، فمـا يقـولُ في إظهـار الشاذلي رضي الله عنه أحزابه التي صرَّحَ بأنـه ما وضعَ منهـا حرفًـا إلا بـإذنٍ من اللـه ورسـوله صلى الله عليه وسلم، كمـا لـزرُّوق في شـرحه لحزب البحر. وما يقـول أيضـا في نشـر سـيدي عبـد الوهـاب الشـعراني في لطـائف المنن والأخلاق، التي ذكر أنـه أخـذها عن سـيدي علي الخـواص، عن سـيدي إبـراهيم المتبـولي رضـي

الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا نشر الشيخ رضي الله عنه لهذا الورد إنما هو بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومخالفة أمره صلى الله عليه وسلم عصيان سواء في حياته أو بعد مماته، كما ذكر العلماء من أمثلة الكلام الواجب الذي تبطل به الصلاة عند بعضهم -ولكن المعتمد عدم البطلان وفيه ألغز من قال: يا فقيها شخص تكلم عمدا في صلاته ولم يكن إصلاحا لصلاة وبعد هذا فقلتم تلك صلاة صحت وحاز هذا نجاحا فأجبته بقولي تلك صلاة من لبى خير الورى حين ناداه فيها مجيبا كفاحا. اهـ- إجابة من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة، ثم قالوا: سواء في حياته أو بعد مماته، كما يقع لسيدي أبي العباس رضي الله عنه. انظر شروح المختصر.

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فاعلمْ أن الشيخ رضي الله عنه لم يُظهر هذا الورد باخْتيارٍ منه، ولا رغبة في إقبال الخلق إليه حاشاه، بل كان فارًّا منهم غاية جُهده. لكن لما أراد الله انتفاع خلقه وهدايتهم على يَدَيْهِ، سخرهُ لهم وسخرهُمْ له بيُسْر، ولله الحمد والمنة. قال:

إذا اصطفاك لأمرٍ هيأتك له = يَدُ العنايةِ حتى تبلغ الأربا

ومن ظنَّ بالشيخ رضي الله عنه استدعاء الرياسة ونحوها فقد أساء الظنَّ، فدخل في ورطة سوء الظن الذي ليس فوقه شيء من

الشر كما في الخبر. قلت: ولفظه: «**خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُما شَيءٌ مِنَ الْخَيْرِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ، وحُسْنُ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللهِ؛ وخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ، وسُوءُ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللهِ**». اهـ. نسأل الله العصمة في الحركات والسكنات والخطرات آمين. انتهى منه باختصار وزيادة.

## فصل

في الرد على من ينكر جهلا وعنادا، وتحاملا وجحودا، على الأولياء رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة، وإقامة الحجة عليه من الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقصة أصحاب الكهف ولبثهم فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، كما ذكر الله عز وجل رقودا، لم تبل ثيابهم، ولم تتغير أجسادهم، يقلبهم الحق عز وجل ذات اليمين وذات الشمال.

وقصة الخضر مع موسى من قوله: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾، ثم ما قصَّ الله في الله في أمر السفينة، وقتل الغلام، وإقامته للجدار المائل.

وكما أخبر الله به عن مريم بقوله: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾ من أنواع الفواكه والرطب في غير إبانها.

وقصة آصف بن برخيا مع سليمان في إحضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، كما قال تعالى: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ إلى غير ذلك.

وأما السنة: فما في الصحيحين من حديث جريج وكلام الطفل ببراءته في مهده.

وَما فيهما أيضا من حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة، فقالوا ليتَوسَّل كُل واحدٍ منَّا إلى ربه بعمل أخلصَ فيه لوجهه، فتوسَّلوا بأرجَى ما عملوا، ففرجَ اللهُ عنهم.

وَما فيهما يعني الصحيحين، من قوله صلى الله عليه وسلم «**كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**».

وأما الدليل على جوازها من النقل والنظر، فوقوعها المتكرر تكرارًا ينتهي إلى حد القطع، إذ لا يُؤدي حدوثها إلى مُصادمة أصل، ولا يترتب عليه محال، فوجب وصفه تعالى بالقدرة على

إيجادها. وإذا ثبت كونها مقدورا للـه تعـالى ولا شيء يمنع من حصولها، فلا مقـال لمن أنكرهـا أو أنكر نوعا منها. اهـ. بخ. مع زيادة ما منـه نقلا عن الطرائف والتلائد.

ثم قال بعد هـذا: وبالجملـة فـالقول بجـواز ظهورهـا على أيـدي الأوليـاء واجبٌ، وعليـه جمهـور أهـل المعرفـة لكـثرة مـا تـواتر بـه من الآثـار والحكايـات والأخبـار، ومن توَسـط هـذه الطريقـة وتـواتر عليـه حكايـات الصـالحين وأخبـارُهم، لم تبـقَ لـهُ في ذلـك شـبهة على الجملة. وإنكارها بدعة، ومنكرها مبتـدع يخشـى عليـه سـوء الخاتمـة، والعيـاذ باللـه، لمكابرتـه ومصـادمته لنصـوص الكتـاب والسـنة، وخرقـه لإجمـاع الأمـة. **ولله** العجب كيف يسـوغ لأحـد إنكارهـا بعـدما تُلي عليـه قولـه تعـالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَـهُمُ الْبُشْـرَى فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾. اهـ.

فإذا تقرر جوازها ووقوعهـا من غـير حصـر، فهي أمر خارق للعادة، غير مستند لأسـباب، ولا مقرون بالتحـدي، يجريـه الحـق تعـالى على يـد من اختصَّهُ من عبادِهِ المطيعين ترقية لهمَّته، أو إظهـارًا لرتبتـه، أو تأنيسًـا لـه من وحشـتِه، أو إعانة له على وقته، أو زيادة له في معرفتـه، أو امتحانًا له في حالته.

وشرطها أن تجـري على يـد موسـوم بخـير وصلاح، وكونها لا تبلغ إلى حـد إيجـاد ابن بـدون

أب، وأن لا تكون بمُحـرم مجمـع على تحريمـه. قاله في الطرائف والتلائد.

وقال اليدالي: الذي عليه معظم الأئمـة أنـه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة في جنسها وعظمهـا حتى إحياء الموتى.

ويفترقـان في أن المعجـزة تقـترن بـدعوى النبوءة، والكرامة لا يدعيها الـولي، ولا يُظهرهـا إلا عند ضرورة لمصلحة، أو إذن، أو حال غـالب لا يكون له فيه اختيار، أو تقويـة يقين مريـد، ولا يجوز إظهارها لغير غرض صحيح.

ويفترقان أيضا في أن دلالـة المعجـزة على النبـوءة قطعيـة، وأن النـبي يعلم أنـه نـبي، والكرامة ظنِّية ولا يعلم مُظهرها أو من ظهـرتْ على يديْه أنه ولي، وقد يعلم بـذلك، وِفَاقًـا لأبي علي الـدَّقاق والقشـيري. وأيضـا المعجـزة مطلوب شرعًا إظهارها، والكرامة ينبغي شـرعًا وأدبًا إخفاؤها وإسْرارها. فـإن أظهرهـا بعضُهُمْ، فإنمـا يُظْهرهـا عن إذن، أو لفائـدة دِينيـة من بشـارة أو تربيـة أو نـذارة. والأصـل في ذلـك اختلاف البسـاط، فتـارة يغلب الغِنَى باللـه فَينبسط بإحسانه، وتـارة يغلب الفقـر إلى اللـه فيرجع إليه. فالأوَّل بسط وكرامة، والثاني مقام أدب وتعظيم.

هذا المصطفى صلى الله عليه وسلم أطعم أَلْفًـا مِن صـاع إظهـارًا للغنَى باللـه، وشـدَّ على بطنِـهِ حجـريْن من الجُـوع إظهـارًا للفقـر إليـه. فـأظهر الأول عنـد احتيـاج النـاس إليـه لنَقْصِ

عقـــولهم، والثـــاني لتـــأديبهم وتعليمهم وهـــو المقصـود، ومـا كـان يُظهـر الخـوارق إلا لشـدة الحاجة وخوف تزلزل الضعفاء.

ومن هذا القبيل قـول الصـديق رضـي اللـه عنه لعائشة: ذو بطن بنت خارجة أراهـا جاريـة، وقـول عمـر: يـا سـارية الجبـل، لم يكن لقصـد الكرامـــة، وإنمـــا ألجأتـــه ضـــرورة هزيمـــة المسلمين، وقد كشف له حـال القـوم فنـاداهم إنقـاذا لهم، ولعلَّه غلب عليـه الحـال وغـابَ عن حسِّه شفقة.

فباعتبار هذا ونحوه، يظهـر لـك الفـرق بين الكرامة والمعجزة، وأنه لا حجة لمنكر ظهورهـا بطلب إخفائها متى اقتضى المقـام إظهارهـا، إذ الشـرع يـدور على المصـالح وتنبـني حكمـه وأحْكَامه عليها. اهـ. قاله في الطرائف والتلائد.

## فصل

رؤية النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقظـة، أثبتهـــا حجـــة الإســـلام الغـــزالي، والبـــارزي، والسُّـبْكي، والعفيـف اليـافعي من الشـافعية، والقرطـــبي وابن أبي جمـــرة وابن الحـــاج من المالكية.

قال ابن حجر: أخبرني بذلك من لا يتَّهَم من الصـالحين، بـل اسـتدل بحـديث البخـاري «**مَنْ**

**رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»** أي بعينَيْ رأسه، وقيل بعيني قلبه.

وَفِي شرح ابن أبي جمرة للأحاديث التي انتقاها من البخاري، ترجيحُ بقاءِ الحديثِ على عُمُومِهِ في حياته وبعد مماته، لمن له أهليَّة الاتبَاع للسُّنة ولغيره.

قال: ومَنْ يدَّعي الخصُوص بغير تَخْصِيصٍ منه صلى الله عليه وسلم فقدْ تَعَسَّفَ ثم ألزمَ منكر ذلك بأنه غير مُصدِّق بقول الصَّادق المصدوق، وأنه جاهل بقدرة القادر، وأنه مُنكر لكرامات الأولياء مَعَ ثبوتها بدلائل السنة الواضحة.

قال: ومُنكر ذلك إن كان ممن ينكر كرامات الأولياء فلا نبْحث معه لأنه مكذب لما أثبتتهُ السُّنة، وإلَّا فهذا منه عناد ومُراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه في النوم ولو مرة تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يخلف، وأكثر ما يقع ذلك في العامة قبل الموت عند الاحتضار، فلا تخرجُ رُوحه مِنْ جَسَدِه حتى يراهُ وفاء لِوَعْدِه، وأمَّا غيرهم فيحْصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة أو كثرة بحسب تأهُّلِهم وتعَلقهم واتباعِهم للسُّنة، إذ الإخْلال بها مانع كبير. اهـ. قاله اليدالي بنقل صاحب الجيش بخ. مع زيادة.

وفي المنقذ من الضلالة للإمام الغزالي بعد مدح الصوفية، وبيان أنهم خير الخلق حتى إنهم وهم في يقظتهم يُشاهدون الملائكة وأرواح

الأنبياء، ويسْمعون منهم أصواتهم، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقَّى الحال من مشاهدة الصوَر والأمثال إلى درجاتٍ يضيق عنها نطق الناطِق. انتهى.

وقال تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي: ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامِهم مُمكن للمؤمن كرامة، وللكافر عُقوبة.

وقال ابن الحاج في مَدْخَلِهِ: رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضَيقٌ، وقَلَّ مَنْ يقَعُ له ذلك، إلَّا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان، بل عُدِمَتْ غالِبًا، على أننا لا ننكر من يقعُ له ذلك من الأكابر الذي حفظ الله ظواهِرهم وبواطنهم، ولا ينكره إلا جاهِل بمعرفة ما يَرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياءً غير أموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جماعة من الأنبياء في السماء وسمع خطابهم.

وقد تقرَّر أن ما جاز للأنبياء مُعجزة، جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي. اهـ. كلام ابن حجر بنقل اليدالي.

ثم قال أي اليدالي: وللحافظ السيوطي رحمه الله:

رؤية الأنبياء بعد الممات=أدخَلُوها في حيز المُمكِناتِ

قل لمن قال إنها مستحيل=اترُك الخوضَ عنك في الغمرات

أنت لا تعرفُ المحال ولا الممـــــــ=ـــــكن
إما بالغير أو بالذات
واحذرن أن تزل زلـة كفـر = وتـوَقَّ مواقِـعِ الزلاتِ
اهـ.
وقال اليدالي أيضا: وقال ابن حجر المتـأخر -هـو المكي الهيثمي المتـوفى سـنة 973-: ولا يلـزم من رؤيته صلى الله عليه وسلم كـون الراءي صحابيا كما زعم ابن حجر المتقدم -هـو العسقلاني المتوفى سنة 852- في فتح الباري، لأن هذه الرؤية في عالم الملكوت وهي لا تفيـد صحبة. هـ.
وقال في شـرح الشـمائل: وتأويـل الأهـدل وغيره لما وقع للأولياء من رؤيتـه، بأنَّه إنمـا هـو في حال غيبتهم فيظنونه يقظة، فيه إساءة ظن بهم حيث تشـتبه عليهم رؤيـة الغيبـة برؤيـة اليقظـة، وهـذا لا يُظنُّ بـأَدْوَنِ العُقَلاء فَكَيْـفَ بالأكـابر. وعجيب قولـه في قـول أبي العبَّاس المرسي وشيخه: لـو حُجب عني رسـول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عَيْنٍ ما عـددت نفْسي مُسلمًا، هـذا فيه تجـوز، أي لم يحجب عني حجاب غفلة، ولم يرد أنه لم يحجب عن الصورة الشخصية طرفة عين، فذلك مُستحيل.
قال: فيقالُ له دعواكَ الاستحالة إن عـنيْتَ بها الاستحالة العقلية فباطل، أو الشـرعية فَمن أي دليلٍ أو قاعدة أخذت ذلـك، كلا، لا اسـتحالة في ذلكَ بوجْهٍ كما قدمْنا. اهـ.

وفي نزهة الـراوي للشـيخ سـيدي المختـار الكُنتي بعد كلام ذكره في نحو ما قدمناه: وهـذا الميدان لا مجال للأقيسة والعقول فيه، بـل هـو موكول إلى ما جاء عنه صلى الله عليـه وسـلم، وما ثبتَ عن وارثيـه من الأوليـاء أربـاب الـذوْق والأحْوال والمكاشـفات، فيجب حينئـذ التصـديق إن أمكن، وإلَّا فالتســـليم مَـــعَ حُسْـــن الظن والاعتقـاد، وإلَّا فقـد أوقـعَ نفسـهُ في ورْطـة وحمَّلهَا ما لا تطيق. اهـ.

وقـد صـرح ابن العـربي بجـواز رؤيـة ذاتـه بروحه وجسده لأنـه كسـائر الأنبيـاء أحيـاء ردت إليهم أرواحهم، وأُذنَ لهم في الخــــــروج من قبــورهم، وتصَــرفهم في الملكــوت العُلــوي والسُّـفلي. ولا مـانع مِن أن يـراهُ كثـيرون في وقتٍ واحـدٍ، لأنَّه كالشـمس. وإذا كـان القطب يملأ الكون كما قال ابن عطـاء اللـه، فمـا بالـك بالنبي. اهـ .بخ. قاله في فرائد الفوائد.

ثم قال: وقد صنَّفَ الإمـامُ السـيوطي كتابًـا سـمَّاهُ تنـوير الحلـك في إمكـانِ رُؤيـة النَّبي والملـك، فـانظره يتضح لـك المـراد، فتكن من أهل الاعتقاد.

وقال الغـزالي في الإحيـاء: اعلمْ أن أربـاب القلـوب يكاشَـفُون عن أسـرار الملكـوت، تـارة على سبيل الإلهام بـأن تخطـر لهم علي سـبيل الـورود عليهم من حيث لا يعلمـون، وتـارة على سبيل الرؤيا الصـادقة، وتـارة في اليقظـة على سـبيل كشـف المعـاني بمُشـاهدة الأمثلـة كمـا

يكون في المنام، وهذه أعلى الـدرجات. فإيـاك أن يكون حظك من العلم إنكار كل ما جاوز حد قصورك، ففيه هلـك من تـورَّعَ ممن يـزعم أنـه أحـاطَ بعلم المنقـول والمعْقـول، والجهـل خـير من علمٍ يدعو إلى إنكارِ مثل هذه الأمور لأولياءِ الله. اهـ.

وقال الشعراني في الميزان بعدما جزم أنَّ المجتهـدين جميعَهم كمالـك والشـافعي رحمهم الله يقولون برؤيـة ذاتـه الشـريفة في اليقظـة، ويسألونه عما يحتاجون للسؤال عنه، مـا نصـه: وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الـذين هم دون الأئمــة المجتهــدين في المقــام أنهم كـــانوا يجتمعون برسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، ويصـدِّقهم أهـل عصـرهم على ذلـك، كالشـيخ إبراهيم الدسوقي، وسـيدي الشـيخ جلال الـدين السيوطي، والـزواوي، والمرسـي، وأبي مـدين، وأبي الســعود، والشــاذلي، وعبــد الــرحيم، وجماعات ذكرناهم في طبقات الأولياء.

قـال: ورأيتُ بخـط جلال الـدين السـيوطي مُراسلة لشخص سأله شـفاعة عنـد السـلطان، قال: اعلمْ يا أخي أنني قد اجتمعت برسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم إلى وقـتي هـذا خمسًـا وسبعينَ مرة يقظة ومُشافهة، ولولا خـوفي من احتجابـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـني بسـبب دخولي للولاة لطلعْتُ القلعة وشفعْتُ فيك عندَ السـلطان، وإني رجُـل من خـدام حديثـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأحتـاج إليـه في تصـحيح

الأحاديث التي ضعفها المحـدِّثون من طـريقهم، ولا شـك أن نفـعَ ذلـك أرْجح من نفعـك أنتَ يـا أخي. اهـ.

إذا عــرفت هــذا فهــل يبقى بعْــده للمعنِّف مقـال، فمـاذا بعـد الحـق إلا الضـلال، وإذا كـان ذلك كذلك فكيف يعانـد في رؤيـة شـيخنا الختم لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقظـة، وأخذه عنه، وإخباره بمقامه الذي لا مقام بعده، وبما خصَّ الله أصـحابه بـه من الفضـل العظيم الذي تحيله عقول من طبع الله على قلبه بطابع الحرمـان، وكيـف يقـول إنَّ في قولـه وإخبـاره بذلك وكذا بمنع أصـحابه من زيـارة الأوليـاء في كل وقت وزمان، تزكية للنفس وطلبا للرياسـة، حاشاه من هذا الاعتقاد، الذي أفضى بمن نسبه إليه إلى القطيعـة والبعـاد. نعم إن مـا جـاء من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبْ**» وقـول علي كرم الله وجهـه: «محمـد النـبي أخي وصـهري، وحمـزة سـيد الشـهداء عمي» إلخ، ومن قـول الشيخ عبد القادر: قـدمي هـذه على رقبـة كـل ولي، وقـول شـيخنا رضـي اللـه عنـه: «قـدماي هاتـان على رقبـة كـل ولي من لـدن آدم إلى النفخ في الصور» فهو من التحـدث بالنعمـة، أو المـراد بـه التعريـف كمـا في ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَـــزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيـــظٌ عَلِيمٌ**﴾، أو المقصـــود بـــه الـــرَّد على المبطلين كمـــا في مجاوبـة ثـابت وحسـان بـني تميم. ومن أطلـق

على شيء من ذلك الفخر والتفاخر، فبالنظر إلى الصورة والظاهر، لا بالنظر إلى المقصد، وهذا مراد من قال يجوز الفخر بالخصال الدينية ولا يتصور الفخر إلا من جاهل، وكفى بالمرء جهلا أن يجهل عيوب النفس وليس ذلك من طلب الحظوظ.

## فصل

أذكر فيه من كلام العلماء والعارفين الأعلام، ما يكشف عن هذه المسألة النقاب واللثام، ويهزم جيوش المبتدعة اللئام، ويعود عليهم بالدمار والثبور والانتقام.

فأقول ملتمسا النصر من الله بمنه وكرمه:

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الصواعق على النواعق: إن ذكر السلف محاسنهم الدينية ليس من باب الافتخار ولا تزكية النفس، بل لهم في هذا وجهان:

-أحدهما أن هذا من باب التعريف بحاله إذا جهل مقامه. قال النووي في الأذكار في باب مدح الإنسان نفسه وذكر محاسنه:

اعلمْ أن ذكر الإنسان محاسنه فردان (ضربان؟): مذموم ومحمود.

فالمذموم: أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع وشبه ذلك؛ والمحبوب أن يكون فيه

مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمـرا بـالمعروف أو ناهيًا عن المنكرِ أو ناصحًا أو مشيرا بمصلحةٍ أو معلما أو مؤدبا أو واعظا أو مذكرا أو مصـلحاً بين اثـنين، أو يـدفع عن نفسـه، أو نحـو ذلـك فيذكر محاسـنه ناويـا بـذلك أن هـذا أقـرب إلى قبول قوله واعتقاد ما يذكره.

فقـد جـاء في مثـل هـذا شـيء كثـير من النصوص كقول النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ**»، «**أَنَا سَيِّدُ وَلَـدِ آدَمَ**»، «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَـقُّ عَنْـهُ الْأَرْضُ وَيَـدْخُلُ الْـجَنَّةَ**»، و«**أَنَـا أَعْلَمُكُمْ بِاللـهِ وَأَتْقَـاكُمْ**»، «**إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي**» الحديث، وأشـباه هـذا كثيرة.

وقال يوسف عليه السلام ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَـزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيـظٌ عَلِيمٌ**﴾، وقـال شـــعيب: ﴿**سَــتَجِدُنِي إِنْ شَـــاءَ اللـــهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾.

وقال عثمان رضي الله عنه حين حُصِرَ كمـا في صحيح البخاري ومسلم: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُـونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليـه وسـلم قَـالَ: «**مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَـةَ فَلَـهُ الْـجَنَّةُ**»، أَنَـا حَفَرْتُهَا، وَصَدَّقُوهُ فِيمَا قَالَ.

وفي صـحيحيهما عن سـعد بن أبي وقـاص رضي الله عنه أنه شكاه أهل الكوفـة إلى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا لا يحسـن أن يصـلي، فقـال سـعد: واللـه إني لأول من رمى

بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر تمام الحديث.

وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال: والذي برأ النسمة إنه لعهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

وفيه أيضا عن أبي وائل قال: خطبنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد أخذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم، ولو علمت أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه. ونظائر هذا لا تنحصر كلها محمولة على ما ذكر.

وقال في الكشاف عند قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾ الآية، فيه إن العالم إذا جُهِلَتْ منزلتُه في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده لم يكن من باب التزكية.

وقال في موضع آخر: لا تذم التزكية إذا كانت لغرض صحيح في الدين وطابقت الواقع، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له إعدل في القسمة: «**وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**» وقوله: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ**». واستدل لذلك بما أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن

أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: «ألست أحق الناس بها، ألست أول من أسلم، ألست صاحب كذا».

الوجه الثاني: أن هذا من باب التحدث بنعمة الله شكرا، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ قال: إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك.

وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند والبيهقي في شعب الإيمان، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ**».

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي نصر قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعمة أن يحدث بها.

وأخرج البيهقي عن الجريري قال: كان يقال أن تعداد النعم من الشكر.

وأخرج البيهقي عن يحيى بن سعيد قال: تعديد النعم أن يحدث بها.

وأخرج عن سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن عبد العزيز قال: إن ذكر النعم شكر.

وأخرج البيهقي عن أبي الحواري قال: جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم، يقولان أنعم الله

تعالى علينا في كذا، أنعم الله تعالى علينا في كذا.
وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال: كان عمر بن ميمون إذا لقي الرجل من إخوانه قال رزق الله البارحة من الصلاة كذا وكذا، ورزق الله البارحة من الخير كذا وكذا.
وقد عرف العلماء الشكر بأنه اعتقاد بالجنان، وذكر باللسان، وعمل بالأركان.
وأنشدوا على ذلك:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة=يدي ولساني والضمير المحجبا
وقال شمس الدين ابن القيم: الشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو ينقسم إلى محمود ومذموم. فمن ذلك التحدث بالنعمة شكرا والفخر بها، فالأول المقصود به إظهار فضل الله وإحسانه ونعمته وإفشاؤها، وفيه حديث: **«التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ وَكَتْمُهَا كُفْرٌ»**.
أخرج ابن سعيد عن عائشة قالت: أعطيت خلالا ما أعطيتهن امرأة: ملكني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين، وأتاه الملَك بصورتي في كمه فنظر إليها، وبنى بي في تسع سنين، ورأيت جبريل عليه السلام ولم تره امرأة غيري، وكنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب أصحابه إليه، ومرض في بيتي فمرضته، وقبض ولم يشهده غيري والملائكة.

اهـ. بخ. من بعض تـآليف الشـيخ عمـر الفـوتي رضي الله عنه. -يعني الرماح-

## فصل

وأما ما أورده على شـيخنا رضـي اللـه عنـه وأرضــاه، وجعلنــا من حزبــه بجــاه حبيبــه ومصــطفاه، في قولــه: «لا يشــرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العـالم إلى النفخ في الصور»، وقوله: «إن الفيـوض الـتي تفيض من ذات سـيد الوجـود صـلى اللـه عليـه وسـلم تتلقاها ذوات الأنبيـاء، وكـل مـا فـاض وبـرز من ذوات الأنبيـاء تتلقـاه ذاتي، ومـني يتفـرق على جميـع الخلائـق من نشـأة العـالم إلى النفخ في الصور»، إلى غير ذلك من شطحاته رضي اللــه عنه، وقد تقدم شيء منها في الفصول قبل هذا فــانظره، ممــا ظــاهره يقتضــي الشــفوف والتفضـيل لـه ولأهـل طريقـه المحمديـة على الصـحابة رضـوان اللـه عليهم، وحـاش شـيخنا رضي الله عنه من هذا الاعتقاد الردي والإيـراد، والتعصب بالباطل والانتقاد.

فجوابـه هـو أن العلمـاء رضـي اللـه عنهم كـالجلال السـيوطي في كتابـه الصـواعق، قـد افترقوا في هذا فرقتين: فمنهم من جعـل ذلـك اصطلاحا عرفيا، ومنهم من قال هو موكول إلى

تخصيص العقل. وحاصله أنه من العام الذي أريد به الخصوص الذي تقرر بيانه في علم أصول الفقه. وذكروا لذلك أمثلة وشواهد.

إلى أن قال: ومنه قوله تعالى: ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ أطبق العلماء على أن هذا من العام المراد به الخصوص، لأنها لم تدمر الملائكة ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماوات والأرض ولا الجبال، ولا بقية من كان من البشر سوى عاد.

ومنها قوله تعالى: ﴿**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أطبقوا على أنه من ذلك، وأن المراد من كل شيء يؤتاه جنسها من الملوك لا من كل شيء على الإطلاق، فإنها لم تؤت ما أوتيه سليما.

ومنها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾، وقوله: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾ كلها من العام المراد به الخصو.

ومنها: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أجمعوا على أنها مخصصة بالعقل، فإن الذات المقدسة والصفات الشريفة له جل وعلا غير داخلة في هذه.

ومنها قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ أجمعوا على أنها خُصِّصَ منها العرش

والكرسي والجنة والنار وما فيهما والأرواح أو مؤولة.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: **«أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدٌ»** أخرجه البخاري، أطبقوا أن هذا الكلام خاص بمن هو في عالم الشهادة الذين هم بين أظهر الناس، دون من هو في عالم الغيب كالخضر وإلياس، إن ثبت وجودهما، وإبليس ومن عمر من الجان.

قال ابن الصلاح: الحديث فيمن يشاهدونه الناس ويخالطونه، لا فيمن ليس كذلك كالخضر، وقاله النووي.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن أبي خالد عن هبيرة بن مريم قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه بعد وفاة علي يقول: فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخِرون. وهذا من العام المراد به الخصوص قطعا، فإن العقل يخص من لفظ الأولين سيد المرسلين وسائر الأنبياء وجبريل وسائر الملائكة، فلم يقصد الحسن تفضيل أبيه في العلم على أحد من هؤلاء ولا مساواته معاذ الله، وكل هذا موكل إلى تخصيص العقل فلا يحتاج إلى التصريح، وإنما يتوهم دخول هذا من اشتدت عدانيته في الجهل.

ومما يؤيد ذلك أن الشيخ رضي الله عنه صرَّح بأن الصحابي أفضل من غيره ولو بلغ ما بلغ من المعرفة.

وفي جواهر المعاني: وسألته رضي الله عنه عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة.

فأجاب رضي الله عنه بقوله: «اختلف الناس في تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، وذهبت طائفة إلى تفضيل القطب. والراجح تفضيل الصحابي على القطب، بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى أَصْحَابِي عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ»**، ومما يؤيد ذلك قوله رضي الله عنه: «إن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور» إلخ، لأن **مِنْ** لانتهاء الغاية في هذا المحل يعلم ذلك كل من له أدنى معرفة بعلم النحو، لأن **مِنْ** تكون بمعنى إلى، ومثلوه بنحو رأيته من ذلك الموضع، فجعلته غاية لرؤيتك أي محلا للابتداء. اهـ. بخ. مع زيادة من البعض المذكور للشيخ عمر رضي الله عنه.

## فصل في تنبيه الجهلة الغافلين
## وزجرهم عما وقعوا فيه من الخسران المبين
## مخاطبا لهم بحسب الحال، وفهمهم القول والمقال

**فقلتُ:** أما اعتراضكم على المنتسبين إلى الله فمن حمقكم، وضعف عقولكم، إذ لو عقلتم عن الله ما أمر الله به لاشتغلتم بالإنكار على أنفسكم وأهليكم ومن لاذ بكم، وبعد ذلك تنهون عن الفواحش والكبائر الظاهرة، كالزنى وعقوق الوالدين وأكل أموال اليتامى ظلما وشهادة الزور واليمين الغموس، بل وأيمان الفساق واللواط والكذب والخيانة وأكل الربى، وما اتخذتم من الرشى عند النوازل، إذ هو عين السحت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَلَا إِنَّ الرَّشَا هُوَ عَيْنُ السُّحْتِ»** رواه البخاري، وذلك مما أنتم موصوفون به، فإن سلمتم أنتم على فرض ذلك فمن لكم وإليكم موصوف وموسوم بذلك، ولو سلمت بواطنكم وعلمتم عن الله ما أمركم به، لرأيتم أن الخلق كلهم عيال الله، سيما أهل الانتساب

إليه، سواء صدقوا أم كذبوا تكفيهم النسبة، فلما عمى الباطن صدر منكم ما صدر من الاشتغال بأعراض المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ألم تسمعوا يا عمى قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

**ألم تسمعوا** ما رواه مجاهد بسنده قال: إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيتان كالبخت وعقارب كالبغال، فإن استغاث أهل النار قالوا الساحل، فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون النار النار، فإذا ألقوا سلط عليهم الجرب، فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعا. قال: يقال يا فلان، هل تجد هذا يؤذيك؟ فيقول: وأيُّ أذى أشد من هذا؟ قال: يقال ذاك بما كنت تؤذي المؤمنين.

**ألم تسمعوا** ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ ﴿**فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾، قال: فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء، ولا يغفر من

حقوق الخلق شيئا، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: إيتوا إلى حقوقكم، قال: فيقول العبد يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوفيهم حقوقهم؟ فيقول الله لملائكته: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة، وإن كان عبدا شقيا لم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه، فيقول الله تعالى: خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار.

**ألم تسمعوا** قول أبي بكر الوراق: وفي الخبر أكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت، الذنب. قال: فنظرنا في الذنوب فلم نجد ذنبا أشد لنزع الإيمان من ظلم العباد.

**ألم تسمعوا** ما روي عن شريح القاضي رحمه الله أنه كان يقول: سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر الثواب.

**ألم تسمعوا** ما حكى عن طاوس اليماني رحمه الله أنه دخل ذات يوم على هشام بن عبد الله وكان أميرا فقال له: اتق الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿**فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾. فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة.

**ألم تسمعوا** ما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» رواه مسلم.

وقول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مُقتدرا=فالظلمُ ترجع عُقباه إلى النَّدم

تنامُ عيناك والمظلوم منتبه=يدعو عليك وعين الله لم تَنَمِ

وقول بعض السلف: لا تظلم الضعفاء فتكون من الأشقياء.

**ألم تسمعوا** قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**» وقوله تعالى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾.

فانظروا هذا التهديد، وهذا الوعيد الشديد، فبأيِّ وَجْهٍ استحللتم أعراض المسلمين الذاكرين الله؟ ألم تسمعوا خبر: «لَيْسَ أَحَدٌ أَبْغَض إِلَى اللهِ مِمَّنْ يَكْرَهُ الذِّكْرَ وَالذَّاكِرِينَ»، ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾، وقوله عليه السلام: «**كَلَالِيبٌ فِي جَهَنَّمَ**

**تَنْزِعُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ»** فأيُّ لحمٍ وأي عظم يقوى على هذا يا مغرورون.

وقد جاء أن إطلاق اللسان وإرساله في أعراض المسلمين سبب سوء الخاتمة عياذا بالله، فتوبوا إلى الله، واشهدوا على أنفسكم بالتوبة لعلكم تفلحون وتوفقون وترشدون، لأنكم في غضب من الله، وانظروا بأي ذنب وصلتم إلى هذا التشنيع الذي تخمَّرت به طبائعكم، فإياكم والنكير على الفقراء الذاكرين، وإن كانوا جهالا بالآي والحديث، فهم موصوفون بالإيمان من حيث الذكر، وأنتم موصوفون بالنِّفاق من حيث النكر، لأنكم أردتم أن تقطعوا طريق الذكر، فالذكر يشهد لهم بالإيمان، والنكر يشهد لكم بالنفاق. وحملني على هذا تذكيركم، والتحذير من سوء فعلكم، قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

## فصل

وأما إنكاركم على من انتسب إلى التصوف والفقر، وتحاملكم عليهم على وجه التعَنت والمكْر، وتسميتكم من انتسبَ إلى ذلك مبتدعًا، وقولكم لهم أفعالكم هذه لم تثبت شرعًا، وإنما أحدثتموها وبزعمكم اتخذتموها، فذلك جهل منكم، ودليل يشهد عليكم، بل

المحدثات اشترك فيها أهل الظاهر والباطن، وهي أمور بعضها أحدثتْ في زمن الصحابة واستحسنوها واستمر العمل بها إلى هلم جرا، وبعضها استحسنها التابعون والعلماء العاملون والمجتهدون. ألم تسمعوا قول مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ**»، وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: نعمة البدعة هذه.

أما محدثات أهل الظاهر: فمن ذلك الاشتغال بعلم النحو وحفظ غريب الكتاب من اللغة، وتدوين أصول الفقه، والكلام في الجرح والتعديل، وتمييز الصَّحيح من السقيم، والكلام في الصفة والموصوف، والتغلل في ذلك، واتخاذ الخانات والمدارس والمحارب في المساجد وزخرفتها، والحمْدُ للهِ في أوَّل الرسائل، والاستدلال في المسائل، وتزويق المصاحف، والتوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والمساكن، ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام وتزويق العمائم وتكويرها.

فهلا أنكرتم هذه كلها ورددتموها يا أغبياء يا ضلال، كما رددتمْ محدثات أهل الباطن وأنكرتموها، وتمالأتم على الطعن على أصحابها وكيفيتها وجمعيتها، التي توصل إلى الله وتدلهم عليه وتجلسهم معه على موائد الحق، وهي الفاتحة أدبار الصلوات، وذكر الله بالجمع والتداول له والإعلان به، والإفراد لذلك وقتا من

الأوقـــــات، والكلامِ في دقـــــائق التصــــوُّف، والمصافحة في كلِّ وقت، والسبحات والإعلان، هي كلها مُستندة إلى الأحـاديث والآثـار، وقـد اتفق العلماء على العمل بالحديث الضعيف في فضـائلِ الأعمـال، وهـذه كلها نوافـل خَيْـرات يُتَقَرَّبُ بها إلى الله عـز وجـل، فقـد قـال عليـه الصلاة والسلام فيما يرويه عن اللـه عـز وجـل: **«لَا يَـزَالُ الْعَبْـدُ يَتَقَـرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِـلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِـرُ بِـهِ، وَيَـدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَـا، وَإِنْ سَـأَلَنِي أَعْطَيْتُـهُ وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي أَعَذْتُهُ»** رواه البخاري.

فأيُّ فريـة أعظم من هـذه البدعـة عنـدكم، وأيُّ خيْر أعظم من هـذا عنـد المـؤمن الخـالص الإيمان، ما أراكم أيها المتكبرون والمتسـلطون إلا في غفلـة اسـتولت على قلـوبكم فأنسـتكم ذكـر اللـه، قـال تعـالى: ﴿**اسْـتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّـيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِـزْبَ الشَّـيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَـيْطَانًا فَهُـوَ لَـهُ قَـرِينٌ**﴾، وأيُّ قـرين، بئس القـرين قـرينكم، فاتبعتم هواه وآثرتموه حتى تمـالأتم على إذايـة الـذاكرين، ونهيهم عن ذكـر اللـه والصـلاة على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلو كنتم عُقلاء منوَّرين البصيرة لاكتفيتم منهم بذكر

الله على أيِّ وَجْهٍ ذكرُوه، كانوا صادقين أو مُبتدعين.

على أن البدعة قد تكلم فيها أهل العلم، وقسموها إلى أقسام الشريعة.

قال عز الدين ابن عبد السلام في آخر كتابه القواعد: البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام: واجبٌ، ومُحرم، ومندوبٌ، ومكروهٌ، ومباحٌ.

قال: والطريق في ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلتْ في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلتْ في قواعد التحريم فهي مُحرمة، وفي قواعد النَّدْب فهي مندوبة، والكراهة فهي مكروهة، والإباحة فهي مباحة، فافهم.

فللبدع الواجبة أمثلة: منها الاشتغال بعلم النحو الذي يُفهم منه كلام الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن احتيج إليه فهو من قِبَل الواجب، لا سيما الأعاجم الذين لا يعرفون اللسان العربي؛ وكذلك الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم، فهو فرض كفاية يحمله من قام به.

وللبدع المحرمة أمثلة: منها مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة والمرجئة كل ذلك حرام، والردُّ عليهم من البدع الواجبة، يتعين على من قام به.

وللبدع المندوبة أمثلة: منها إحداث نوافل الخيرات المستحسنة، كمثل حزب الإدارة،

والاجتماع للذكر أدبار الصلوات بكيفية معلومة، والتداول لذلك، وقراءة الفاتحة في كل شيء، والمسبحات، وزيارة الإخوان، وجملة ما أحدثه الصوفية من الآداب واستحسنه العلماء خلفًا عن سلف.

وللبدع المكروهة أمثلة: منها زخرفة المساجد، وتَزْويق العمائم وتكويرها، والتشديد في الفتوى والرخصة فيها.

وللبدع المباحة أمثلة: منها المصافحة عقب الصبح والعصر، واختار الشيخ محيي الدين إن صافح من كان معه قبل الصلاة فمباح، وإن صافح من لم يكن معه قبلها فمستحب، لأن المصافحة عند اللقاء مُستحبة بالإجماع لا أعرف فيه تعارُضا لأصحاب مالك للأحاديث الصحيحة الثابتة الإسناد فيه، وكذلك إطعام الطعام عند رؤية البشارة كرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية أصحابه، ويدخل في ذلك إطعام القادم من زيارته صلى الله عليه وسلم، وتوبة العاصي إن صحَّ رجوعه وإظهار توبته بذلك فرحا بطريق الله وشكرا لله، فاعرف ذلك. اهـ. بخ. مع زيادة للإيضاح بنقل السنوسي رضي الله عنه في بعض تقاييده.

ثم قال: فانظره لأن فيه زيادة اختصرتها.

فانظروا أيها المتعصبون بالباطل هذا التقسيم الكامل، واعرفوا البدع وكيف هي، وانظروا بأي وجه تنكرون على من تنكرون،

لقد أوضحت لكم الطريق حتى عاد ظلام ليلكم نهارا، وولى إليكم وبال ذلك القهقرا.

## فصل

أذكر فيه حقيقة البدعة، ليعلم بذلك المنكر تعسُّفا وعنادا، ما يفضي به إليه إنكاره حالا ومعادا.

قال في عدة المريد: حقيقة البدعة شرعا، إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه، سواء كان بالصورة أو بالحقيقة، لقوله صلى الله عليه وسلم **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»** اهـ.

وقد بناها فيها على موازين ثلاثة، واقتصرت على الثاني منها لما فيه من المناسبة ونصه:

الميزان الثاني:

اعتبار قواعد الأئمة، وسلف الأمة، العاملين بطريق السنة، فما خالفها بكل وجه فلا عِبرة به، وما وافق أصولهم فهو حَق، وإن اختلفوا فيه فرعًا وأصلًا، فكُلٌّ يتبع أصله ودَليله.

وقد وقعَ من قواعدهم أن ما عمل به السلف، وتبعَهم الخلَف، لا يصح أن يكون بدعةً، ولا مذمومًا، وما تركوه بكل وَجْهٍ واضح لا يصح أن يكون سنَّة ولا محمودا، وما أثبتوا أصله ولم يرد عنهم فعله فقال مالك بدعة، لإنهم لم

يتركوه إلا لأمر عندهم فيه. وقال الشافعي ليس ببدعة وإن لم يعمل به السلف، لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام بهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، والأحكام مأخوذة من الشارع وقد أثبته.

واختلفوا أيضا فيما لم يرد له في السُّنَّةِ معَارض ولا شبهة، فقال مالك بدعة، وقال الشافعي ليس ببدعة، واستند لحديث «**مَا تَرَكْتُهُ لَكُمْ عَفْوٌ**».

قال: وعلى هذا اختلافهم في حزب الإدارة، والذكر بالجهر، والجمع، والدعاء، إذ ورد في الحديث الترغيبُ فيه، ولم يرد عن السلف فعله.

ثم كل قائل لا يكون مبتدعًا عند القائل بمقابله، لحكمه بما أدَّاهُ إليه اجتهادُهُ الذي لا يجوز له تعديه، ولا يصح له القول ببُطلان مُقابله لقيام شبهته، ولو قيل بذلك لأدَّى إلى تبْديع الأمَّة كلها. وقد عرف أن حُكمَ الله تعالى في مُجتهد الفروع، ما أدَّاه إليه اجتهادُه، سواء قلنا المصيب واحد أو متعدد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فأدركهم العَصْر في الطريق، فقال بعضهم: أمِرْنا بالعجَلة، وصلوا في الطريق، وقال آخرون: أمِرْنا بالصَّلاة هُناك، فأخروا، ولم يعِبْ صلى الله عليه وسلم على واحدٍ منهم، فدل ذلك على صحة العمل بما فُهِمَ من الشارع إذا لم

يكن عن هوًى. اهـ. بخ. وتصرف بنقل صاحب الجيش الكبير رضي الله عنه.

وقال ابن الحاجب: لا يجبُ القيام بدفع شبه المعتزلة والرافضة وجميع ملل الضلال، إلّا على من تمكن من النظر في العلوم الشرعية والحقيقية، تمكنا يقوى به على دفعها. اهـ. بخ. من الكوكب الوقاد بواسطة.

وقال سيدي المختار الكنتي بعدما ساق هذا الكلام: فإذا تقرَّر هذا المحظور في أهل الأهواء المحققة ضلالتهم، فما بالُكَ بمعارضة الجهابذة الأعلام، المستمدين من مدد ذي الجلال والإكرام. اهـ. بخ.

وقال القطب الشعراني في اليواقيت: اعلمْ أن حقيقة الصوفي فقيهٌ عمِلَ بعلمه لا غير فأورثه الله الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها، حتى صار مُجتهدًا في الطريق والأسرار، كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية. ولذلك شرعوا في الطريق واجبات، ومحرمات، ومندوبات، ومكروهات، وخلاف الأولى، كما استنبط المجتهدون نظير ذلك، وأبطلوا أي مجتهدو القوم العبادات والعقود بالإخلال بما أوجبوه وشرطوه، أو بارتكاب ما حرَّموه، هذا شأنهم رضي الله عنهم، فما من أحد حق له قدم الولاية إلا وهو مُجتهد في الطريق، ليس عنده تقليد إلا لما صرَّحت به الشريعة، أو اجتمع عليه الأمة، فمن

ادعى مقام الكمال وهو مقلد لغيره فهو غير صادق.

قال: وسمعت سيدي عليًّا الخواص رحمه الله مرارًا يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون. اهـ. وذكر نحوه في مقدمة طبقاته.

ثم قال بعده: لكن لا يُشرف على ذوق أن علمَ التصوف تفرَّع من عين الشريعة إلا من تبحر في علم الشريعة حتى بلغ الغاية.

وقال في المقدمة أيضا، بعد أن حكى فيها نحو ما تقدم من أن علماء الطريق شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومكروهات إلخ، ما نصه: وليس إيجاب مُجتهد باجتهاده شيئًا لم تصرح الشريعة بوجوبه بأوْلى من إيجاب الولي حُكمًا لم تصرح الشريعة بوجوبه، كما صرَّح بذلك اليافعي وغيره. اهـ.

وذلك لأن الكل مُستنبط من نُصوص الشريعة ما لا يُحصى من الأحكام والوقائع، فكذلك هؤلاء علماء الباطن وأئمة الطريق استنبطوا أيضا من نصوص الشريعة أحكامًا ووقائع في الباطن لا تحصى، والكل من طريق الاجتهاد الصحيح. فالاجتهادُ واقعٌ في دولة الباطن كما هو واقع في دولة الظاهر، ولا غنى بإحدى الدولتين عن الأخرى، فحقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة أي ناقصة. اهـ. فالفريقان لا محالة يغترفان من عين واحدة. اهـ. بخ. من البغية.

وقال القطب الشعراني أيضا رضي الله عنه في العهود الكبرى: قلت: وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالاطلاع على أدلة مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها، وعرفت مُستند أقوالهم في جميع أبواب الفقه، فما من قول من أقوالهم إلا ورأيته مُستندا إلى دليل، إما إلى آية وإما إلى حديث وإما إلى أثر وإما إلى قياس صحيح، وصارت مذاهب الأئمة الأربعة بحمد الله تعالى عندي منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها، كما يعرف ذلك من طالع كتاب مختصر السنن الكبرى للإمام البيهقي رحمه الله، وكل من لم يطلع على أدلة المذاهب كما ذكرنا فلا يميز مسائل الرأي من النص، وربما وقع في العقائد الزائغة، وعمل بالمذاهب الباطلة، إلا أن يُحكم التقيُّد بمذهب محرر. فإن رد العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية عليهم لا غير، فلا يلزم من الردِّ عليهم فساد قولهم في نفس الأم، كما قال الغزالي: كنا ننكر على القوم أمورًا حتى وجدنا الحق معهم، قال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾. اهـ.

ومما يؤيد قول الإمام الغزالي قول الإمام أبي قاسم الجنيد رحمه الله: كان عندي وقفة في قولهم يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو

ضُرِبَ وَجْهُهُ بالسيفِ لم يحس، إلى أن وجدْنا الأمَر كما قالوا. اهـ. منها.

ثم قال بعد كلام: وكذلك أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذِ الإنسان شيخًا يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه، لتصح صلاته من باب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ولا شك أن علاجَ الأمراض الباطنة من حُبِّ الدنيا، والكبر والعجب والرياء، والحسد والحقد والغل والنفاق، ونحوها، كله واجبٌ كما تشهد الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعد عليها بالعقاب.

فعُلِمَ أن كل من لم يتخذ شيخًا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات، فهو عاصٍ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب في العلم، فهو كمن يحفظ (كتابا في) الطب ولا يعرف ينزل الدواء على الداء، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم، ومن رآه حين يُسأل عن اسم المرض وكيفيَّة إزالته قال إنه جاهل. فاتخذ لك يا أخي شيخا واقبل نصحي، وإياك أن تقول إن طريق الصوفية لم يأتِ بها كتابٌ ولا سُنة فإنه كفر، فإنها كلها أخلاق محمَّدية سداها ولحمتها منها. اهـ. بخ.

وإذا عُلِمَ هذا عرفتَ أن من انتقد على شيخنا وغيره من أولياء الله وأصحابهم ونسبهم

إلى البدعة، ورماهم بالكفر والزندقة، هو أحق وأولى أن ينسب إلى البدعة ويُسمى بالمبتدع، وهو إلى الكفر أقرب وأسرع إن أصرَّ على ذلك ولم يرجع لكونه محاربا لله ورسوله المختار، وجاهلا بالمعتقدات، تاركا للصلاة، مرتكبا للمناكر، مصرًّا على الغيبة والنميمة وأكل الحرام وأنواع الفساد، غافلا عن ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل والنهار، مبغضا لأهل البيت والمنتسبين والذاكرين، معرضًا عن الحق سبحانه سخطا بما قدره رب العالمين، كيف والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ لا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ**»، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب، وإذا أعرض الله عن العبد أورثه الإنكار على أهل الديانات، رواه أبو عمر الصفدي في خبره، وقال أبو تراب: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى، وقال العلماء: لم يحارب الله عاصيًا إلا المنكر على الأولياء وآكل الربى، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة من سوء الخاتمة، وروي أن إخراج مسلم واحد من الملة أعظم عند الله من قتل ألف مسلم في الملة. اهـ. ومعلوم ضرورة أن إخراج المسلمين من الملة بسبب ما هو عين الملة زيغ وإلحاد، ومجازفة وعناد. اهـ. بخ. من جذوة الأنوار بواسطة.

# فصل

وأما إنكار الجهلة وجود الصالحين في زمننا هذا وقبل بقريب، وتفضيل بعض المترفين جـده على غـــيره من الأوليــاء وشــفوفه على كـــل نسيب، واكتفاؤه دون شيخ اتكالا على جـده في سلوك الطريق، لكن بما يوجـد في بعض الكتب خاليا عن التحقيق، فإذا ذُكِرَ الأولياء المتقـدمون قالوا نفعنا الله بهم وخصوصًا من لـه نسـبة مـا من العـوام، وإذا ذُكِـرَ الأكـابر من أهْـل الـوقت علمـــا وحـــالًا وشـــهودا وغيبـــة في الحضـــرة القدسية، قالوا ما رأينا شيئًا وأطلقـوا ألسـنتهم بـالطعن فيهم وفحش الكلام، جهلا بقُـدرة رب الأولين والآخـرين، الـتي لا يعجزهـا شـيء ولا تتوقف على شيء على التعيين، واعتراضا على من بيـده الخلـق والإنشـاء لا يسـأل عمـا يفعـل ويختص برحمتـه من يشـاء، وتحجـيرا وتضـييقا لرحمة الله الواسعة حقا.

روى الإمام البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَـةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَـــاهِرِينَ عَلَى الْــحَقّ لَا يَضُــرّهُمْ مَنْ خَــالَفَهُمْ حَتَّى يَــأْتِيَ أَمْـرُ اللهِ**». اهـ.

وفي الحديث عنه صلى اللـه عليـه وسـلم: «**أُمَّتِي كَالْـمَطَرِ لَا يُـدْرَى أَوَّلُـهُ خَيْـرٌ أَمْ آخِرُهُ**» رواه الترمـذي، وفيـه أيضـا أن رسـول

اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**خَيْرُ أُمَّتِي أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا وَفِي وَسَطِهَا الْكَدَر**» رواه الترمذي عن أبي الدرداء، وفيه أيضا: رواه الترمذي مرفوعا إلى عبد الرحمن بن سمرة قال: جئت مُبشرا من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحة بكى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام: «**مَا يُبْكِيكُمْ**» فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟ فقال عليه السلام: «**لَا تَبْكُوا إِنَّمَا مثل أُمَّتِي مثل حَدِيقَة قَدْ قَامَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَاحتلب روائكها وهيأ مسالكها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها ثمرا والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم من أمتي خلفا من حوارييه**». اهـ.

ويكفي ردًّا عليهم ما قاله ابن عطاء الله في لطائف المنن في تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ**﴾ فانظره.

وقال في الإبريز: وسمعته يعني شيخه سيدي عبد العزيز رضي الله عنه يقول في قوله عز وجل: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ أي ما نذهب من ولي إلَا ونأت بخير منه أو مثله. اهـ.

وسئل بعض العارفين عن أولياء الله العدد أينقصون في زمن؟ فقال: لو نقص واحد منهم

ما أرسلت السماء مطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم، ولا بنقص أمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع إخفائهم مع وجود بقائهم، فإذا كان أهل الزمان معرضين عن الله عز وجل، مؤثرين لما سوى الله لا تنجع فيهم الموعظة، ولا تميلهم إلى الله التذكرة، لم يكونوا أهلا لظهور أولياء الله تعالى فيهم، ولذلك قالوا أولياء الله عرائس فلا يرى العرائس المجرمون.

وأطال الكلام إلى أن قال: الثالث أن تعلم أن الذي أعطاه الله سبحانه لأوليائه من الإيمان واليقين مما أنت مصدق به ومثبت له، أعظم مما استغربتَهُ وأنكرته من اطلاع على الغيب وطيران في الهواء أو مشي على الماء، فمثلك إذا استغربْت ذلك على المؤمنين كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك أعطاهُ سفْرًا مملوءا ياقوتا ثمينا علمتَ أنت به، كل ياقوتة تضمنها (...) تساوي عشرة آلاف دينار، ثم قال لك ذلك العبد الذي من خواص الملك أو قيل عنه إن الملك أعطاه مائة دينار، فاستغربت ذلك، فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب، وما أكرم الله تعالى العباد في الدنيا والآخرة كرامة بمثل الإيمان به والمعرفة بربوبيته، لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى

غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار وما كان به أهلها فيها من رضا عن الله ورضا من الله ورؤية لله، فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره وأمداد أنواره، جعلنا الله وإياك من المؤمنين بربوبيته، الإيمان الذي رضيه لخاصة عباده، وبسطنا وإياك للتسليم له في مراده. اهـ.

وقال في الرماح نقلا عن قواعد زروق ما نصه: قاعدة النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعي أمر جاهلي، حيث قال الكفار: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾. فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**﴾ الآية، وقالوا ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**﴾ الآية، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقتٍ ولا شخص، إلا من حيث ما خصَّه الله تعالى به، والأولياء في ذلك تبع للأنبياء، لأن الكرامة شاهد للمعجزة، والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة، وإن تباينا في أصل الفضل فافهم. اهـ.

وفيه: إن وجود الجحد مانعٌ من قبول المجحود أو نوعه لنفور القلب عنه، والتصديق مفتاح الفتح لما صدّضق به وإن لم يتوجه له إذ

لا دافع، فالمتوقف مع الفقه يتعين عليه تجويز المواهب والفتح من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا عين، لأن القدرة لا تتوقف أسبابها على شيء، وإلا كان محروما ما قام به جحوده . ثم هو إن استند إلى أصل معذور ، وإلا فلا عذر له بانكاره ما لا علم له به، فسلم تسلم. اهـ. بواسطة وفيه تصحيف ما.

ولا يخفى ما وقع من الخلاف في تفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعضهم على بعض، ما عدا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الذي ثبتت سيادته على بني آدم وغيرهم من جميع المخلوقين وسائر العالمين. وكذلك ما وقع من الخلاف في تفضيل الصحابة رضي الله عنهم بعضهم على بعض، ما عدا الصديق رضي الله عنه. فالتفضيل توفيقي ما ورد عن الشارع صلى الله عليه وسلم قلنا به، وما لا فلا، وما ورد من تفضيل الخلفاء على الترتيب المشهور قال الشعراني رضي الله عنه في لطائف المنن والأخلاق بعد كلام: ولا يلزم من الأفضلية الظاهرة الأفضلية الباطنة، بل الواجب علينا محبة الجميع، والوقوف عند أمر الله. اهـ.

وقال سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه في معنى الأفضلية التي ثبتت بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن في معناهم، ما معناه: إنما وقعت الأفضلية بينهم بحكم الله تعالى لا لِعِلَّة موجبة وُجِدتْ في الفاضل دون المفضول، فللسيد أن يفضل

بعض عبيده على بعض وإن كان كل منهم كاملًا في نفسه، والتمثيل بالسيد أمر تقريبي، إذ لا يخلو من البواعث والأغراض، وحضرة مولانا جل وعلا منزهة عن ذلك.

إلى أن قال: والتفضيل راجع إلى اختيار سيد الجميع، وهو الله، وبذلك نَسْلَمُ من سُوء الأدب مَعَ خواص الله وأحبائه، ومعه سبحانه، وإلا فسوء الأدب لازم لزومًا ضروريًا، كما تواطأ عليه الجهَّال، ولا أقول إنهم في ذلك بمنزلة من هَدمَ قَصْرًا وبنى مِصْرًا، أو بنى قَصْرًا وهَدَمَ مِصْرًا، ولكن بمنزلة من هَدمهما معًا، فآلَ سوءُ الأدب معهم إلى سوء الأدب مَعَ الله، وهو عظيم. اهـ.

والحاصل أن المزية لا تقتضي التفضيل كما قال الجنيد رضي الله عنه: مشى رجالٌ باليقين على الماء ومات رجال بالعطش وهم أفضل منهم.

ومن أجل هذا كان الأكابر لا يرضون بالكرامة، وكان مولانا عبد السلام رضي الله عنه يُدعى الجبل الراسي، لأنه ما رضي بإظهار كرامة ولا أخبر بغيب، فقيل له في ذلك فقال: يمنعني قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾. اهـ.

قال صاحب الجيش العلامة المتبحر، الجهبذ العارف بالله المتفكر، سيدي محمد بن محمد الصغير الشنجيطي: فاعتبر هذا، فإن كثيرا من

الناس إذا سمعَ فضلا لعمل وكرامة لشخص، اغترَّ بذلك واعتقدَ أفضليته.

وقال الشيخ محيي الدين في فتوحاته: فإن قلت: فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الأنبياء؟

فالجواب: أن الفرق بينهما أن ورثة الأنبياء آياتهم في الآفاق، من خرق العوائد وغيرها، والوارث المحمدي آياته في قلبه، فلذلك كان الوارث مجهولًا في العموم معروفا في الخصوص لا غير، لأن خرق عادته إنما هو حال وعلم في قلبه، فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك. اهـ.

وبيان المحذور في ذلك إنك إذا فضلتَ أحدًا على أحد فقد نقصتَ ذلك المفضول، وهذا وإن كان يؤمَن توهُّمه من الخاصة الأقوياء، فإنه لا يؤمَن من العامة الضعفاء، كما نبَّهَ عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى**».

وقال المقري في محاضرته: قال يونس بن حبيب: أقبح الهجاء الهجاء بالتفضيل، يعني كقول الشاعر:

لشتَّان ما بين اليَزيْدَين في النّدا=يزيدِ سُلَيمٍ والأغرِّ بن حاتم

وتمام كلام المقري: ولا دليل على وجوب التفضيل، ولا على كون شئ من حقيقة الإيمان يؤمن فيه الخطر ولو من بعض الوجوه، فَسَدُّ هذا الباب واجب. اهـ.

ولا ينبغي لأحـد أن يحكم بتفضـيل شـخص على شخص، ولا نوع على نوع إلا بتوقيـف ممن له التفضيل، أو بدليل يستدل به من كتـاب اللـه تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليـه وسـلم، أو إجماع أمّتِهِ. اهـ. قاله في الكوكب الوقاد.

## فصل

وأمـا مـا يعكـر بـه المسـتنكف المتحامـل الجهول، على شيخنا في منعه الزيارة لأصـحابه فهو كله فضول، ولا يلتفت إلى توهمه الفاسـد، وتوركه الذي لا يجدي شيئا وشؤمه عليـه عائـد، بل يترك وهذيانه ينعق مـع النـاعقين، بـل ينهـق مـع النـاهقين، كيـف وقـد درج على نهج شـيخنا أصحاب الفتح الكبير، والمقـام الرفيـع الشـهير، وهـو عنـد المشـايخ المعتـبرين أمـر معـروف، وشرط مشروط مألوف، وغايتها على كل حـال لدى أولى النهى والألباب، في حــق من لم يكن في عهـد شـيخ من الشـيوخ مـع قيامـه بآدابهـا الإباحــة أو الاسـتحباب، ومعتمـدهم فيهـا على القاعدة المشهورة وهي أن درء المفاسد مقدم على جلب المصـالح. وإنمـا تركـه أي المنـع من الزيـارة للمريـد للأوليـاء مطلقـا من تركـه إمـا لعدم معرفته به لكونه أجنبيا من الطريق، وإمـا لكونه متهاونا بما ينشأ عنه من المفاسد لظهور مصلحة أخرى هي أهم وآكد من ذلك.

وقد أشار الشريشي إلى الحكمة في عـدم إباحة الزيارة للمريد في رائيته، وهو يـروي عن العالم الكبير أبي صالح سيدي نصر بن سيدي عبد الرزاق ابن الشيخ سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم بقوله:

فَإِنَّ رَقِيبَ الإِلْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ=يَقُولُ لِـمَحْبُوبِ السِّرَايَةِ لَا تَسْرِي

وقال في جنة المريد -أي سيدي محمد بن سيدي المختار اهـ. محققه- بعدما ذكر وظائف الشيخ: ثم لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر، ولا يصلح ذلك بالمريد، إذ المضرَّة لهم بذلك متحققة الوقوع، إذ لكل شيخ طريقة تخصُّه لا يتعدَّاها ولا يخلطها بغيرها، فيسمع المريد تلك الطريقة ويرى منها ما هو خلاف طريقته، فيختلف عليه الأمر ويقفُ في سلوكه، وقلَّ ما يجيء منه شيء، وعلى الشيخ سدُّ هذا الباب على المريد. ولا يمنعه تخيُّل من لا علمَ عنده ولا صدق، أن ذلك من جهة الاستبداد بالرياسة والحسد، فمقام الشيخوخة منزه عن ذلك. وقد قال ولي الله سيدي حُسين بن ناصر شقيق سيدي محمد بن ناصر، في كتابه الذي يجمع فيه مآثر أشياخه ومحاسنهم: مر في عد مآثرهم إلى أن قال: وكانوا أصحاب غيرة شديدة لا يقبلون أن يعرف صاحبهم غيرهم، فمن فعل ذلك (...) في الحين. اهـ.

وقال القطب الشعراني رضي الله عنه: ومنها وهو من أهم الأمور، أن لا يزور أحدا من

الأشياخ الأحياء والأموات إلا بإذن شيخه ولو كان ذلك الشيخ صديقا لشيخه، يعني ولو كان أخًا له. وكذلك لا يزور أحدا من جماعة غير شيخه أبدًا، ولا يزيده على قوله: السلام عليكم، وذلك لأن المريد ضعيف لا يسع طريقا أخرى غير طريقه، ومن شأن كل مريد أن يمدح شيخه وطريقته فقط وينتقص غير طريق شيخه أو يسكت عنها، فربما يتكلم مع بعضهم في الطريق فيتجادلون فتربوا بينهم الضغائن، ومنعهم واجبٌ على الشيخ ما داموا لم يبلغوا مرتبة الرجال، فإذا علم من المريد أنه بلغ الغاية في الترقي وأشرف على الأم الذي يتفرع منها كل طريق، ورأى الطرق كلها تدور وتجتمع في بحر واحد، فهناك يباح له زيارة الناس. اهـ.

وفي الذهب الإبريز فيما قيَّده وتلقاه من شيخه القطب سيدي عبد العزيز رضي الله عنه على قول الشريشي في رائيته:

وَلَا تُقَدِّمَنْ قَبْلَ اعْتِقَادِكَ أَنَّهُ، إلخ البيتين ما نصه: أي ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول في محبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية، وأنه لا أحد أولى بها منه في زمانه.

قال: وإنما وجب عليه ذلك لأن الشيخ الذي يرى من مُريده الإلتفات إلى شيخ غيره يقطع عنه المادة، والمريد الذي يدخل في صحبة شيخه وهو يرى أن في الوجود شيخا مثل شيخه أو أكمل، يبقى متشوفا لذلك الأكمل في

اعتقاده، فيراه شيخه متشوفًا إلى غيره فيقطع عنه المادة، فلا يكون بالأول ولا بالثاني.

قال: وقد رأينا مثل هذا في زماننا كثيرا، والله يكون لنا وليا ونصيرا.

فتأمل فإن هذا القطب الكبير قد صرَّح بقطع المادة عن المريد بسبب التفاته وتشوفه إلى غير شيخه، وأعظم بقطع المادة مضرة ووبالا على المريد.

ومثل هذا ما في شرح الرائية للفاسي رحمه الله فإنه قال فيه على قوله: فَإنَّ رَقِيبَ الإلْتِفَاتِ إلخ، أي أن مراقبتك لغير شيخك والتفاتك إلى ذلك الغير يقطع عنك السراية المحبوبة، أي المدد الساري إليك من شيخك حيث كنت مجموعا بكليتك عليه قبل مراقبتك الالتفات إلى الغير.

قال الشيخ زورق رضي الله عنه: ولا تلتفت عنه ولو رأيت من هو أعلى منه فتحرم البركة من الأول والثاني.

قال: ولذا كان المشايخ يمنعون أصحابهم من صحبة غيرهم بل ومن زيارتهم، وهذا ما ينكره المترسمون الجاهلون بأحوال أهل الله. اهـ. المراد منه بواسطة.

وهذه القصيدة، أي الرائية التي منها هذا البيت، قال فيها صاحب إثمد العينين: هي حجة عند أهل الطريق، ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها، وتسمى بسرائر الأنوار وأنوار السرائر،

قالـه الشـيخ المسـناوي. اهــ. بنقـل صـاحب الجيش بواسطة.

فإذا عرفتَ أيها المعتقد أو المنتقد من كلام هـؤلاء السـادات الـذين هم لا محالـة من أفـراد أئمة هذا الشأن وأعلامه، ما يحصل من المضرة للمريد بسبب التفاته عن قدوته وإمامه، عرفتَ الوجه في منع المشايخ الكاملين لأصـحابهم من زيارة غيرهم من العـارفين الواصـلين، وعـرفتَ خطـأ المنكـر عليهم في ذلـك، ومـا وقـع فيـه والعيــاذ باللــه من نســبة أكــابر الرجــال إلى المنافسة والحسد مـع اعتقـاده أنـه على الحـق وهم على الضلال، وهل هذا إلا محض سوء ظن بمنصـبهم الرفيـع، ووقيعـة في جـانبهم المـنيع، وقد ذكر الشعراني رضي الله عنـه في طبقاتـه عن بعض رجالها أنـه كـان يقـول: من وقـع في أولياء الله تعالى ابتلاه تعالى بانعقاد لسـانه عن النطق بالشهادتين. اهـ. اللهم إنا نسألك العافية من كــل بليــة، بفضــلك وكرمــك يــا ذا الجلال والإكرام.

وممــا اســتأنس بــه المشــايخ المــانعون لأصحابهم من زيـارة غـيرهم في أخـذهم العهـد على المريد بذلك قوله صلى الله عليـه وسـلم: «**لَا يُـؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّى أَكُـونَ أَحَبَّ إِلَيْـهِ مِنْ أَهْلِـهِ وَوَلَـدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». اهــ. ومن المعلـوم عنـد كـل من لـه أدنى ذوق في علــوم الرجــال أن المحبــة الصــادقة لا تقبــل الشركة بحال.

وقال القطب الشعراني في كتابه البحر المورود: أخذ علينا العهود أن لا نأخذ على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير إلا إن كنا نعلم يقينا أنه لا يقدم علينا في المحبة أحدا من الخلق مطلقا حتى أهله وولده وراثة نبوية لا استقلالا. ثم اعلم (أنه) لولا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لمحبة الناصح مدخلا في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطء ما قال «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ**» الحديث. ومعلوم أن جميع الدعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة إنما هم نواب له صلى الله عليه وسلم، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾. اهـ. الغرض منه هنا بلفظه بواسطة.

وفي قوله: وراثة نبوية لا استقلالا، نفي لما ينسبه الجاهلون إلى المشايخ الذين يأخذون العهد على المريدين بهذا الشرط من المنافسة واتباع الهوى في ذلك.

ولا يخفى أن المحبة الكاملة التي هذا وصفها لا تخلص للمحب في محبوبه حتى يستغرق فيها استغراقا يستحيل معه خطور غير محبوبه في باله، فضلا عن الإلتفات والتشوف إليه. وهذا أمر ضروري في المحبة الكاملة، ولا شك أن المريد إذا استغرق في محبة شيخه

الاستغراق الموصوف لا يقدر أن يلتفت إلى غيره، وكيف يلتفت إلى من لا يخطر بباله ولا يتصوَّر في وهمه وخياله. فمن لازم الاتصاف بهذه المحبة التجرد عن كل علاقة، والتجرد عن العلائق كلها من آكد الشروط في طريق أهل الله تعالى.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في الرسالة: وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة فلا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار. اهـ.

وفي البحر المورود نقلا عن بعض أركان الطريق الجنيدية ما نصه: السابع: ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم، والمحبة والتحكيم، فيكون اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عينه الحق سبحانه للإفاضة عليه، وأنه لا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره، ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ. ومتى ما يكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم يفتح باطنه إلى الحضرة الواحدية، فالإنسان في جهة وله بدن وروح، والله تعالى منزه عن الجهة، فحكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحق الذي ليس في الجهة. وذلك أنه سبحانه وتعالى عين للبدن الإنساني المركب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون من تلك الجهة توجهه إلى الله، وتلك الجهة هي نورانية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم الأرواح، فكما لا يقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى

الكعبة كذلك لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتسليم وربط القلب بنبوته، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله دون غيره من الأنبياء، وأنهم وإن كانوا أنبياء الله تعالى وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله فيض إلا من ارتباط القلب بمحمد صلى الله عليه وسلم. فبتوجه البدن إلى الجهة الواحدة وتوجه الروح إلى الجهة الواحدة، حصل للإنسان استعداد للإفاضة عليه من الحضرة الواحدة. ومن هنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط. وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشايخ في كتبهم، أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه، ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد كلهم، ويدعو لهم، لكن استمداده الخاص واستفاضته تكون من روحانية شيخه وحده، ويعلم أن استمداده من شيخه استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم، فإن شيخه متعلق مستمد من شيخه، وشيخه من شيخه، وهكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مستمد بالحقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الحق جل وعلا ﴿**سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾.
فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستفاضة،

بل هو أصل الأصول، ولهذا قال المشايخ رضي الله عنهم برعاية هذا الشرط.

وفي عباراتهم وأقوالهم ما يدل على تأكيد رعاية هذا الشرط، قال الشعراني في طبقاته، ومثله في البحر المورود، عن الولي الكبير سيدي علي بن وفا رضي الله عنه أنه كان يقول: اعلمْ أن قلوب الرجال أمثال الجبال، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل ﴿**وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا**﴾، فكذلك الولي لا يزيل همته عن قلب من آوى إليه إلا شرك موضع خالص المحبة من قلبه لغير وليه وربه، فلا يُفلت للولي قلب مريده من يده سوى الشرك، لا تقصيره في الخدمة ولا غير ذلك.

وقال أيضا: المريد الصادق عرش لاستواء رحمانية أستاذه، كتب على نفسه أن لا يدخل بيتا فيه سواه، ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآة. اهـ.

وقال أيضا: مرتبة السيادة لا تقبل الشركة ولا تحملها، فهي تدفعها عن نفسها لغيرة من إصابته تركته كالرميم. اهـ.

وقال أيضا: الأستاذ مظهر سر الربوبية لمريده، فعلى المريد أن يقف عند أمر أستاذه، وأن لا يلتفت عن أستاذه يمينا ولا شمالا. وأطال في ذلك فانظره.

وقال ولي الله تعالى سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: رأس مال المريد المحبة والتسليم.

وأطال إلى أن قال: فإذا كان المريد كل يوم في زيادة محبة وتسليم سَلِمَ من القطع، فإن عوارض الطريق وعقبات الالتفات والإرادات هي التي تقطع عن الأمداد وتحجب عن الوصول. اهـ.

وقال الشعراني في العهود المحمدية أن بعض المريدين شاور شيخه في زيارة شخص من مشايخ عصره، وسماهما، فقال الشيخ: يا محمد لا ينبغي لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إذا علم أنه يكفيه عن جميع الناس، فإن كنت لا أكفيك تقيدت على من شئت. اهـ.

وفي ممتع الإسماع نقلًا عن العارف سيدي محمد الجزولي صاحب دلائل الخيرات أنه قال: قيل لي: قل لأصحابك لا تذنبوا بالأسرار، فقلت: وما ذنب الأسرار؟ فقيل لي: الالتفات، فقلت: الالتفات عمن؟ فقيل لي: الالتفات عنك. اهـ.

وقد ثبت عن سيدنا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره يقظة أن ينهى أصحابه عن زيارة غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا الصحابة رضي الله عنهم.

وفيما حكي عن الجزولي رضي الله عنه من قوله: لا تذنبوا بالأسرار، تصريح بأن

المريـدين يؤاخـذون بـأمور تحـدث في سـرهم، وأنها تُسمى ذنوبا في حقهم، فـإن الأسـرار في كلامه جمع سر، والمراد به هنا باطن الإنسان.

ومن تلــك الــذنوب في حـــق المريـــدين المتقيـدين بعهـود الشـيوخ الكـاملين، الالتفـات والتشـوف والتطلع بـالقلب والسـر؛ ومن ذلـك انقباض قلب المريد من ظهـور بشـرية الشـيخ، والعياذ بالله؛ ومنها غير ذلك مما لا تسعه هـــذه الرسالة لكونه يحتاج إلى التطويـل المخـل بمـا وضعت له.

وأعظم الذنوب القاطعة التفات المريد عن شيخه لما فيه من صورة المكر الخفي به، لأنــه لا يظن أن يبلغ به ذلـك فيسترسـل فيـه. ولهـذا اعتـنى المشـايخ بالتحـذير منـه والتنبيـه عليـه، وخصوصــا من تفرسـوا فيـه النجابـة وأنـه من المرادين بحمل سرهم فـإنهم لا يسـامحونه في ذلك أصلا.

ومن أعجب الأمور في هذا المحط ما ذكره الشيخ سيدي عبد الرحمن نجـل الشـيخ سـيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنهما في ابتهـاج القلوب، عن العارف سيدي محمد بن عبد اللـــه الشهير بابن معن الأندلسي، أنه ذكر عن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنه أنـه منـع بعض مريديـه من مجالسـة أخيـه العــارف سـيدي عبـد الـرحمن الفاسـي، حين ظهرت عليه أي على أخيه المـذكور آثـار الفتح، وأنه قـال أي سـيدي يوسـف لـذلك المريـد: يـا

فلان رد روحك لجهةٍ واحدة، خوفا عليه من الشتات، وجمعًا له عن الالتفات مع كون أخيه معه في دائرة واحدة، تجمعهما طريقة واحدة وسلسلة واحدة، بحيث لا يكون الالتفات عن أحدهما التفاتا عن الآخر، فما بالك بمن تباينت طريقتهما، وتناءت سلسلتهما، فالحذر الحذر.

وما في جواهر المعاني من أن المريد له أن يزور الأولياء الأموات شرط أن يقصد بذلك مواصلتهم لله، ويطلب عندهم رضا الله ورسوله ورضا شيخه عنه لا غير، صحيح لأن المنع محطه قصد الانتفاع بالمزور، وهو في هذه الصورة منتفٍ بلا شك، لأن القصد هو المواصلة لله. لكن هذا إنما يصحُّ ممن تحقق بمنزل الإخلاص، وبلغ في تصفية النفس وتزكيتها إلى أن صار بحيث لا يلتبس عليه شيء من دسائسها وخداعها. وأما من كان مرتهنا في أسر شهوته، محبوسا في سجن هواه وغفلته، فإنه لا يعرف المواصلة لله، وإن ادعت نفسه ذلك، فهو من مكرها وخداعها لا غير. وكان سيدنا رضي الله عنه يقول «العامة لا تعرف العمل لله». فالخير كله مجموع لنا معشر الضعفاء وأهل الحجاب في اتهام أنفسنا وعدم الاغترار بشيء مما تدعو إليه، وتشرئب إلى فعله والحرص عليه. ولهذا آل الأمر من سيدنا رضي الله عنه في آخر عمره إلى سد هذا الباب، وحسم هذه المادة من أصلها، وعلى ذلك استمر العمل بعده من جمهور أصحابه

المعتبرين، على أن الخطب في هذا سهل عند من أنصف، فإن فضل المواصلة لله لا لعلة زائدة يحصل بالاعتقاد والتعظيم القلبي، بل ربما كان ذلك أفضل لسلامته مما يتوقع في القصد إلى الأولياء بأعمال الحركة الظاهرة من التصنع والرياء والعجب ونحو ذلك. فالاقتصار على التعظيم القلبي في حق المريد أولى له من ارتكاب ما يُتوقع بارتكابه الإخلال بهذا الأصل الذي قال فيه الشيوخ إنه أصل الأصول، حسبما تقدم، وخصوصا في طريقنا هذه، فإن سيدنا رضي الله عنه جعل مدار التربية عليه، أي هذا الأصل فيها، وقد تقدم توجيه ذلك.

هذا ومن تمام النصيحة للإخوان في الله تعالى أن يعلموا أن الممنوع عندنا هو قصد الولي للانتفاع به والاستمداد منه لا غير، وليحذروا أن يفضي بهم الحال إلى الاستهانة والاستهزاء بالأولياء والصالحين أهل الفضل والخير، فإن وبال ذلك والعياذ بالله عظيم، ومرتعه وخيم، كيف وقد قال سيدنا رضي الله عنه في رسالة التحدث بالنعم المشهورة، بعد أن عدَّد فيها بعض ما أنعم الله به عليه من الخصوصيات وبعض فضائل أصحابه ما نصه:

«ومع هذا كله فلسنا نستهزئ بحرمة ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم، ولا نتهاون بتعظيمهم، فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظَّم حرمتهم عظم الله

حرمته، ومن أهانهم أذله الله وغضبَ عليـه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء». اهـ.

وكفى بقولـه: «فـإن من عظم حـرمتهم» إلخ، تأكيدا على تعظيمهم واحـترامهم، وتحـذيرا من الاسـتهزاء بهم، وعـدم مراعـاة حقـوق مقامهم.

وقولـه رضـي اللـه عنـه في حـق من أهـان العبـاد المكـرمين: «أذلـه اللـه وغضـب عليـه» يحتمل الإخبار، ويحتمل الإنشاء. وعلى كلٍّ فهـو صـريح في أن إهـانتهم والاسـتخفاف بأقـدارهم من أسباب الطرد في طريقه رضـي اللـه عنـه. وقد شـوهد مصـداقه في بعض من ابتُلي بـذلك عيـاذًا باللـه تعـالى، فقـد أخـبر بعض العلمـاء الفضلاء من أصحاب سيدنا رضي اللـه عنـه عن بعض الطلبة أنه ورد عليـه من بلـده إلى فـاس فأخذ عنه ولقنه بعض الأسرار، فرجـع إلى بلـده وهو على مسيرة السبعة أيام من فاس فاختلى للذكر الذي لقنه إياه، فاستحلى ما فتح به عليـه في خلوته، فزاد على المدة التي حد له الشـيخ رضي الله عنه من الأيام، فحل بـه أمـر كـاد أن يكـون سـبب حتفـه في خلوتـه، فلم يشـعر أن وجد الشيخ رضي الله عنه معه في الخلوة فمد يـده إليـه وأقامـه من صـرعته وقـال لـه: «مـا حملك على مجاوزة الحد؟» أو كلاما هذا معناه، ثم خرج وقـد ظهـر عليـه أثـر الفتح، فكـان من قـدر اللـه أن اشـتغل بإذايـة بعض الصـالحين الأحياء من أهل بلده، وكان والد هذا الصالح من

العارفين المستغرقين في محبة رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتفق أن قدم هذا الطالب على الشيخ رضي الله عنه زائرا، فلما دخل عليه بباب داره من فاس أشار إليه بيده رضي الله عنه بمجرد وقوع بصره عليه، أن اذهب، ثم قال له بلسانه: «رح عني، فإنك تؤذي ولد الحبيب» وطرده. فبقي يتردَّد إلى بابه، فلم يقبله بعدُ، عياذًا بالله.

فقوله رضي الله عنه: «ولد الحبيب»، يريد أن والد الصالح المذكور كان حبيبا للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدل له ما تقدم من أنه كان مستغرقا في محبة الرسول عليه السلام، مشهورا بذلك.

ثم إن تعظيم حرمة الأولياء يكون باعتقاد خصوصياتهم وعلو منازلهم عند الله تعالى، والتصديق بما منحهم الله وخصهم به من الفتوحات والأنوار، والبركات والأسرار، والجزم بأن فضائلهم لا تحد بمقياس ولا تتقدر بمقدار، لأنهم عبيده المصطفون الأخيار. وأرفع من هذا وأعلى أن ينضم إلى هذا الاعتقاد الاستحضار لأن جميع ذلك مفاض عليهم من حضرة سيد الوجود، وبذلك يصير التعظيم الموصوف خدمة لجانب سيد كل شريف ومشروف، صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم، ومجد وعظم.

واستثنى من المنع من الالتفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا الصحابة الكرام، لأن الالتفات إليهم لا يعد التفاتا عنه صلى الله

عليه وسلم. واستثنى أيضا من ذلك زيارة من كان من أهل الطريقة الشريفة، والسلسلة السامية المنيفة، لأن الأنوار المفاضة عليه هي المفاضة على الشيخ من الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليها بعينها، لأن أصحابه المستفيضين منه مظاهر أنواره بلا شك. فللمريد من أهل هذه الطريق أن يقصد قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقصد الانتفاع بهم، وكذلك قبور الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك من كان من أهل هذه السلسلة الفاخرة حيا كان أو ميتا، وأما الغير فلا. اهـ. بخ. وتقديم وتأخير وتصرف من بغية المستفيد، للخليفة المعظم، والإمام الأفخم، مولانا العربي بن سيدي السائح الشرقاوي العمري رضي الله عنه، على منية المريد للعلامة المتبحر، والحبر المذكر، أبي العباس مولانا أحمد بن بابا العلوي الشنجيطي رحمه الله ورضي عنه.

قال الشيخ محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه: وكم فسد من الزيارة ناس، وذلك أن كل شيخ إنما يأتي مريده من الباب الذي يُخالف هواه، فربما زار بعض المريدين غير شيخه فوجده قد أمر تلميذه بما كان نهاه عنه شيخه هو، فتميل نفسه إلى ذلك الشيخ فيسقط الشيخ الأول الذي هو شيخه من قلبه، وإذا سقط من قلبه وصحبه بعد ذلك ولو نفَسًا

واحدًا فقد نافق ونقض عهْده مع الله عز وجل، أنه لا يميل لأحد غير شيخه.
قال: وقد عاينَّا هذا كثيرًا ولكن إذا كان الشيخ الثاني محقِّقًا دلَّ ذلك المريد الذي زاره من باب مخالفة هواه على الذي أمره به الأول، فيبدو للمريد ما لم يكن يحتسب، وهناك تميل نفسه ضرورة إلى شيخه الأول فيسقط هذا الثاني من قلبه، والأول صادق لا يقبله لنفاقه وعدم صدقه، فبقي مسلوبا لا يجيء منه شيء.
فانظر آفة اجتماع المريد بغير شيخه، وإذا طرده شيخه الأول وأخرجه من صحبته، فلا بد أن يصير يحط على شيخه وجماعته عند أبناء الدنيا، ويقول: لو رأيت عندهم خيرا ما فارقتهم، وما كان من يعمل بقول فيزكي نفسه وينقص شيخه وإخوانه، وذلك من علامات استحكام المقت فيه، ثم إنه لا يفلح بعد ذلك على يد شيخ أبدا، لا سيما إن اجتمع بعد طرده بمن يكره الشيخ ويحط عليه، فإنه يصير من أشقياء الدارين، نسأل الله العافية. اهـ. بخ. منها أيضا. وفيه الشفاء للمعتقد الصادق، ونكاية للمنتقد المنافق.

## فصل

في الردِّ على من منع الرقص بالصفة الـتي هي مراد الأقدمين بالتعبير، وإقامة الحجة عليـه وعلى حزب النكير، المصممين على التنفير.

فـأقول: قـد اختلـف النـاس فيـه قـديما، بالجواز والكراهة والمنع، ولا شك أن العمل بـه على تلك الصفة وهي الموجودة الآن في جميـع أمصـار المسـلمين في جـل حضـرات المشـايخ وزوايا الأولياء شرقا وغربا ولا عبرة بمن خـالف فيـه. وقـد ألـف كـل فريـق فيـه تـآليف تصحِّح مذهبه، وفُرغ من ذلك قبـل هـذا الـوقت بكثـير، على أن المسائل الخلافية الاجتهادية ليس لأحد أن يسـتدل على مجتهـد بقـول مخالفـه. وأمـا اليوم فقـد وقـع الاتفـاق على الجـواز بعـد ذلـك الخلاف، وجـــرى بـــه عمـــل المســـلمين في أمصارهم المعتبرة التي تؤخذ الأحكام الشرعية من اتفاقهم، فكان الأمر فيه كمـا قـال العلامـة سيدي محنض باب، أبقى الله بركته:

جَرَى على ذلـك مُـذ أعْصَـار=شـرقًا وغربًـا عمل الأمصَار

فوقعَ الإجماع بَعْد الخلف=فيه فجـاز اليـوم دُون خلف

ومثل ذلك يجـري في الاجتمـاع على الـذكر والجهــر بــه ردا وجوابــا، وليكن الحكم واحــدًا والعلة واحدة، فإن كان مرادهم بقولهم إن ذلك لعب، أي أن هذا الرقص والاجتمـاع على الـذكر والجهر بـه من اللعب، فقـد أوقعهم بغيهم على

أولياء الله تعالى التجانيين في تضليل أعلام الأمة وهداتهم الذين هو وغيره في ظلالهم، وقد باؤوا بمقت الله، نعوذ بالله مما ابتلوا به.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في رسالته: سألت الأستاذ أبا علي الدقاق على السماع غير ما مرة، كأني أطلب رخصة في السماع، فلما رأى طول معاودة سؤالي له قال لي: قال المشايخ: كل ما جمع قلبك على الله فلا بأس به.

وقيل لأبي سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري وذو النون وغيرهم يفعلونه؟ فقال: كيف أنكره وقد أجازه من هو خير مني. اهـ.

وفي قوت القلوب: إنْ أنكَرْنا السماع أنْكَرْنا على سبعين صدّيقا من خيار هذه الأمة.

قال: وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء، إلا أننا لا نفعل لأننا نعلم ما لا يعلمون، وسمعنا من أحوال السلف ما لا يسمعون. اهـ.

قال في عوارف المعارف: قول الشيخ أبي طالب هذا معتبر، لوفور علمه، ومعرفته بأحوال السلف، ومكان تقواه وورعه وتحرّيه للصواب. اهـ.

وقال ابن البناء ناظم المباحث:

وحيث كَلَّتْ نُجُبُ الأبدان=قيل احْدُهَا يا حادِيَ الأظعانِ

وهو صِرَاط عندهم ممـدودُ=يَعبُـره الواجـد والفقيد

وقول أبي عليّ الدقاق المتقدم، وهو: قـال المشايخ: كل ما جمع قلبـك على اللـه إلخ، هـو مثـل مـا نقـل عيـاض، عن ابن مهـدي قـال: سـمعت مالكـا يقـول: لـو كنت أعلم أن قلـبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست. اهـ.

وقال الجنيد: كل ما يجمع العبد على مـولاه فهو (مباح).

***

هنا نقص ص 102 وص 103

***

(قـال الإمـام ضـياء الـدين أبـو النجيب عبـد القاهر السهروردي رضي الله عنـه: ثم أن أهـل السـماع) في حـال سـماعهم يتفـاوتون: فمنهم من يغلب عليــه في حــال الســماع الخـــوف والحزن والشوق، فيؤدي بـه إلى البكـاء والأنين والشهقة وتخريق الثياب والغيبـة والاضـطراب؛ ومنهم من يغلب عليـــه الرجـــاء والمحبـــة والاستبشـــار، فيؤديــه إلى الطـــرب والــرقص والتصفيق.

ثم قـال: وقولـه: يـا جاهـل المعـنى، أي المقصود عند القوم بالوجد، وما ينشـأ عنـه من رقص الأشباح، بسـبب اهـتزاز الأرواح، واهـتزاز الأرواح بسـبب تــذكارها مــا كــانت عليــه من المسامرة مع المحبوب يوم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُم**﴾، ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه لما سـئل عن

شخص إذا سمع صوتا موزونًا يظهر فيه قلق، وتَصْدُرْ منه حركات غير مُعتادة، فقال: لما خاطب الحق تبارك وتعالى يوم أخذ الميثاق ذرَّات ذريات آدم، بقيتْ حلاوة ذلك الخطاب في مسامع أرواحهم، لا جرم أنهم إذا سمعوا صوتًا طيبًا تذكروا حلاوة ذلك الخطاب فتظهر منهم الحركات الغير المعتادة شوقا وطربا. اهـ.

ومعلوم ما وقع للقاضي الذي منع قوما يذكرون الله جهرا كما هو الشأن فكانوا يذكرون سرا، فتضرروا بذلك ضررا كثيرا، حتى مات بعضهم، فتهدمت دار القاضي عليه مع جميع أهله وأولاده، وجميع ما يملك من الحيوان وغيره، كما ذكره الشيخ الشعراني رضي الله عنه في العهود.

ولا شك أنهم في حالة هذا الذكر الموصوف لا يتأتى أن يخطرَ في بالهم لا مال ولا ولد ولا جاه، ولا نفع ولا ضر، ولا غير من الأغيار، لأن جوارحهم وأعضاءهم كلها ذاكرة، وظاهرهم وباطنهم مستغرق في مذكورهم، مُتَجَمِّع بِكُلِّيَتِّه عليه، فأيُّ جمعٍ أقْوى من هذا الجمع، وأية حالة غير هذه تفيد مثل هذه الإفادة العظيمة، بل قَلَّما تتفقُ هذه الجمعية لأكابر المجتهدين بغير هذه الكيفية، ولهذا اختار الأئمة رضوان الله عليهم هذه الكيفية الشريفة بهذا الاسم الشريف في هذا الوقت الشريف، الذي كاد المعتبرون أن يتفقوا على أن هذه الساعة هي ساعة الجمعة.

إذا محاسني التي أَصُـولُ بهـا=كـانت ذنوبًـا فقُل لي كيفَ أعتذر

فلينظـر الموفـق الـذي شـرحَ اللـه صـدره للحق، وعرفَ مقاصد الأولياء وآدابهم، إلى هذه الحالة الشريفة التي سمَّاها من لا علم له ضلالًا ولعبًا، وشبَّه أهلها بـالحمير في تواجـدهم، وآذى للـــه مـــا لا يحصـــى من الأوليـــاء بغيًـــا عليهم، واستخفافًا بحرمة الإيمـان، ورِضًـى عن النفس الأمَّارة، وتعاليًـــا لهـــا، واحتقـــارًا لغـــيره من المؤمنين، مع ما تحصَّنوا به من حُرمة الإيمـان، لـــو لم يكن لهم من الخصـــال غـــير الإيمـــان، ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْـــمُؤْمِنِينَ وَالْـــمُؤْمِنَاتِ بِغَيْـرِ مَـا اكْتَسَـبُوا فَقَـدِ احْتَمَلُـوا بُهْتَانًـا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾.

قـال الشـيخ الأكـبر محـيي الـدين في بـاب الوصايا من الفتوحات: إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لهم الولاية العامة، فهم أولياء اللـه تعالى ولو أخطأوا وجاءوا بقـراب الأرض خطايـا لايشـركون باللـه شـيئا فـإن اللـه تعـالى يتلقّى جميعها بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته حـــرمت محاربته، وإنما جاز لنا هجـر أحـد من الـذاكرين الله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريـه. وأطال في ذلك. اهـ.

قـــال الشـــيخ الـــبرزلي: رأيت كثـــيرا من أشـــياخي ليس ذلـــك طـــريقهم، لاينكـــرون على هؤلاء القوم. ولا يجوز أن يُستدل على مثل هـذا

بقولـــــه تعـــــالى: ﴿**وَهُمْ يَحْسَـــــبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾.

وفي التمهيـد: من سـرَّته حسـناته وسـاءته سيئاته إنـه مُـؤمن. فمَنْ كـان هكـذا أين تكـون الشهادة عليه بغير الإيمان.

قـال: وقـد ضـلَّتْ جماعـة، وخـالفوا أهـل السنة والجماعة، واستدلوا بظاهر قوله تعـالى: ﴿**وَهُمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِـنُونَ صُـنْعًا**﴾ الآية.

وقال الشيخ المواق رحمـه اللـه: رويت عن شــيخي المنثــوري، عن جـــدي ابن بقى، عن شيخه المقري أنـه كـان يقـول: الشـطح كنايـة، والكرامة عنايـة، والاعـتراض جنايـة، إيـاك ولِمَ. اهـ.

وقال في التمهيد: نظر ابن عمر رضي اللـه عنـه إلى الكعبـة فقـال: واللـه إن لـك لحرمـة ولكن المـؤمن أعظم حرمـة منـك، حـرَّم اللـه عرضـه ومالـه ودمـه، وأن لا يظن بـه إلا خـيرًا. اهـ. بخ. مع زيـادة مـا بنقـل الخليفـة المحـترم، العلامة المكرم، سيدي محمد اكنسـوس، نسـبة لبعض قرى سوس، رحمـه اللـه تعـالى ورضـي عنه.

وأما القيام أثناء هذه الحضـرة فلا بـأس بـه ولا إنكار على فاعله سواء كان كـان باختيـار أم لا. وقد سئل عنه جلال الدين السـيوطي رحمـه الله تعالى فأجاب بقوله: لا إنكار عليه في ذلك، يعني الذاكر قائما سواء كان باختيار أم لا.

ثم قال في جوابه: وقد سئل هذا السؤال شيخ الإسلام البلقيني فأجاب بمثل ذلك، وزاد أن صاحب الحال مغلوب، والمنكر محروم، ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب.

قال: إلى أن قال في آخر جوابه: وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم .

ثم قال: وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية، كلهم أجابوا بالموافقة من غير مخالفة.

ثم قال: أقول: وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكرا وقد قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا**﴾ الآية، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه.

قال: وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه، فلا إنكار عليهم في ذلك لأنه من لذة الشهود والمواجيد، وقد ورد حديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**» وذلك من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر صلى الله عليه وسلم، فكان هذا أصلا في رَقْصِ الصوفية لما يدركونه من لذة المواجيد.

قال: وقد صحَّ القيام والرَّقص في مجالس الذكر والاستماع عن جماعة من كبار الأئمة، منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام. اهـ. بلفظه.

والمراد بالرقص التمايل يمينًا وشمالًا، وهـو الذي عليه السادات الخلوتية.

وفي رسالة ألفهـا في آداب الـذكر الأسـتاذ الحفني، أحد أركان الطريقـة (الخلوتيـة) رضـي الله عنه، وقد جرى له ذكر القيام في الذكر، ما نصه: وينبغي للذاكر أن يكون في غاية الخشوع والأدب، مُلاحظا للمذكور كأنه واقـف بين يديْـه، ولا يضره التمايل يمينا وشمالا.

إلى أن قـال: ولا عـبرة بمـا أنكـر بـه بعض النـاس على القـوم في التمايُـل وقـالوا لم يـرد بذلك نص، وإنمـا ورد الحث على ذكـر اللـه من غير تمايل.

قال: والجواب أن الحافظ أبا نعيم روى عن الفضيل بن عياض أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعـالى تمايلوا يمينـا وشـمالا كمـا تتمايـل الشـجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع إلى وراء.

ثم قــال: فــاغتنم يــا أخي ذلــك، وإن كنت منكرا ولا بد فأنكر على أهل المحرمات بالنص. اهـ.

وذكر في هـذه الرسـالة من فوائـد التمايـل المذكور أنه يزيد في النشاط للذكر. اهـ.

نعم ممـا يجب هنـا أي في حضـرة الـذكر الوقـوف عنـده، وكـان الشـيخ رضـي اللـه عنـه يحب ذلك ويحذر منه، وهو من حـدود الـذكر أن لا يشغلَ عن فريضة حتى يخرجَ وقتها المختـار، فـإن ذلـك والعيـاذ باللـه تعـالى من عمـل أهـل

الغــرور مِنَ المتلاعــبين بالــدِّين المســتهزئين، ومآلهم بلا ريب إلى الخسران المبين.

ومن ذلـك اتحـاد الجنس، فلا يختلـط أهـل اللغـات والنغمـات العجميـة مـع أهـل اللغـات والنغمــات العربيــة مثلا، بــل يجب أن يكــون الــذاكرون جنســا واحــدا حــتى لا يقــع تخليــط وتشــويش يشــغل عن الحضــور والاســتغراق المطلوب في الذكر. فإذا ألجأ الحال واحـدًا من العجم مثلا إلى أن يذكر مـع العـرب أو العكس، فإنه يجب عليه أن يستعمل مـا يقـدر عليـه من المتابعــة لهم، والموافقــة بحركتــه وصــوته لحركاتهم وأصواتهم بما أمكن، وهـو أفضـل لـه من ترك الذكر جملة. وكـذا يفعـل من كـان من جنس بعض الفقـراء ممن ليســت طريقتـه في الذكر طريقة الجماعة الـتي أراد الـدخول معهم بأن يتابعهم على طريقتهم بما أمكن.

قال في البحر المـورود: أخـذ علينـا العهـود أن نكــون هيــنين ليــنين في أيْــدي إخواننــا المسـلمين، مـا لم يـدعونا إلى مـذموم شـرعا. وفي الحــديث الــوارد في تســوية الصــفوف «**وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ**». واعلم يا أخي أن من جملة اللين أنـك إذا دخلت على جماعـة يـذكرون اللـه تعـالى على طريقـة المغاربـة أو العجم أو غـيرهم أن تـذكر كأحـدهم في النغمـة والصــوت، ولا تخــالفهم فتشــوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر. اهـ.

وهـــذا في حـــق فقـــراء لم يكن شـــيخهم يمنعهم من صحبة من ليس على طريقتهم، وإلّا فيجب على مريده الوقوف عند إشارته وعـدم التعدي لما أمره به، علما بأنـه لم يـأمره بـذلك إلا لمصلحة لا لعلة أخـرى، لأنهم المـبرءون من دسائس النفس والهوى رضي الله عنهم.

وقد بلغنا عن بعض الأصحاب أنـه دخـل مـع جماعـــة من فقـــراء الـــوقت في حلقـــة ذكـــر، فبمجرد دخوله تثاءب فانفـكَّ حنكـه الأعلى عن الأسفل فأعيى الناس علاجه، فكان ذلـك سـبب موتـه، أعاذنـا اللـه من المخالفـة بمنـه ورضـاه آمين.

ومن ذلك عـدم التمطيـط في الـذكر بحيث يخرج فيه إلى حد الغنـاء المنـافي للخشـوع، أو إلى اللحن الـذي لا يسـوغ. وقـد كـان أصـحاب سـيدنا رضـي اللـه عنـه يـذكرون على الكيفيـة المـذكورة بـالقرب منـه، فسـمعهم مـرة فعلـوا شـيئا من ذلـك، فزجـرهم ونـادَى بـأعلى صـوته «أي شـيء في هـذا؟ لا إلـه إلا اللـه، لا إلـه إلا الله».

ومن ذلك أي ممـا كـان الشـيخ رضـي اللـه عنه يحبُّ الوقوف عنده من حدود الـذكر، عـدمُ رفع الأقدام من الأرض، وركض الأرض بها حـال القيـــام في الـــذكر، وهي طريقـــة الســـادات الخلوتـيين خلافـا لمن خـالفهم في ذلـك. وكـان سيدنا رضي الله عنـه لا يقبلـه أي رفـع الأقـدام وركض الأرض بهـا، ويشـدد الزجـر لمن صـدر

منه، وتابعه على ذلك جميع أصحابه، فهو عندهم من الأمر الشنيع في طريقتنا. -ومثله التصفيق يعني في الذم والشناعة في طريقتنا-. ومن ذلك تفعُّل شيء من الحركات التي تسقط العمامة أو الرداء أو نحو ذلك، فإن وقع شيء من ذلك عن غلبة وجْد فلا بأس به حينئذ. ومن ذلك التحرز من زَعْقَة ونحوها أثناء الذكر إلا عن غلبة وجد أيضا. وقد نقل عن السري السقطي رضي الله عنه أنه قال: شرط الواجد في زعقته أن يبلغَ إلى حدٍّ لو ضُرب وجهه بالسيف لا يشعر به. اهـ.

قال في عوارف المعارف: وقد لا يبلغ الوجد هذه المرتبة من الغيبة، ولكن تكون زعقته كالنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار. اهـ.

ومن ذلك التحرز من حضور الأحداث دينا وسنا. أما الحدث دينا فكالمتزهِّد الذي لا ذوق عنده، وشأنه أن يُنْكِرَ ما لا يُنْكَر، أو كصاحب دنيا مُستغرق قلبه وفكره في حبها، وشأن هذا أن يحوج غيره إلى المداراة الكثيرة الخارجة إلى حد التكلف، أو كمتكلف للوجد، وشأنه أن يشوش الوقت على الحاضرين. وهؤلاء الأصناف الثلاثة في صحبتهم عناء كبير على أهل الصدق في الإرادة ما لم تتطهر نفوسهم مما شانهم من الشؤون المذكورة اللازمة لهم ما داموا أحداثا في الطريق. وقد كره القوم حضور أمثالهم في الذكر بالسماع بأنهم غير

جنسهم. وقد تقدم أن الجنسية في هذا الباب مشترطة عند أهل الطريق، وهي صادقة عندهم بما تقدم وبهذا أيضا، فافهم ذلك.

وأما الحدث سنًّا فإنه مظنة للفتنة، ولا سيما إن كان ذا وضاءة وصوت حسن واتخذ حاديا للقوم، فإن الأمر فيه خطر جدا، وتجنب مثل هذا في كل مجلس ومجتمع واجبٌ ولا سيما في مجالس الذكر التي يتعرض فيها لما يرد على القلب من الفتح والسر.

قال ابن الصلاح: ليس المراد بخوف الفتنة غلبة الظن بوقوعها، بل يكفي أن يكون ذلك نادرا.

قال في البغية: وكيف يكون ذلك نادرا وقد قال الجيلي رضي الله عنه: إن النظر إليه أي الحدث الموصوف كله شر ما فيه ذرة من خير. اهـ.

قال بعضهم: وكثير من الناس لا يقدمون على الفاحشة ويقتصرون على مجرد النظر والمحبة، ويعتقدون أنهم سالمون من الإثم وليسوا بسالمين. اهـ.

وذكر عن رجل من الصالحين أنه نظر إلى صبي حسن الوجه وقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فجاءه سهم فقلع عينه، فبات تلك الليلة وهو مهموم بسبب ذلك، فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام وهو جل وعلا يُعاتبه بسبب نظره، فقال: يا رب إنما نظرت بعين الاعتبار والتفكر في خلقك، فقال له الحق

تبارك وتعالى: نظرت بعين الاعتبار فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم الحرمان. اهـ. انظر الرسالة وشروحها.

ومن ذلك أيضا حضور النساء بالقرب من حلق الذكر بحيث يسمعْن نغمة الحادي وينظرن إلى الرجال الذاكرين لما في ذلك من الفسدة المحققة عند كل لبيب نبيل، ولا سيما في هذا الزمان الرذيل، الذي تراكمت فيه الفتن وعظمت المحن، فلا يقر على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله. وفي الحديث: «**بَاعِدُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ الرِّجَالِ وَأَنْفَاسِ النِّسَاءِ**» أو كما قال عليه السلام، وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء، وقال سفيان: قال إبليس لعنه الله سهمي الذي إذا رميت به لم أخطئ النساء.

ثم اعلم أن ما يقع من الفقراء مد هاء «لا إله إلا الله» وينكر عليهم في ذلك، فقد سئل بعض العلماء عن ذلك، فأجاب بما مضمنه أن مدة هذه الهاء في التلاوة أي تلاوة القرآن كقوله تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾ ونحوه لا يسوغ، لأن القراءة سنة مُتَّبعة، وأما في غير التلاوة فالأمر واسع في ذلك، لأن له وجوها في العربية تقتضيه: منها أن «لا» تعمل عمل إن، و«إله» اسمها منصوب مُنوَّن، فيجوز إشباع هائه وصْلا إعطاء للوصل ما للوْقف:

ورُبَّما أعطى لفظ الوصل ما=للوقف نثرا وفشا منتظما

انظر شروح الخلاصة. وذكر في جوابه وجوها أخر لا نطول بها.

ثم قال: والذاكر مهما وافق لغة العرب في شيء ولو على وجه القلة والندور، عُدَّ ذاكرا ومأجورا ولا يُعترض عليه فيما أتى به لأن العرب كلهم فصحاء بلغاء، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم **«ليس من امبر امصيام في امسفر»** وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن اللحن. اهـ. بخ. مع تصرف وزيادة من البغية.

قلتُ: بل بعض المترسمين، المعجبين بعلمهم والمتفقهين، يكفر من أشبع الهاء من إله، مع أن إدخال مسلم بشبهة -يعني في الإسلام- أفضل من إخراجه بمائة شبهة، قال عليه الصلاة والسلام: **«ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»**. وَهَبْ أن غاية الإشباع أي إشباع الهاء يقتضي نفي اثنين، ولفظة إله نكرة تصدق بالاثنين والجماعة على اختلاف أهل الشرك، فمن قبيل الاثنين قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾، ومن قبيل الجماعة ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ الآية. نعم ينبغي للذاكر الإتيان بالكلمة المشرفة على وجهها معربة على نحو اللسان العربي، فإن خالف الأوْلى فلا

يكفر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفر من لم يحسن اللحن العربي، لكن إن أمكن التعليم علم وإلا فليعبد الله حسب الإمكان بعجمية أو فارسية، لأنه صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة على اختلاف ألسنتهم، فكان يعرفها ويتكلم مع كل أمَّة بلسانها، ومصداقه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾، على أن أسماء الله منها ما هو معلوم بالتواتر، ومنها ما يعلمه الخاصة، ومنها ما استأثر الله بعلمه، فقد يكون إشباع من أشبع الهاء وذكره بالهوية والضمائر كلها مما علمه الخاصة، وقد ورد عنهم في اخراجهم وأذكارهم وأورادهم ومواجيدهم وشطحاتهم رضي الله عنهم كثير من هذا، كما للشاذلي والدسوقي -أي سيدي إبراهيم- وغيرهما من الكمل.

وبالجملة فالواجبُ على من لم يشرب من شربهم التسليمُ، والمريد في ابتداء سيره يكون قوله لا إله إلا الله نفيا للألوهية عن كل ما سوى الله، وفي وسط سيره يكون قوله لا إله إلا الله استعظاما لما يشاهده من أوائل أنوار عظمته سبحانه وتعالى، وذلك عندما تلوح عليه أشعة طلوع الحقيقة لكونه حينئذ مستشرفا عليها منحرفا عن محاذاة قبلتها ببقاء شهود شيء من خيال ذاته، فإذا طهره الله من هذه البقية وانتهى إلى مستوى التفريد جاء الحق

وزهق الباطل وصار يقول لا إله إلا الله إعلاما بما يشاهده من انفراد الحق سبحانه بالوجود وبيانا للواقع في نفس الأمر، فلم يكن عنده حينئذ نفي ولا إثبات لعدم وجود ما يفنى، والذي يقوله حينئذ من لا إله إلا الله يكون تقريرا وإيضاحا لمعنى الإفراد لا غير على نمط قول الله سبحانه ذلك في الأزل وفيما لا يزال، إذ كلامه سبحانه منزه عن السكوت أي والحروف والأصوات والتقديم والتأخير، فالعارفون يقولون كلمة التوحيد على نمط توحيد الله نفسه بنفسه في الأزل وفيما لا يزال، وكذا الملائكة على ما قيل، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ جعلنا الله ممن أكرمه بذلك بجاه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. ولهذا قد يتسامح المشايخ رضي الله عنهم في الحروف لأنها غير مقصودة بالذات، ولا هم ممن يعبد الله على حرف. وتأمل قول الله **عَلَى حَرْفٍ** فإن كلام الله مُعجز لا تنحصر معانيه. وقد نص الشيخ الأكبر في الفتوحات عند تقسيم الأسماء الإلهية حيث قال: فأقسام أسماء الذات التي هي كالأعلام فلا أعرف بيد العالم في كتاب ولا سنة منها شيئا إلا الاسم الله في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء، ثم إنه مع الاشتقاق الذي هو مقصود فيه هل هو للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى، كما يُسمى شخص يزيد على طريق

العلمية وإن كان هو فعل من الزيادة، ولكن ما سميناه بكونه يزيد وينمو في جسمه وفي علمه، وإنما سميناه به لنعرفه ونصيح به إذا أردناه. فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد، فإذا قيلت على هذا فهي أعلام كلها، وإذا قيلت على طريق المدح إن كانت من أسماء المدح فهي أسماء صفات على الحقيقة، ومن شأن الصفة إنها لا يعقل لها وجود إلا في موصوف بها لأنها لا تقوم بنفسها سواء كان لها وجود عيني أو إضافي لا وجود له في عينه، فهي تدل على الموصوف بها لا بطريق المدح أو الذم أو بطريق الثناء، وبهذا وردت الأسماء الإلهية في القرآن ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى، وكلمة الله من طريق الوضع اللفظي.

فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق، وإن كانت فيه رائحة الاشتقاق كما يراه بعض علماء هذا الشأن من أصحاب العربية. وأما أسماء الضمائر فإنها تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة، مثل: هو، وذا، وأنا، وأنت، ونحن، والياء من إني، والكاف من إنك. فلفظة هو اسم ضمير الغائب، وليست الضمائر مخصوصة بالحق بل هي لكل مضمر، فلفظة هو تدل على ذات غائب مع تقديم كلام يدل عليه عند السامع، وإن لم يكن كذلك فلا فائدة فيه، ولذلك لا يجوز الإضمار قبل الذكر إلا في ضرورة الشعر لما يتقيد به

الشاعر من الأوزان. وتأمله تستفد أن المقصود من الـذكر استحضـار عظمـة المـذكور لا نفس الحروف، لأن الصـوفية رضـي اللـه عنهم كلمـا ذكروا الكلمة المشرفة على الوجه المسـتحب، أو فرضنا أنهم خالفوه وزادوا في الإعراب ما لا يسـتحب، فنتحقـق أن ضـمائرهم لا تخـرج عن مقصودهم، وهو استحضار عظمة الحق سبحانه لا إلـه إلا هـو، وكـذلك في تغـزلاتهم وأشـعارهم وعنـد سـماعهم كقـول الرفـاعي -أي سـيدي أحمد-:

ما قلت للقلب أين حبي=إلا وقـال الضـمير ها هو

فأتى بشيئين هاء التنبيه والمدية، وكـل هـذا أن تؤمل ظهر أنهم إن أتوا بالتذكير فكما ذكره، وإن أتـوا بالتـأنيث فمقصـودهم معـنى الحقيقـة الكنزية كما قيل:

أتطلب ليلى وهى فيـــك تجلتِ=وتحســـبها غيرًا وغيرَك ليستِ

وكما قيل:

أمــاطت عن محاسِــنها الخِمــارا=فعَـادَت العُقولَ بها حيارَى

وتشبيهاتهم في كلامهم بـالخمرة كمـا قيـل أيضا:

قبل خمر الدنان=والكرم والعصر

أشرقت في الجنان=شمس هذا الخمر

والحسناء كما قيل أيضا:

كم تيمتني بورد الخد والبلج=وكلمت كبدي بطرفها الغنج

وقد يطلقون الكامن على الظاهر كما قيل أيضا:

وكسَرنا الكؤوسَ بها افتتانا=وهمنا في المدير بلا مدارا

والقمر والرياض كقول البكري:

قمر من فوق غصن نقا=ينجلي سبحان من خلقا

هذه الأكوان طلعته=كل من قد هام فيه رقا

إلى غير ذلك من الإشارة للمخلوقات، والسر في ذلك والله تعالى أعلم أنهم لما رأوا الحق أقسم بمخلوقاته مع نهيه عن الحلف بغيره إشارة إلى كونه عز وجل تفرد بوحدانيته في الأزل وفيما لا يزال، وأن صور الأكوان كلها خيال في خيال. قال في الحكم: ما نصب لك الكائنات لتراها بل لترى فيها مولاها، وتأمل قول الله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾، فمن كحلت عين بصيرته بإثمد التوحيد الخاص وكان مشربه فكيف يكفر أحدا بلحن وتغيير حرف، لأن المقصود المعاني دون الأواني، ورحم الله القائل:

لسان فصيح معرب في كلامه=فيا ليته من وقفة العرض يسلم

ومـا ينفـع الأعـراب إن لم تكن تقى= ومـا ضر ذا تقوى لسان معجم

والمطلـــوب من الـــذكر تعظيم حرمـــة المذكور، ومدافعة الغيبة بالحضور.

## فصل في الكلام على المنكت
## على من يبسمل في الفريضة

وهم أصحابنا دون تفصيل، مع أنه لا بد منـه إذ به تظهر وتقوم الحجـة لـه أو عليـه والـدليل، وهبْ أنه لا يعانـد في ذلـك إلا مكـابر جاهـل، أو حسود متكبر متحامل، ففي تعليق سيدي محمد بن قاسم جسوس على رسالة ابن أبي زيد لمـا تكلم على البســملة، أي على الابتــداء بهــا في التـآليف مـا نصـه: وكـان الإمـام المـازري من شيوخ المالكية يبسمل في الفريضة سرًّا، فقيل له في ذلك فقال: قول واحد في مـذهب مالـك أن البسملة لا تبطـل الصـلاة، وقـول واحـد في مذهب الشافعي أن تركها مبطـل للصـلاة، ولأن

تكون صلاتي صحيحة باتفاق المذهبين أحب إليَّ من أن تكون باطلة على مذهب باتفاق صحيحة على مذهب آخر. فالورع فعلها بقصد الخروج من الخلاف لا بنية فرض ولا نفل، فإن الكراهة في مشهور المذهب إنما هي إذا قرأت بنية الفرض، فإذا قرأت بنية الخروج من الخلاف كانت صحيحة جائزة باتفاق المذهبين، إذ الشافعي لا يشترط نية الفريضة في صحة الصلاة. انظر الزرقاني. ومقابل مشهور المذهب وجوبها وإباحتها وندبها. اهـ. منه.

وحصل ابن عرفة فيها أي البسملة في الفرض أربعة أقوال فقال: وفي كراهة البسملة واستحبابها في الفرض ووجوبها رابعها لا بأس بها للمشهور وابن رشد عن ابن مسلمة والمازري عن ابن نافع مع عياض عن ابن مسلمة وأبي عمرو عن ابن نافع. اهـ. والورع قراءتها للخروج من الخلاف، قاله القرافي وغيره. المازري ويسرها ويكره الجهر بها، وكان يبسمل فقيل له في ذلك فقال: مذهب مالك على قول واحد أن من يبسمل لا تبطل صلاته، ومذهب الشافعي على قول واحد أن من تركها بطلت صلاته. ونحوه للأقفهسي والقرافي، ويقرؤها حينئذ بنية الخروج من الخلاف لا بنية فرض ولا نفل، إذ الأول مصادم لمذهب مالك والثاني مصادم لمذهب الشافعي، وتنتفي الكراهة بنية الخروج من الخلاف، خلافا لبناني فقد قال في عدة المريد يعني الشيخ زروقا:

الخـروج من الخلاف مسـتحب إجماعـا، ومبـنى هــذا الخلاف هــل هي آيــة من الفاتحــة أو لا، وأشار ابن العربي في الأحكام أي كتابـه أحكـام القرآن إلى أن من أثبت كونها آيـة من الفاتحـة أو نفى كونها منها هل يكفر أو لا، لكونه زاد في القرآن ما ليس منه، أو نقص ما هو منـه. ونظم ذلك الشيخ عبد المالك التاجموعتي فقال:

أهل مراكش أسـائلكم مـا=بين مفت منكم ومن هو قاض
هل على من يبسمل الحمد للـه=عتـاب إذا أتى بافتراض
قال مالك فيه عتب ولكن=لابن إدريس فيه أي اعتراض
إذ يقول محمد هــو وحْيٌ=وبمحـراب فاتلـه ورياض
وإمامـه قـال ليسـت من الـو=حي ورد مـا قاله بانتقاض
وكلا المـذهبين قـال اتفاقـا=حـيرة الفكـر أصل كل امتعاض
أتــرون على اختلاف الإمامَيْــــ=ـن جوابًــا كلاهما به راض
كـل من قـال في القـرآن بزيْـدٍ=أو ينقْصٍ فكفره عن تراض

وأجيب من أبيات:

خُـذ جوابـا يحـل كـل اعـتراض=دون مفت ودون من هو قاض

ويريك السهى غزالة صحو=فتنبه وأنت بالعلم راض
ذا جواب مقرر في أصول=بشفاء يشفي شفاء عياض
قال فيه ابن الحاجب الحبر نصًّا=كحسام قد فارق الغمد ماض
قوة الشبهات من كفر كل=قد حمته فالكل نور رياض

وقال الجلال السيوطي في حواشي الموطأ: قد كثرت الأحاديث الواردة في البسملة إثباتا ونفيا، وكلا الأمرين صحيح، فقد قرأ صلى الله عليه وسلم بها وترك قراءتها، وجهر بها وأخفاها. والذي يوضح صحة الأمرين ويزيل إشكال من شكك على الفريقين معا من أثبت كونها آية من أول الفاتحة ومن كل سورة، ومن نفى ذلك قائلا إن القرآن لا يثبت بالظن ولا ينفى بالظن، ما أشار إليه طائفة من المتأخرين أن إثباتها ونفيها كلاهما قطعي ولا يستغرب ذلك، فإن القرآن نزل على سبعة أحرف ونزل مرَّات مُتكررة، فنزل في بعضها بزيادة وفي بعضها بحذف، كقراءة **مَلِك** و**مَالِك**، وتجري تحتها ومن تحتها في براءة، و ﴿**فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ و﴿**فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ**﴾ في سورة الحديد، فلا يشك واحد ولا يرتاب في أن القرآن بإثبات «**الألف**»، و«**من**»، و«**هو**»، ونحو ذلك متواترة قطعية الإثبات، وأن القراءة بحذف ذلك أيضا متواترة

قطعية الحذف، وأن ميزان الإثبات والحذف في ذلك سواء.

وكذلك تقول في البسملة أنها نزلت في بعض الأحرف ولم تنزل في بعضها، فإثباتها وحذفها قطعي، وكلٌّ متواتر، وكل في السبع، فإن نصف القُراء السبعة قرأوا بإثباتها، ونصفهم قرأوا بحذفها، وقراءات السبعة كلها متواترة، فمن قرأ بها فهي ثابتة في حرفه متواترة إليه ثم منه إلينا، ومن قرأ بحذفها فحذفها في حرفه متواترٌ إليه ثم منه إليْنَا.

وألطف من ذلك أن نافعا له راويان قرأ عنه أحدهما بها والآخر بحذفها، فدلَّ على أن الأمرين تواترا عنده بأن قرأ بالحرفين معا كل بأسانيد متواترة.

فبهذا التقرير اجتمعت الأحاديث المختلفة على كثرة كل جانب منها، وانجلى الإشكال وزاح التشكيك، ولا يستغرب الإثبات ممن أثبت ولا النفي ممن نفى.

وقد أشار إلى ما ذكرته أستاذ القراء المتأخرين، الإمام شمس الدين ابن الجزري فقال في كتابه النشر، بعد أن حكى في المسألة خمسة أقوال ما نصه: قلتُ: وهذه الأقوال ترجع إلى النفي والإثبات، والذي نعتقده أن كليهما صحيح، وأن كل ذلك حق، فيكون الاختلاف فيهما كالاختلاف في القراءات. هذا لفظه.

وقرره أيضا بأبسط من كلام الجزري، الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه تلميذه برهان الدين البقاعي في معجمه. اهـ. كلام السيوطي. وسبقهم إلى ذلك أبو شامة بن (...).

وحاصله أن الخلاف بين أئمة الفروع يرتفع بهذا الجواب، ويرجع النظر إلى كل قارئ من القراء بانفراده، فمن تواترت في حرفه تجب على كل قارئ بذلك الحرف وتلك القراءة في الصلاة بها، وتبطل بتركها، أيا كان وإلا فلا، ولا يُنظر إلى كونه شافعيا أو مالكيا أو غيرهما. اهـ. ينقل محشي سيدي ميَّارة العلامة المحقق أحد أشياخنا سيدي الطالب ابن الشيخ المتبحر المشارك سيدي حمدون بن الحاج رحمهم الله.

وفي إيضاح المسالك للونشريسي ما نص الغرض منه: فائدة:

قال العلامة الضابط الرحال، أبو عبد الله محمد بن رُشَيد، بضم الراء وفتح الشين المعجمة في رحلته، وهو كتاب حسن غزير النفع جليل الفوائد: لقيت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أول يوم رأيته بالمدرسة الصالحية، دخلها لحاجة عرضتْ له، فسلمتُ عليه وهو قائم وقد حفَّ به جمع من طلاب العلم، وعُرضتْ عليه ورقة سئل فيها عن البسملة في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وكان السائل فيما ظننته مالكيًّا، فمال الشيخ إلى قراءتها للمالكي خروجا من الخلاف في إبطال الصلاة

بتركها، وصحَّتها مع قراءتها. فقلتُ: ذكر أبو حفص، وأردت أن أقول الميانشي فغلطت وقلت ابن شاهين، أنه قال: صليتُ خلف الإمام أبي عبد الله المازري فسمعْته يقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ولما خلوت به قلتُ: يا سيدي سمعتك تقرأ في صلاة الفريضة كذا، فقال: أوَ تفطَّنْتَ لذلك؟ فقلت له: يا سيدي أنت اليوم إمام في مذهب مالك ولا بد أن تخبرني، فقال لي: اسمع يا عمر، قول واحد في مذهب مالك أن من قرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في الفريضة لا تبطل صلاته، وقول واحد في مذهب الشافعي أن من لم يقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بطلت صلاته، فأنا أفعل ما لا تبطل به صلاَتي في مذهب إمامي وتبطل بتركه في مذهب غيره لكي أخرج من الخلاف. فتركني شيخنا رضي الله عنه حتى استوفيت الحكاية وهو مُصْغٍ لذلك، فلما قطعت كلامي قال: هذا حسن إلَّا أن التاريخ يا بني ما ذكرت، فإن ابن شاهين لم يلحق المازري، فقلتُ: إنما أردت الميانشي، فقال: الآن صح ما ذكرته. اهـ.

وقال علي بن خضر العمروسي في قريبة المسالك على مذهب الإمام مالك: ومن الورع البسملة أول الفاتحة في الفرض للخروج من الخلاف، فقد كان المازري يبسمل سرًّا فقيل له في ذلك. إلخ. ما تقدم عنه.

قال: ومحل الكراهة ما لم يقصد الخروج من الخلاف، وإلا استحب الإتيان بها.

وفي المجموع: وكرهها بفرض إلا لمراعاة خلاف. وقال آخر الباب: ومن الورع مراعاة الخلاف. قال: هذا أصل كبير في نظائره.

وفي شرح الدردير على المختصر: قال القرافي من المالكية، والغزالي من الشافعية، وغيرهما، الورع البسملة أول الفاتحة خروجا من الخلاف. اهـ.

وفي لباب التأويل: المسألة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والإسرار بها، فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية، ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السِّرية. وممن قال بالجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعطاء وطاووس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب وغيرهم. وممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وغيرهم، ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش وغيرهم -أي ومنهم الإمام مالك-.

وأما حجة من قال بالجهر: فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة،

فمنهم من صـرَّح بـذلك، ومنهم من فهم ذلـك من عبارته.
ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا روايتان: إحداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن معقل، والأخرى عن أنس وهي في الصحيح، وهي معللة بما أوجب سقوط الاستدلال بها. اهـ. بخ. بنقل الشيخ عمر الفوتي رحمه الله في سيوفه. ومن أراد الشفاء فعليه بكتابه الرماح.
وفي كشف الغمة للقطب الشعراني رضي الله عنه ما نصه: فصل في قراءة البسملة: قال أبو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي سبع آيات إحداهن ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، وهي فاتحة الكتاب وأم القرآن»، وفي رواية: «﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ سبع آيات أولها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾». وسئلت أم سلمة رضي الله عنها كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: كان صلى الله عليه وسلم يقرأ ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾

قطعها آية آية وعدها عدا له (...) سبع آيات، عد ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية ولم يعد عليهم آية.

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال كانت مدا، ثم قرأ: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** يمد **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾** ويمد **بِـ ﴿الرَّحِيمِ﴾**.

وكان جابر رضي الله عنه يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كَيْفَ تَفْتَتِح الصَّلَاةَ يَا جَابِر؟**»، فقلت: بـ **﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، فقال صلى الله عليه وسلم: «قل: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل عن قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾** يقول: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** الآية السابعة، وليس في القرآن سورة آياتها سبع آيات إلا الفاتحة، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ تَرَكَ قِرَاءَةَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَقَدْ تَرَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وكان الزهري رضي الله عنه يقول: اقرؤوا بها في كل ركعة، فإنها لم تنزل على أحد بعد سليمان عليه الصلاة والسلام إلَّا على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتاب المصحف الإمام، وفيه البسملة أول الفاتحة، وأول كل سورة، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة. وقد استدل من قال إنها ليست من الفاتحة بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الآتي قريبا، يقول الله عز وجل: **قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ** ثم بدأ بالحمد لله رب العالمين.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: صليتُ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فكلهم كان يجهر بـ ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، ويسرُّون في أنفسهم ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

إذا علمْتَ ذلك فالحق الذي نعتقده أنه صلى الله عليه وسلم كان يسر ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ تارة ويجهر بها أخرى. فطائفة من الصحابة لم تسمعها منه صلى الله عليه وسلم لقوة الخشوع والحضور ونحوه، فتركت قراءتها خوفا من زيادة شيء لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان المخصوص؛ وطائفة سمعتها منه صلى الله عليه وسلم في السِّرية والجهرية لقربها منه في موقف الصف، فقالت بها في كل قراءة. والعمل بهذا أولى، ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم ترك قراءتها مطلقا سرًّا وجهرًا أبدا. اهـ. بخ. منه.

وفي نزهة المجالس مسلسلًا: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والله العظيم لقد حدثني محمد صلى الله عليه وسلم وقال: والله العظيم لقد حدثني جبريل وقال: والله العظيم لقد حدثني ميكائيل وقال: والله العظيم لقد حدثني إسرافيل وقال: قال الله العظيم: وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ متصلة بالفاتحة أشهدكم علي أني قد غفرت له، وقبلتُ منه الحسنات، وتجاوزت عن السيئات. اهـ.

وتقدم عن الإبريز من إملاء القطب سيدي عبد العزيز الدباغ أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة إلخ، فراجعه.

وأيضا فمثل هذا، أي قراءة البسملة في صلاة الفرض لا يُنكر على مثل هذا الولي، يعني شيخنا القطب المكتوم مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه، ومتعنا برضاه، لأن مدركه قوي لا ينقض الحكم بمثله لا سيما إن انضاف إليه الخروج من الخلاف، أي فحينئذ تكون قراءتها في الفرض يعني أول الفاتحة مستحبة. انظر عدة المريد للشيخ زروق رضي الله عنه.

وقال علي بن خضر العمروسي في قريبة المسالك على مذهب الإمام مالك: ومن الورع البسملة أول الفاتحة في الفرض للخروج من

الخلاف، فقد كان المازري يبسمل سرًّا فقيل له في ذلك، إلخ ما تقدم عنه.

ومحل الكراهة ما لم يقصد الخروج من الخلاف، وإلا استحب الإتيان بها. وفي المجموع: وكرها بفرض إلا لمراعاة خلاف. وقال آخر الباب: ومن الورع مراعاة الخلاف. قال: هذا أصل كبير. اهـ.

# فصل

## في ذكر بعض ما حلَّ
## بمن تسلط على أولياء الله تعالى بالهوى ووقع فيهم بما يفضي به إلى سقر وبئس المأوى

اعلمْ أن المرء الجاهل بنفسه وربه، المباشر لحتفه بظلفه، كيف يليق به أن يمد عنقه ويترفع على عباد الله، وهو لا يعلم ما يختم له به ومأواه. والذي أدين الله به وأعتقده، وينبغي للعاقل تجنبه، أن هؤلاء (...) المبطلين، الفارِّين من دائرة العافية

والملحدين، وأعني جُملة المنكرين الذين هم في طغيانهم يعمهون، وخصوصا شرذمة من المنتسبين بزرْهُون، إن أصروا على إذايتهم لأولياء الله وأصحابهم ولم يقلعوا، يخشى عليهم سوء الخاتمة، نسأل الله السلامة مما فيه وقعوا، إذ المعتبر السعادة الأبدية، لا السعادة الدنيوية، فنسبتهم الذاكرين الله تعالى المصلين على النبي صلى الله عليه وسلم للحمير، مع أن الحمير يُسبحون الله بما فطرهم عليه، وحكايتهم أحوالهم للكبير والصغير، كل يفرح بما لديه، معاذ الله أن ينسب من يذكر ربه بالغدو والآصال وآناء الليل وأطراف النهار إلى الحمير، على جهة التحقير، بل الذي يبغض الذكر والذاكرين ويسب أشياخهم ويمزق أعراضهم بكل ناد هو الحمار، لكن أضل منه وأضل لإذايته الله ورسوله وأولياءه الكمل، قال الله تعالى حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿**وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾. وحسن الظن في محله مُقدَّم على سوء الظن، والمؤمن يلتمس الأعذار للعاثر، خلاف اللئيم الفاجر، فإنه يتتبع العورات، ويقتحم السيئات، فقد تقدم أنه ورد كما في شرح أقرب المسالك: ليس أحد أبغض إلى الله ممن كره الذكر والذاكرين، إلى أن قال: فنعوذ بالله من بغض أهل الله تعالى

المشغولين بذكره، وبالضرورة من يذكر المنعم عليك الرءوف الرحيم فإنك تحبه، ولا يبغض ذاكره تعالى إلا اللئيم الشقي، وكيف يكره من في قلبه إيمان ذكر الكلمة الطيبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب وكلمة التقوى ودعوة الحق. اهـ.

قال أبو طالب مكي: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق.

وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: إعتقد ولا تنتقد، ولا تطمئن لأحد. اهـ.

وقال المقري رحمه الله: الاعتقاد ولاية، والانتقادُ جناية، فإن عرفْتَ فاتبع وإن جهلْتَ فسلم.

قلتُ: ومبنى طريق التصوف كلها على التسليم والتصديق، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق. فالأصل عندنا حسن الظن حتى يتحقق الصارف وتلتمس له معاذير، ومبنى الأمر عند أهل الظاهر على عكسه حتى يتحقق الصارف. والحذر من هذه الطائفة أهل الإسناد والانتساب إلى جانب الله الراجعين إلى ولايته، لأنه هو الذي يتولى الصالحين المنقطعين إليه الذين لا يعولون على غيره فلم يدعهم إلى سواه، إذ لم تبق فيهم بقية رقٍّ لغيره. قال المرسي رضي الله عنه: مثل الولي مع الله كمثل أولاد الليث مع أمهم أتراها تاركتهم لمن يريد أن يقتلهم. قال الله

تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ وقال: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ أي كافيه وواقيه وناصره. والصالحون هم الذين صَلحت أعمالهم وأحوالهم فلم تصلح قلوبهم لغيره، ولا جوارحهم لغير اتباع أمره في الغالب، فإن اقترفوا سيئة كبيرة أو صغيرة رجعوا القهقرا وعاينوا قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾.

وقال أبو محمد مولانا عبد القادر الجيلي من وقع في عرض ولي وأنكر عليه ابتلاه الله بموت القلب، ولم يمت قلبه حتى تفسد عقيدته. اهـ.

وقال بعض العارفين: من رأيتموه يؤذي الأولياء، وينكر مذاهب الأصفياء، فاعلموا أنه محارب لله مبعود مطرود عن حقيقة حزب الله. اهـ.

وقال أبو القاسم: من خذل بترك حرمة الشيوخ فقد ظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ. اهـ.

وقال في العهود نقلا عن شيخه المغربي: إذا أراد الله تعالى أن يسلب إيمان عبد عند الموت سلطه على ولي من أوليائه فيؤذيه. اهـ.

ومن كلام الخواص رضي الله عنه كما في لطائف المنن: فكما أنه يجب الإيمان بالأنبياء كلهم وتصديقهم ومحبتهم، كذلك الأولياء، فمن اعتقد الأولياء كلهم إلا واحدا بغير عذر شرعي

فقد كذب بالجميع وبارز الله بالمحاربة، ومن ردَّ دعوةَ ولي فقد رد دعوة نبي اهـ.

وفي حكاية ابن اللبان مع سيدي أحمد البدوي أكبر زاجر وأبلغ رادع لأهل الزيغ والفساد، عن الانتقاد على الأولياء والجحود والعناد. ونصها على نقل الشعراني: وقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد البدوي فسلب القرآن العظيم والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء حتى دُلَّ على سيدي ياقوت العرشي، فمضى إلى قبر سيدي أحمد البدوي وكلمه وأجابه، وقال له: أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة. فتاب ورد عليه رأس ماله. اهـ.

ومثلها قضية البلقيني مع الحشاش كما في العهود، ونصها: تكلم البلقيني في ولي من الأولياء يبيع الحشيش في مصر لما رأى ازدحام الناس عليه، فقال: أهل مصر لو خرج الدجال عليهم لاعتقدوه من شدة جهلهم، فسلب ما معه حتى الفاتحة، فتنكرت عليه أحواله، فشكى حاله لفقير فقال: هذا من الحشاش الذي أنكرت عليه، فما زال يتلطّف به ويسأله حتى قال له: اذهب إلى الديك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل قلبه يرد عليك علمك، فكيف تنكر على المسلمين بعلم حمله الديك في قلبه؟ فمن ذلك اليوم ما أنكر البلقيني على أحد من أرباب الأحوال. اهـ. بالمعنى بنقل صاحب الجيش.

قلتُ: ومن تمام القضية أنه لما أقبل عليه رسول البلقيني أنشد رضي الله عنه:

نحن الحرافيش لا نسكن عوالي الدور=ولا نرائي ولا نشهد شهادة زور

نقنع بلقمة وخرقة في مسجد مهجور=من كان الحال حاله ذنبه مغفور

فلو كنا عصاة نبيع الحشيش ما أقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام. إلخ. وهي طويلة فلينظرها مبتغيها فيها أي في العهود.

ومثلها أيضا قضية كمال الدين بن يونس مع قضيب البان، ونصها: أن كمال الدين بن يونس أنكر على قضيب البان، فقال له: يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلم الله؟ قال: لا، قال: فإني من العلم الذي لا تعلمه أنتَ، فلم يَدْر ما يجيبُهُ به. اهـ.

وأدهى من ذلك وأبلغ في زجر المنكر، وردع المعاند المتجاسر، ما وقع للجيلي وابن السقاء وابن أبي عصرون، وهو المحدث بالقصة، ونصها بخ بنقل اليدالي:

قال ابن أبي عصرون: زرنا الغوث بمكة فقال ابن السقاء لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جوابا. قال: وقلتُ أنا لأسألنَّه مسألة وأنظر ما يقولُ فيها، وقال عبد القادر وكان أصغرنا سنًّا: معاذ الله أن أسأله شيئا أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته.

قال: فدخلنا عليه، فنظر إلى ابن السقاء مغضبا وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني عن

مسألة لا أدري لها جوابا؟ هي كذا وجوابها كـذا، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيـك. ثم نظـر إليَّ - يعني ابن أبي عصـرون- وقـال: يـا ابن أبـا عبـد الله تسألني عن مسألة لتدري مـا أقـول فيهـا؟ هي كذا وكذا وجوابها كذا، لتخـرن الـدنيا عليـك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبـك. وقـال: يـا عبـد القادر لقد أرضيت الله ورسـوله بحسـن أدبـك، كأني أراك ببغداد وقد صعدت المنبر تتكلم على الملأ وقلتَ: قـدمي هـذه على رقبـة كـل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنـوا رقـابهم إجلالا لك. اهـ.

ثم غاب. قال المحـدث بالقصـة: فكـان من أمـر عبـد القـادر مـا كـان، وأقبلت عليَّ الـدنيا إقبالا، وأما ابن السقاء فآل أمـره إلى أن علـق بنصرانية فخطبها فلم يجدها إلا في الدخول في دين النصرانية ومات عليه والعياذ بالله. فانظر.

نعم إنما يسوغ ذلـك ويتـأتَّى ممن تبحَّر في علـوم الشـريعة والحقيقـة، ووقـف على منـازع المجتهدين، وعرف اصطلاح القوم، واطلع على معجزات الأنبياء، وغير ذلك، وإلا تسربل سخطا ومقتا.

قـال شـيخ الإسـلام المخـزومي: لا يجـوز للعـالم أن ينكـر على صـوفي إلا إن سـلك طـريقهم ورآهم خـالفوا السـنة، ولا يسـوغ لـه الإنكـار عليهم حـتى يعـرف سـبعين أمـرا منهـا معرفـة اصـطلاحهم في التجلي الـذاتي والصوري، وما هو الذات وذات الـذات ومعرفـة

حضـــرات الأســـماء والصـــفات، والفـــرق بين الأحديـــة والواحديـــة، ومعرفـــة ســـر الظهـــور والبطـــون والأزل والأبـــد وعـــالم الغيب والكـــون والشـــهادة والشـــوق وعلم الماهيـــة والهويـــة والشكر والمحبة، ومن هو الصـــادق في الشـــكر حتى يسامح، والكاذب حتى يؤاخذ، وغـــير ذلـــك. اهـــ. بنقـــل الشـــعراني في اليـــواقيت والجـــواهر فانظره.

وفي السرية لصاحب الجيش:

وَأَيْضًـــا ذا الْمُنْكَـــرُ ذُو شُـــرُوطِ=وَبِالشُّـــرُوطِ صِحَّةُ الْمَشْرُوطِ

ذَكَرَهَا فِي الْكَـــوْكَبِ الْوَقَّادِ=عَنْ عُلَمَـــا أَجِلَّةٍ نُقَّادِ

وَهَكَذَا نَقَلَهَا الْيَدَالِي=عَنْهُمْ وَذَا النَّاعِقُ عَنْهَا خَالِي

مِنْهَـــــا التَّمَكُّنُ مِنَ النَّظَـــــرِ فِي=مَنَـــــازِعِ الْمُجْتَهِدِينَ فاعْرِفِ

وَعِلْمُـــهُ مُسْـــتَنَدَاتِ الْعُلَمَـــا=مِنْ سُـــنَّةٍ وَمِنْ كِتَابِ مَنْ سَمَا

وَأَخْذُ ذَاكَ عَنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى=مِنْ بَعْدِ مَا أَرَوْهُ وَجْهَ الاهْتِدَا

وَعِلْمُهُ بِمُعْجِـــزَاتِ الأَنْبِيَـــا=وَبِالكَرَامَـــاتِ الَّتِي لِلأَوْلِيَا

وَعِلْمُهُ بِمَنْ بِظَاهِرٍ يَقُولْ=وَمَنْ يَرَى التَّاوِيلَ مِنْ أَهْلِ النُّقُولْ

وَمَنْ دَلِيلُـــــهُ قَـــــوِيٌّ مِنْهُمُ=وَأَنْ يُحِيـــــطَ باصْطِلَاحَاتِهِمُ

اهـ. المراد منه.

# فصل
# في ذكر نبذة من فضل الذكر على الإجمال
# ونسأل الله جل جلاله أن يشرح صدر
# من وقف عليها في الحال والمآل

فمنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إِنَّ لِلَّــــهِ مَلَائِكَـــــةً يَطُوفُــــونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَـإِذَا وَجَـدُوا قَوْمًـا يَذْكُرُونَ اللـهَ تَنَـادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَـاجَتِكُمْ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ فَيَسْـأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُـوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مَـا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا يَقُولُـونَ يُسَـبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَـكَ وَيَحْمَـدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَـالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا لَكَ أَشَـدَّ عِبَـادَةً وَأَشَـدَّ لَـكَ تَمْجِيـدًا وَتَحْمِيـدًا وَأَكْثَـرَ لَـكَ تَسْبِيحًا، قَالَ فَيَقُولُ فَمَا سَأَلُونِي؟ قَـالَ فَيَقُولُونَ سَـأَلُوكَ الْــجَنَّةَ، قَـالَ فَيَقُـولُ**

**هَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا يَتَعَوَّذُونَ مِنْ النَّارِ، قَالَ فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ مِنْهَا مَخَافَةً، قَالَ فَيَقُولُ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» هـ.**

ومنها حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيُعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مِنْ أَهْلِ الْكَرَمِ، قِيلَ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ**» اهـ. رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وغيرهما. اهـ.

ومنها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ**

**الْـمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»** رواه البخاري.

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ولفظه: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ -بضم الجيم وسكون الميم- فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْـمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»** رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي: **قِيلَ وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ؟ قَالَ: «الْـمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللهِ يَضَعُ عَنْهُمْ الذِّكْرُ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ اللهَ خِفَافًا»** اهـ.

قال في الترغيب والترهيب: المفَرِّدون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، والمستَهتَرون بفتح التاءين المثناتين من فوق المولعون بذكر الله. اهـ.

ومنها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: **«مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَجُلٍ مُغَيَّبٍ فِي نُورِ الْعَرْشِ، قُلْت مَنْ هَذَا أَهَذَا مَلَكٌ؟ قِيلَ لَا، قُلْت نَبِيٌّ؟ قِيلَ لَا، قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ هَذَا رَجُلٌ كَانَ فِي الدُّنْيَا لِسَانُهُ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْـمَسَاجِدِ».** اهـ.

ومنها ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **ذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ مثل**

**شَجَرَةٍ خَضْـرَاءَ فِي وَسَـطِ شَـجَرٍ يَـابِسٍ، وَذَاكِـرُ اللـهِ فِي الْغَـافِلِينَ يُرِيـهِ اللـهُ مَقْعَدَهُ فِي الْـجَنَّةِ وَهُوَ حَيٌّ، وَذَاكِـرُ اللـهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْـمُقَاتِلِ خَلْفَ الفَـارِّينَ، وَذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ يَنْظُرُ اللـهُ إِلَيْـهِ نَظْرَةً لَا يُعذبـهُ بَعْـدَهَا أَبَـدًا، وَذَاكِـرُ اللـهِ فِي الْغَـافِلِينَ مثـل مِصْبَاح فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ، وَذَاكِـرُ اللـهِ فِي الْغَـافِلِينَ يَغْفِـرُ اللـهُ لَـهُ بِعَـدَدِ كُـلِّ فَصِـيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ، أي بعدد البهائم وبني آدم، وَذَاكِـرُ اللـهِ فِي السُّوقِ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».** هـ.

ومنهـا مـا رواه معـاذ بن أنس عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فيمـا يرويـه عن ربـه عـز وجـل قـال: «**يَقُـولُ اللـهُ لَا يَـذْكُرُنِي عَبْـدِي فِي نَفْسِـهِ إِلا ذَكَرْتُـهُ فِي مَلأٍ مِنْ مَلائِكَتِي، وَلا يَـذْكُرُنِي فِي مَلأٍ إِلَّا ذَكَرْتُـهُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» اهـ.

ومنها حديث عنبسة رضـي اللـه عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «**عَنْ يَمِينِ الـرَّحْمَنِ وَكِلْتَـا يَدَيْـهِ يَمِينٌ رِجَـالٌ لَيْسُـوا بِأَنْبِيَـاءَ وَلَا شُـهَدَاءَ يَغْشَى بَيَـاضُ وُجُـوهِهِمْ نَظَـرَ النَّاظِرِينَ، يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّـهَدَاءُ لِمَقْعَـدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ جُمَـاعٌ مِنْ نَـوَازِعِ الْقَبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْـرِ اللـهِ تَعَـالَى**

**فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْر أَطَايِبهُ»** رواه الطبراني.

ومنها ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ»** هـ.

ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ حِلَقُ الذِّكْرِ»**.

ومنها ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أَمَا إِنَّكُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَى أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أَمَا إِنَّهُ مَا جَلَسَ عِدَّتُكُمْ إِلَّا جَلَسَ مَعَهُمْ عِدَّتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِنْ سَبَّحُوا اللهَ سَبَّحُوهُ، وَإِنْ حَمِدُوا اللهَ حَمِدُوهُ، وَإِنْ كَبَّرُوا اللهَ كَبَّرُوهُ، ثُمَّ يَصْعَدُونَ إِلَى الرَّبِّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا عِبَادُكَ سَبَّحُوكَ فَسَبَّحْنَا، وَكَبَّرُوكَ فَكَبَّرْنَا،**

**وَحَمِدُوكَ فَحَمِدْنَا، فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ الْخَطَّاءُ؟ فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»**. رواه الطبراني في الصغير.

ومنها ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّور عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ». قَالَ: فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْهُمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ**، قَالَ: **«هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى يَذْكُرُونَهُ »**. رواه الطبراني. هـ.

إلى غير هذا مما لا تسعه هذه الرسالة، ولا تفي به العبارة.

## فصل

في نقض ما اختلقه بعض المتفقهة والمنتسبين لبعض الصالحين وأرباب الدنيا، الذين كرمت عليهم أنفسهم فكانوا من المهلكين، على شيخنا الوارث المحمدي، والغوث الطودي، مولانا أحمد التجاني رضي

الله عنه وأرضاه، وحقَّق تعلقنا به وجعلنا في حماه، من أنه ليس بشيخ تربية ولا خاتم، وأنه لا كرامة له وليس بعالم، وأن جواهر المعاني ليس من إملائه، وتكفير وتبديع أصحابه وحزبه وأتباعه.

**أما كتابه الجواهر:**

فاعلم أنه بعدما جُمِعَ أمر بتمزيقه، فمزِّق إلا نسخة منه بقيتْ ببعض البلاد، ثم لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمعه جمعه أبقاه الله إلى يوم المعاد، أخبر بذلك العلامة أحد الخاصة من أصحاب شيخنا مولانا أحمد التجاني، أبو الفيض مولانا الطيب الشريف السفياني، في كتابه «الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية» فقوله نقلا عن الشيخ: «أمرني صلى الله عليه وسلم بجمع كتاب جواهر المعاني وقال لي: كتابي هو وأنا ألفته بعدما كنتُ أمرت بتمزيقه ومزق».

إذا محاسني التي أصول بها=كانت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر

فأيُّ منقبة فوق هذه، وأيُّ كرامة تنادي على بهتانه:

وعيَّرها الواشون أني أحبها=وتلك شكاة ساقطٌ عنك عَارها

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم=بهن فلول من قراع الكتائب

**وأمـا كونـه خاتما** أي قطب الأقطـاب:

فاعلم أن أكابر الأوليـاء نصُّـوا على أن للأوليـاء ختما هو أفضلهم وممدهم جميعًا، وهـو الـوارث للنبي صلى الله عليه وسلم الوراثة التامة، لأنـه ورث سبقيته وخاتميته وأمداده، ومعنى سـبقيته أن النبي صلى الله عليه وسـلم كـان نبيئا وآدم منجدل في طينتـه، وكـذلك خـاتم الأوليـاء كـان وليًّا وآدم كـذلك أي منجـدل في طينتـه. ونصُّـوا كما تقدم في الفصول قبل هذا، على أن المراد بهما أي السَّـبَقِية والخاتميـة بالفعـل لا في علم اللـه أي فقـط، وإلَّا فلا مزيَّة لأن كـل نـبيٍّ نـبيٌّ وكـل وَلِيٍّ وَلِيٌّ في علم اللـه قبـل خلـق كـل شيء.

ومعـــنى خاتميتـــه أن مقامـــه هـــو ختم المقامـات لا أنـه لا ولي بعـده، وهـذا الختم هـو المتلقي لجميـــع مـــا يفيض من ذوات الأنبيـــاء عليهم السلام، وهو المفيض لتلـك الأمـداد على جميع الأولياء وإن لم يعلموا بـه، إلى غـير ذلـك من فضائله وخلاله.

ومعـنى الختمية في هـذا المقـام هـو أن لا يظهر فيه أحد بالكمال الذي ظهـر بـه فيـه هـذا الختم رضي الله عنه. وقد ثبت عنه رضـي اللـه عنـه من طريـق الثقـات الأثبـات من خاصـته وملازميه، أنه أخبر تصريحا على الوجـه الـذي لا يحتمل التأويل، أن سيد الوجود صلى الله عليـه وسلم أخبره يقظةً بأنه هـو الخـاتمي المحمـدي

المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين بأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله.

**وأما كونه ليس بشيخ:** أي عند من تقدم، فقد سبق من الشواهد على شيخوخته وتربيته، وكفى إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ما يغني المعتقد العاقل، ويرغم المتعسف الجاهل.

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِي فَإِنْ كُنْتِ غَضْبَى=فَامْلَئِي وَجْهَكِ الْجَمِيلَ خُمُوشَا

وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَ=هَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ=إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

**﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ، جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾**.

لكن نور الله جل فلا يرى=إلا بتشخيص من الله الصمد

لعمري لقد أبدى مباسمه الفجر=وزال عن الإشراق من ليله الحجر

من اختار السلامة فليسلم=وإلا فليمت غيظا وغما

وجحود من جحد الصباح إذا بدا=من بعدما انتشرت له الأضواء

ما دل أن الفجـر ليس بطـالع=بـل إن عينـا أنكرت عمياء

وأما كرامات شـيخنا رضـي اللـه عنـه فهي أكـثر من أن تسـطر، أو يسـعها كتـاب ودفـتر، كيف وهي بحر لا ساحل له ولا قعر، وقـد أبـدى فيها وأفاد، ومنح وأجـاد، مولانـا العلامـة سـيدي العربي بن سائح في البغيـة على المنيـة، جـزاه الله عنا وعن المسـلمين خـيرا، ومثوبـة وأجـرا، فلينظـر ذلـك مبتغيـه، ولنقتصـر هنـا على جلب صبابة منها، وشظية من عدها، مكتفيا بمـا ذكـر منهـا نظمـا العلامـة المولـوي سـيدنا محمـد بن سـيدي عبـد اللـه بن محم بن القاضـي الشـنجيطي العلـوي رضـي اللـه عن شـيخنا وعنهم، ولفظه في قصيدته الحائية:

إن لم تعـاين فضـله وكمالـه=وغـدوت منـه في محل نازح

طـالع لتعرفـه شـوارد علمـه=تظفـر بنـور كالحجارة لائح

فإذا تكلم في الحقـائق مـرة=بهـر العقـول كلام عبد صالح

وبقوله أيضا في ميميته:

طالع جواهره واصـحب رسـائله=ومـا فيهـا من الأنوار والحكم

وما يدل على المولى الكريم وما=أبانه من مقام الصادق القدم

تجـد ولايتـه لاحت معالمهـا=كمـا تـرى في الدجا نارا على علم

تجد كلاما جلا عن شأن صاحبه=إن الزمان بمثل الشيخ ذو عقم
قد يحجب الله أقواما ويظهرهم=لآخرين وشتى الناس في القسم
فالشمس أوضح شيء يستدل به=وليس يبصرها العميان من أمم

وبقول سيدي عبد الله بن أحمد دام في داليته:

من كان في مذهب التجاني مُمتريًا=فإنني لكمالِ الشيخ مُعتقدُ
من ينظرِ الكتب التي أفاد بها=ينظر كلام محقّ كله رَشَدُ
إما الذين تعاطَوْا ورده فلقدْ=أعيى على العد حصرًا منهمُ العدَدُ
وليس يعْدم في الإعراج غصْن بهَا=فَيْحُ الفلا عرجٌ في البعضِ أو حَرَدُ
إن يأتِ مُنتسب ينمي إليه بما=يُخالف الحق عقَّ الوالدَ الْوَلَدُ
فاردُدْ عليه بمضمون الثلاثة في=قَيْد عن الشيخ لا يجْمَح بك الْحَسَدُ
سُمٌّ وحيٌّ فلا تذهبْ لتلعقَه=إن العُقولَ عن أسباب الردى صفَدُ

وبقول العلامة سيدي أحمد بن باب الشنجيطي العلوي صاحب المنية، أي منية المريد له رحمه الله ورضي عنه:

ثم إلى فاس مدينة الفخر=ظَعَنَ في عام ثلاثة عشر

وزُينت ببهجـة التجـاني=في العـام سـادس ربيع الثاني
وبعد ذاك أمـر التجـاني=عليـا الغـالي كبـير الشان
بجمعه جواهر المعاني=أمره بذلك العدنان
صلى عليه منزل الفرقان=والآل والصـحب مدى الأزمان
عليكم يا معشر الأحباب=ما عشـتم الـدَّهر بذا الكتاب
ومن يُطالعهُ بإنصافٍ يرى=أن خلال الشيخ ليستْ في الورَى
وليس في ذلك عندي شك=وخالقي وليس فيه إفك
وفي المحرم غـدا غوثـا رشـيد=خليفـة عن المهيمن المجيد
أعطى ذاك شيخنا بعرفه=حكاه من حقَّقَـه وعَرَفَه
وبعد شهرٍ وليالِ ارتقى=إلى مقامه العزيـز المنتَقى
مقامِهِ المكتوم عن كلِّ الورى=سوى النبي ما وراءه وَرَا
إلى أن قـال: وكم لهـذا الشيـخ من كرامـة إلخ، انظر الفصل العاشر قبل.

ولقـد أجـاد الخليفـة الجـامع النـائب، من طلعت شـمس معارفـه بالمشـارق والمغـارب، وشـهدت بوراثتـه الخاصـة جهـارا، أبـو الفضـل سيدي العربي بن سيدي سـائح العمـري نجـارا،

في بغيته سقانا الله من مشربه، بطرف من كرامات سيدنا رضي الله عنه ومناقبه ومزاياه يشنفُ الأسماع ويختم على الأفواه، فمن تعلق له بها غرض من الأصحاب، فليطالعها يجدها كأنها بحر عباب، فجزاه الله عنا خيرًا، وأبقاه لهذه الأمة ذخرًا، آمين.

## فصل

في تحذير من سمع ما أعطى لتالي هذا الورد المولى تبارك وتعالى الكريم المنان، من الكرم والفضل والامتنان، ثم ركن بسبب ذلك إلى الأمن من مكر الله، وتطارح فيما لا يرضاه ربه ومولاه، وأكبَّ على المخالفة بطريق الإصرار، والانهماك والاغترار، وإنذار المريد من مخالفة شيخه غيبة وحضورا، واعتراضه عليه سرًّا وجهرا.

**أما الأول** فيكفي فيه ما ضمنه الشيخ العلامة ابن باب منيته أيضا، كان الله لنا فيما يأتي وفيما مضى، ونصه:

ومَن رأىَ ذا الفضلَ ثم اتكلا=عليْه فاعِلا لما قد حظلا

يَسبُّ غوْثَ العالم التجاني=شيْخ الشيوخ العَارفِ الرَّباني

فعِنــد ذاكَ لا يَمــوتُ إلَّا=إذا بحِليــةِ الشَّــقا تحَلَّى
انظـــرْه في جَـــواهر المعَـــاني=في فيْضِ قطبِ العالمِ التِّجَاني
ومِن لِمكرِ اللهِ رَبِّنا أمِنْ=فَذاكَ بالخُسْــرانِ والطرْدِ قمِنْ
وجَاءَ ذا الوَعِيدُ في القُرآن=أعاذَنَا اللــه مِن الخُسْرانِ
فالأنبيـا علَى عليِّ رُتَبِهمْ=لم يَـأمنُوا بــذاك مَكْرَ رَبِّهِمْ

**وأمــا الثــاني** أي البحث الثــاني، وهــو مخالفة المريد شيخه واعتراضـه عليـه مطلقـا، فاعلمْ أنه لا شيء أضـر للمريـدين من مخالفـة الأشـياخ وعـدم امتثـال أوامـرهم، والاعـتراض عليهم وعلى الأوليـاء رضـي اللـه عنهم، وتـرك تعظيمهم واحـترامهم، وعـدم قبـول إشـاراتهم فيما يشيرون به عليه.

قال ابن عبـاد في شـرحه على الحكم عنـد قول التاج: خفْ من وجود إحسـانه إليـك ودوام إسـاءتك معـه أن يكـون ذلـك اسـتدراجا لـك ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، مــا نصه: ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شيء من الاعــتراض على المشــايخ والأوليــاء، وأن يـــترك تعظيمهم واحـــترامهم، وأن لا يقبـــل إشـارتهم فيمـا يشـيرون بـه عليـه، فقـد قـالوا:

عقوق الأستاذين لا توبةَ له، وقالوا أيضـا: من لا أستاذ له لا يفْلَح. اهـ.

وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنـه: من صَحِبَ شيخًا من الشيوخ ثم اعـترضَ عليـه بقلبـه فقـد نقض عهـد الصـحبة، ووجبتْ عليـه التوبة، وإن بقيَ من أهـل السـلوك قاصـدا ولم يصـل إلى مقصـوده، فليعلم أن مـوجب حجْبـه اعــتراض قلبــه على بعض أشــياخه، في بعض أوقاته، فإن الشيوخ بمنزلة السفر للمريد. اهـ.

وفي الخــبر الشــيخ في أهلــه كــالنبي في أمته.

وفي رسالة القشيري: سـمعت الأسـتاذ أبـا علي الـدقاق يقـول: بـدء كـل فرقـة المخالفـة، يعني من خـالف شـيخه لم يبْـق على طريقتـه، وانقطعت العلقة بينهما، وإن جمعتهما البقعة.

وقـال بعـد كلام: سـمعت أحمـد بن يحـيى يقول: من رضيَ عنه شيخه لا يكـافى في حـال حياتـه لئلا يـزول من قلبـه تعظيم ذلـك الشـيخ، فإذا مات الشيخ أظهر الله تعـالى عليـه مـا هـو جــزاء رضــاه، ومن تغيَّر عليــه قلب شــيخه لا يُكـافى في حيـاة ذلـك الشـيخ لئلا يزيلـه، فهم مجبولون على الكرم، فإذا مات الشـيخ فحينئـذٍ يجد المكافاة بعده. اهـ.

وفي الرائية:

وَمَنْ لَمْ يُوَافِـقْ شَـيْخَهُ فِي اعْتِقَـادِهِ=يَظَـلُّ مِنَ الْإِنْكَارِ فِي لَـهَبِ الْـجَمْرِ

قال في الإبريز: المعنى أن الشيخ مُصيب في فعله، فيعتقد أن الصَّواب في ذلك الفعلِ، فالمريد إن اعتقد الصواب مثل اعتقاد شيخه ربحَ ونجحَ، وإن خالف شيخه في اعتقاده واعتقد أن شيخه على خطأ في ذلك، فإنه يظل من الإنكار في فراق الشيخ الذي هو كلهب الجمر.

قال محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه: ومن شروط المريد أن يعتقدَ في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه، ولا يزن أحواله بميزانه، فقد تصْدر من الشيخ صورة مَذْمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن والحقيقة، فيجب التسليم. وكم من رجل أخذ كأس خمر بيده ورفعَهُ إلى فيه وقَلَبَهُ اللهُ تعالى في فيه عسلًا، والنَّاظر يراه شرب خمْرا وهو ما شرب إلا عسلا، ومثل هذا كثير. وقد رأينا من يجسد روحانيته على صورة ويقيمها في فعل من الأفعال، ويراها الحاضرون على ذلك الفعْلِ، فيقولون رأينا فلانا يفعل كذا وكذا، وهو عن ذلك الفعل بمعزل، وهذه كانت أحوال أبي عبد الله الموصلي المعروف بقضيب البان، وقد عاينا هذا مرارا في أشخاص. اهـ.

وقال في الإبريز: وسمعته -يعني شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه- يقول: إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصٍ، إنما روحه حجبتْ ذاته فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست

بمعصية، لأنها إذا أكلت حراما مثلا فإنها بمجــرد جعلها في فيهـا فإنهـا ترميـه إلى حيث شـاءت. وســبب هــذه المعصــية الظاهريــة شــقاوة الحاضـرين، والعيـاذ باللـه. فـإذا رأيت الـولي الكبير ظهـرتْ عليـه كرامـة فاشـهد للحاضـرين بـأن اللـه تعـالى أراد بهم الخـير، أو معصـية فاشهد بشـقاوتهم. وكمـا أن أرواحهم هي الـتي تتــولى كرامــاتهم، كــذلك هي الــتي تتــولى معاصيهم الظاهرة، والله أعلم. اهـ. بخ.

قلتُ: وهـذا من الأمـور الـتي تكـون سـببًا لطرد المريد عن شيخه وقطعه.

وقد ذكر شيخنا رضي الله عنـه منهـا جملـة شافية، ونبذة في هذا الباب كافية:

منهـا: الاعــتراض على الشــيخ بــالقلب أو اللسان.

ومنهـا: كـزازة المريـد من ظهـور بشـرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة.

ومنها: سقوط حرمته من القلب.

ومنهـا: الأغـراض سـواء كـانت دنيويـة أو أخروية.

وذلك أن الشيخ لا يصحَبُ إلا لله عـز وجـل لا لشيء، والصحبة في أمرين:

**الأول:** أن يواليه لله تعالى بأن يقول: هـذا ولي الله وأنا أواليـه للـه، وسـرُّ ذلـك في قولـه صلى اللـه عليـه وسـلم مخـبرا عن اللـه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُـهُ بِـالحَرْبِ**»، وفي طيِّه: من والى لي وليا لأجل أنه وليي اصطفيته

واتخذته وليًّا، وهذا هو السرُّ الأكبرُ الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى.

**والأمر الثاني:** يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة، ويعلمُ ما يجبُ للحضرة من الأدب، وما يفسد المرء فيها من الأوطار والإرب، فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وعلى ما يقربه إليه.

والصحبة في هذين الأمرين لا غير، ومن صحب لغيرها خسر الدنيا والآخرة.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يُعْبد لا لغرضٍ بل لكونه إلهًا يستحق الألوهية من ذاته، لمًا هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية، وهذه هي العبادة العليا. وكذلك الشيخ يُصْحَبُ لا لغرض بل لتجذبَ مُوالاته إلى ولاية الله تعالى، ويتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى، وكل ما كان عن متابعة الهوى ولو محمودا فهو شين على العبد في حضرة الله تعالى، ولذا أمرت الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن مُتابعة الهوى في أقل قليل، لأن المريد في وقتِ متابعة الهوى كافر بالله صريحًا لا تلويحًا، لكونه نصب نفسهُ لنفسِهِ إِلَهًا وعصى أمر الله وخالفه، فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله في شيء، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحق كذبت بل أنت مشرك. ومن هذا القبيل خرج قوله صلى الله عليه

وسلم: «**مَا تَحْتَ قِبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبِعٍ**».

فإذا عرفَ المريدُ هذا فلا يغضب على الشيخ إذا لم يوافق هواه في غرضه، فإن الشيخ أعلم بالمصالح وأدرى بوجوه المضار، والتلميذ جاهل بذلك. فإذا طلب منه غرضا من أيِّ فَنٍّ كان ولم يُساعده الشيخ عليه، فليعلمْ أن الشيخ منعَهُ منه لأجل مصلحته ودفع مفسدته، فإذا عوَّدَ نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طُرِدَ من حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ، فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيُّره انقطع انقطاعا كليا لا رجوع له أصلا.

وأما الاعتراض بالقلب أو باللسان، فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ، فإن لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فليعلم أن هنالك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها التلميذ، والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق، فإذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق.

وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ، فإنها من جهله بالله تعالى وبمرتبة الخلقية. وذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلّى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به في غيرها من المراتب، وذلك التجلي تارة يكون كمالًا في نسب الحكمة الإلهية، وتارة

يكون صورته صورة نقص فيها، ثم إن ذلك التجلي وإن كانت صورته صورة النقص في نسب الحكمة فلا محيد لتلك المرتبة عن ظهور التجلي بصورة ذلك النقص، لأن ذلك ناشىء عن المشيئة الربانية، وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به، فلا بد لكل عارف من ظهور النقص في ذاته. ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة الكمال للدقائق التي بينه وبين ربه، وتارة يلابسه معتقدا أنه نقص وليس له في هذه الملابس إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة، بحيث أن لا محيد للعبد عنه. فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما شرعية وإما مما يخل بالمروءة، فليُلاحظ المعاني التي ذكرناها، و ليعلم أن ذلك لا يُخرج الشيخ عن حضرة ربه، ولا يزحزحه عن محل قربه، ولا يحطه عن كمال أدبه. فإذا عرفَ هذا فلا يرفض شيخه بظهور البشرية. وكل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب والوصول يريد أن لا يظهر فيها نقص كان لسان حاله يُنادي عليه: لا مطمع لك في دخول حضرة الله، لأن كل المراتب لا بد لها من نقص، وليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئا من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها، وهي الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوءة لمن دخل حضرتها، والقطبانية لمن دخل حضرتها، فإن هذه لا صورة للنقص فيها،

والباقي من المراتب يظهر فيها النقص في الغالب وقد لا يظهر، فإن هذه المراتب الثلاثة ولو ظهرت للمرء فيها صورة النقص فذلك النقص هو في غاية الكمال، وإنما ينتقصه المرء بجهله، وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم: **«مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَفْعَلُهُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَخْشَاهُمْ لَهُ»**.

وأما سقوط حرمته، فهي أكبر قاطع عن الشيخ. وسقوط الحرمة هو عدم ظهور المبالاة إذا أمره ونهاه. والسلام.

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده، هو أن لا يشارك غيره في محبته، ولا في تعظيمه، ولا في الاستمداد منه، ولا في الانقطاع إليه بقلبه. ويتأمل ذلك في شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن من ساوى رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم مع رتبة غيره من النبيئين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافرا إلا أن تدركه عناية إلهية بسبق محبة ربانية.

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره.

ومن أكبر القواطع عن الشيخ أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه، وذلك لأن الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحن إلى مركزه، وهي الحضرة الإلهية التي منها برز وفيها نشأ، فلكل شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها مع غيره، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية، اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله. وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهية، أن الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه، قال تعالى: ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ**﴾، فمن نسب نورا إلى غير محله من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذب على الله، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله، والسلام. اهـ.

وقد فسر لنا رضي الله عنه قوله السابق أن متبع الهوى كافر، بأن ذلك في طريق القوم لا في ظاهر الشرع، وذلك في صورة كرامة عظيمة رضي الله عنه وأمدنا بمدده آمين. اهـ. من إملاء سيدنا وشيخنا رضي الله عنه على بعض الخاصة ونقلته من خطه رحمه الله.

## فصل

في حمـل المريـدين المنتسـبين إلى طـرق أهـل اللـه على الصـبر على إذايـة المنكـرين المعترضين عليهم وعلى أشياخهم وغـيرهم من الأوليـاء، تأسِّـيًا بالأنبيـاء والرسـل والأصـفياء، لتكون لهم فيهم الأسوة وتهون عليهم المصيبة.

اعلمْ أن عادة اللـه في أصـفيائه أن يسـلط الخلـق عليهم كلمـا مـالت قلـوبهم لغـيره، لأن الـولي إذا آذاه النـاس وذمـوه ورمـوه بالبهتـان نفرت نفسه منهم ولم يركن إليهم، فيصـفو لـه الوقت مع ربـه عـز وجـل. فالرجـل مبتلى على قدر دينه، فلكل نبيء وصِـدِّيق عـدو، فقـد كـان لآدم إبليس، ولنوح حام وغيره، ولداوود جالوت، ولإبراهيم النمرود، ولموسى فرعـون، ولعيسـى بخت نصـر والـدجال واليهـود، ولسـيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم أبو جهل وغيره. اهـ.

قال الخواص رضي الله عنـه: لـو أن كمـال الـدعاة إلى اللـه موقـوفٌ على إطبـاق الخلـق عليهم على بالتَّصْديق لكان الأوْلى بذلك رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم والأنبياء قبلـه، وقـد صدَّقهم قوم وهداهم الله تعالى بفضله، وكـذب آخرون فأشقاهم بعدله.

وللأصفياء والأوليـاء بعـد الأنبيـاء أعـداء من عصـــر الصـــحابة إلى وقتنـــا هـــذا، يـــؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء، ودليل هذا كله ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً**﴾.

ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعالى لخواص هذه الأمة من البلاء والمحن ما كان متفرقا في الأمم السالفة، لعلو درجتهم:

-فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع في الصلاة وقالوا فيه مراء، وصبوا على رأسه ووجهه ماء حميما وهو ساجد، فمكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه.

-وكان لابن عباس نافع بن الأزرق يقول إنه يفسر القرآن بغير علم.

-وكان لسعد بن أبي وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون لا يحسن أن يصلي.

-ولا يخفى ما قاساه الأئمة الأربعة والبخاري وغيرهم من الإذاية.

-وقد نفي أبو يزيد البسطامي عن بلده سبع مرات بأمر الحسين بن عيسى، لما تكلم أبو يزيد بعلوم لا عهد لأهل بلده بها فى مقامات الأولياء والأنبياء، ولم يعد البسطامي إلا بعد موت الحسين المذكور، ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه.

-وكذلك ذو النون المصري أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيَّدًا مغلولًا، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة.

-وأخرجوا محمد البلخي من بلخ.

-وعقدوا على الشيخ ابن أبى جمرة (مجلسا) فى الردِّ عليه حين قال: أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم.

-ورمـوا السـبكي بـالكفر، وبـالقول بإباحـة الخمر واللواط، وغير ذلك.
-ورمـوا أبـا مـدين بالزندقـة، وأخرجـوه من بجاية إلى تلمسان.
-وأخــرج أهــل المغــرب الإمــام أبــا بكــر القابسـي من المغـرب مقيَّدًا إلى مصـر، وأخـذ وسـلخ حيًّا منكوسـا وهـو يقـرأ القـرآن بتـدبر وخشوع.
-وكذا سـلخوا النسـفي بحلب، وكـان ينظـر إلى الذى يسلخه ويتبسم، وعمل خمسمائة من موشـحات التوحيـد وهم يسـلخونه، وذلـك حين كان يقطعهم بالحجج، فاحتالوا لـه بـأن أخـاطوا على سـورة الإخلاص في نعـل فأهـدوها إليـه، وقالوا لنائب حلب: إن النسفي يطأ على سورة الإخلاص في نعله، فأخـذه فسَـلَّمَ الشـيخ الأمـر إلى الله ولم يجب عن نفسـه، فقتـل على تلـك الصـورة. اهــ. بخ. بنقـل الشـيخ عمـر الفـوتي رحمه الله في بعض تآليفه.
ومثله في الذهب الإبريز لليدالي رحمه الله تعالى عند قوله تعـالى ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـا لِكُـلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْـمُجْرِمِينَ**﴾. اهــ. ومعلـوم أنه ما كان كبير في عصـر إلا كـان لـه عـدو من السفلة، إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف.
**تنبيه:** كان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: لما علمَ اللـه تعـالى مـا سـيقال في هـذه الطائفـة على حسـب مـا سـبق بـه العلم القديم، بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، فقضى على

قوم أعرض عنهم بالشقاء فنسبوا إليه زوجة وولدا وفقرا، وجعلوه مغلول اليدين ، فإذا ضاق ذرع الولي والصِّدِّيق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسِحْرٍ وجُنون وغير ذلك، نادته هواتف الحق: الذي قيل فيك هو وصفك الأصلي لولا فَضْلي عليك، أما ترى إخوانك من بني آدم كيف وقعوا في جنابي ونسبوا إليَّ ما لا ينبغي لي؟ فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض، نادته هواتف الحق أيضا: أما لك بي أسوة؟ فقد قيل فيَّ ما لا ينبغي لجلالي، وقيل في حبيبي محمد وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون، وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا إلى الرياسة. اهـ.

وقال أيضا: وقد جرت سنة الله في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق في مبدأ أمرهم، وفي حال نهايتهم، كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى، ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله كل الإقبال.

قال الشعراني في أول طبقاتهم: قلتُ: وذلك لأن المريد السَّالك يتعذر عليه الخلوص إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه، فإذا آذاه الناس ونقصُوه، ورموه بالزُّور والبُهتان، نفرت نفسه منهم، ولم يصر عنده ركون إليهم البتة، وهناك يصفو له الوقت مع ربه، ويصح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء، فافهم.

ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلعة الحلم، والعفو، والستر، فتحملوا أذى الحق، ورضوا على الله تعالى في جميع ما يصدر عن عباده في حقهم، فرفع بذلك قدرهم بين عباده، وكمَّل بذلك أنوارهم، وحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحملهم ما يرد عليهم من إذاية الخلق، وظهر بذلك تفاوت أمرهم، فإن الرجل يبتلى على حسب دينه، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾،وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾. وذلك أن الكمل لا يخلو أحدهم عن هذين الشهودين: إما أن يشهد الحق تعالى بقلبه، فهو مع الحق لا التفات له إلى عباده؛ وإما أن يشهد الخلق فيجدهم عباد الله تعالى، فيكرمهم لسيدهم، وإن كان مصطلما فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلامه. فعلم أنه لا بد لمن اقتفى آثار الأنبياء والأولياء والعلماء أن يؤذوا كما أوذوا، ويقال فيه البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبروا كما صبروا، ويتخلقوا بالرحمة على الخلق رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ.

وفي هذا القدر كفاية لكل موفق.

قلتُ: وكفى أهل الله والمعتقدين فيهم شرفا أن يكونوا مقتفين آثار الأنبياء والرسل، ويكون من آذاهم بالإنكار والانتقاد مقتديا

بالشيطان والكفار. اهـ. بخ. بنقل الشيخ عمر الفوتي الطوري رضي الله عنه.

## فصل

لا خفاء أن من ينهى عن الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتكب بدعة محرمة مجمع على تحريمها، وهو مثل اللعين حيث أُمِرَ بالسجود فأبى. لأن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلت في حقِّنا منزلة السجود لآدم في حق إبليس، من قام بها كان شبيها بالملائكة، ومن نهى عنها وأهملها فهو شبيه باللعين، وقد أخطأ طريق الحق، فإنا لله وإنا إليه راجعون على كلمة الشهادة التي نطقوا بها، قال عليه السلام: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» أو ما معناه هذا.

نعم إن أولى ما يعتني به الصادق مع الله اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بأصحابه الكرام وشهود المنة، واجتناب البدعة المحرمة، والعيب والآثام، ويدخل طريق الذكر بعد معرفته لمن يذكره ومعرفة أوصافه الجلالية والجمالية، ويكون معرفته وعمدته في باب الذكر الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن رب الأرباب صلى بنفسه عليه وأمر

بها ملائكته الكرام أهل حضرته وقدسه، فقال جل من قائل مخبرا وآمرا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من غير تحديد ولا تقييد. قال أهل الحق: كل أعمال بني آدم فيها ما كان مردودا ومقبولا إلَّا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها لا تُرَد، ورَأَوْا لها سرًّا عظيما لا يفشى ولا يكيف ولا يحد، ولا يحجب عنها من سبقت له السعادة، كما لا يوفق إليها أو ينهى عنها من سبقت له الشقاوة، والعياذ بالله.

وقد وقعت مشاجرة بين فقهاء الأندلس في الاكتفاء بالكتب دون شيخ، وكتبوا بذلك للعارف أبي عبد الله سيدي محمد بن عباد الرندي رضي الله عنه، فأجاب: بأن ذلك باعتبار الأحوال، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب لمن له عقل وذكاء وإلا فلا، وشيخ التربية واجب متأكد لأنه إن فارق المنازل بلا شيخ لا تفارقه رعونه نفسه ولا غواية شيطانه، وإن بلغ ما بلغ. اهـ.

وذكر الغزالي رضي الله عنه في بداية الهداية أن المريد إذا لم يكن له شيخ لا يجيء منه شيء، كالشجرة إذا نبتت بنفسها تنبت ولا يتم نتاجها.

قلتُ: وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن التقوى معلومة، والسنة مشهورة، وخبايا النفس غير معروفة، ولا بد لها من عالم بالله وبطريقه يرجع إليه في معالمها. وأصل ذلك رجوعه صلى الله عليه وسلم في عرض ما

أتحف به في مبادئ الوحي إلى ورقـة بن نوفـل رضي الله عنه حيث كان عالما بذلك. اهـ.

نسأل الله العفو والعافية مما ارتكبه هـؤلاء الجهلة، من هذه البدعة الشنيعة.

صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمـا في المـدخل عن الغـزالي: «**مَنْ مَشَـى إِلَى صَـاحِبِ بِدْعَـةٍ لِيُـوَقِّرَهُ، فَقَـدْ أَعَـانَ عَلَى هَدَمِ الْإِسْلَامِ** »، وصحَّ عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «**مَنْ أَعْـرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بُغْضًا فِي اللهِ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْنًـا وَإِيمَانًـا، وَمَنِ انْتَهَـرَ صَـاحِبَ بِدْعَـةٍ رَفَعَـهُ اللـهُ مِائَةَ دَرَجَـةٍ، وَمَنْ سَـلَّمَ عَلَى صَـاحِبِ بِدْعَـةٍ أَوْ لَقِيَـهُ بِالْبُشْـرَى أَوِ اسْـتَقْبَلَهُ بِمَـا يَسُـرُّ، فَقَـدِ اسْـتَخِفَّ بِمَـا أُنْـزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ**»، وصح عنه صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: «**إِنَّ اللـهَ لَا يَقْبَـلُ لِصَـاحِبِ بِدْعَـةٍ صَـوْمًا وَلَا صَـلَاةً وَلَا زَكَـاةً وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْـرَةً وَلَا جِهَـادًا وَلَا صَـرْفًا وَلَا عَـدْلًا، وَيَخْـرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَـا يَخْـرُجُ السَّـهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ أَوْ كَمَـا يَخْـرُجُ الشَّـعْرُ مِنَ الْعَجِينِ**». اهـ.

وفي رسالة القشيري بسـنده إلى أبي بكـر بن نصر الزقاق رضي اللـه عنـه قـال: تهت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوما، فلما وقفتُ على الطريـق استقبلني إنسـان جنـدي،

فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة. اهـ.

وحُكِيَ كما في ممتع الأسماع، أن الشيخ الكامل القطب الكبير أبا العباس سيدي أحمد بن موسى السملالي لما قدم لمراكش استدعاه السلطان مولاي عبد الله لداره وصنع له طعاما، فأبى أن يأكله، وقال له: من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يومًا، ومن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة. اهـ.

وفي كتاب بستان الأدب: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم، منهم راجي الفضل من اللئام.

وقال القطب الشعراني رضي الله عنه في كتابه أدب الملوك ما نصه: ومنه الفرار من التقرب للأمراء، لما في التقرب إليهم من المفاسد. وقد قالوا: إياكم والتقرب من الأمراء، فإن التقرب إليهم بشرطه ليس هو لكل الناس، إنما هو للأكابر من العلماء والصالحين الذين غلب عليهم شهود الحق تعالى.

وفي الإبريز ما نصه: إن من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل، الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها، الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما، فيقول في نفسه: لا أعصي هذا الظالم، لأني إن عصيته قتلني أو منع رزقي، أو

غير ذلك، ولو تحقق بتصرف الحق تعالى فيه وفي الظالم، لعلم أنه هو الفاعل وحده، وحينئذ فلا يخاف إلا منه، وبقدر ما يقوى هذا النظر في العبد يقوى قربه من ربه تعالى، وبقدر ما يقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه.

ومن الأسباب أيضا الطمع في الظالم، فيتقرب منه لينال منه رزقا، ولو تحقق بأن الله هو الرزاق لم يصدر منه ذلك.

وقال ابن المبارك: وما رأينا من نصح ظالما إلا وكانت عاقبة أمره خسرا.

وقال سفيان الثوري لمن أراد أن يوقظ حرسيا للصلاة: لا توقظه دعه هذه الساعة نستريح منه ومن شره فيها. اهـ.

وعن بعض العارفين: مخالطة العموم تذهب بنور القلب وهيبة الوجه، من مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لا نور فيه، فليجتهد العاقل على مخالطة الخصوص. انتهى.

وعن الأصمعي ما نصه: وجدني أبو عمر بن العلاء مارا في بعض أزقة البصرة، فقال لي: إلى أين؟ فقلت: لزيارة بعض إخواني، فقال: يا أصمعي إن كان لفائدة أو عائدة وإلا فلا.

وفي المعنى ليوسف الحلبي:

يا أيها الإخوان أوصيكم=وصية الوالد والوالدة

لا تعملـوا الأقـدام إلا إلى=من لكم عنـده فائدة
إما العلم تستفيدونه=أو لكريم عنده مائدة
وقـال الشـافعي رضـي اللـه عنـه: أظلم الظـالمين لنفسـه من تواضـع لمن لا يكرمـه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقبل مـدح من لا يعرفه.
ورحم الله الصفدي إذ يقول:
إذا كنت لا علم لـديك تفيـده=ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرا
ولا أنت ممن يـرتجى لكريهـة=علمنـا مثـالا مثل شخصك من خرا
وللشـيخ زروق عن بعض مشـايخه ينسـبه لبعض العارفين:
عش خامـل الـذكر بين النـاس وارض به=فذلك أسلم للدنيا وللدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانته=ولم يزل بين تحريك وتسكين
ولـه عنـه أيضـا في تـأليف لـه في علـوم القوم، ضمنه الوصايا النافعة:
تعـرض لنفحـات الكـريم وبابـه=أدم قرعـه فالباب يوشك يفتح
وإيـاك إيـاك الرياسـة إنهـا=هي الـداء كـل الداء للدين تجرح
تواضـع وشـمر والـزم الزهـد واصطبر=ونفسك جاهدها عسى هي تفلح

ألا إن حب المال والجاه زينة=قبيح بأهل العلم ذلك أقبح
كما أن حب الفقر والزهذ زينة=مليح بهم أزهى وأبهى وأملح
ولو طردوني كنت عبدا لعبدهم=كبعض كلاب في المزابل ينبح
ولا قط أهل الظلم تركن إليهم=مع القوم تحشر ثم في النار تطرح

وفي البيت الأخير إشارة إلى حديث: «**يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَشْيَاعُ الظَّلَمَةِ حَتَّى مَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ وَيُرْمَى بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ**»، وفي التنزيل: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾، وقال ابن المسيب: لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة. اهـ.

وكتب بعض العلماء إلى الزهري لما خالط السلاطين كتابا من جملته: واعلم أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوِّك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك، اتخذوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليه إلى بلائهم، وسلما يصعدون فيه إلى باطلهم، يُدخلون بك الشك على العلماء، ويصطادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك

فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**﴾ الآية. وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل، فداوِ دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضرك السفر البعيد ﴿**وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾. اهـ.

روى أبو داوود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، وفي الجامع بلفظ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**».

وقال سهل بن عبد الله: من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن. اهـ.

وفي النصيحة: ومنها -أي من المحارم- النظر إلى الجبابرة بعين التعظيم، والرضا بأحوالهم، واتباعهم البصر تعظيما لهم. انتهى.

قال ابن زكري عليه: أي لأن ذلك مخالفٌ لما جاء به الشرع من هجرانهم ومقاطعتهم، ولبغضهم في الله من حيث إنهم أهل ظلم، والتعبيس في وجوههم. فقد أخرج ابن شاهين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**تَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي، وَالْقَوْهُمْ بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ، وَالْتَمِسُوا رِضَا اللهِ بِسَخَطِهِمْ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِالتَّبَاعُدِ مِنْهُمْ** ». اهـ.

قال عليه السلام: «**مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ**»، هذا في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم. اهـ.

وقال الشيخ التاودي: وهجران المجاهر بالكبائر واجب لما يلحق من الإثم بالسكوت عليها والموالاة معها. هـ.

وقال العلامة جسوس: إن ترك أهل البدع من النصيحة لله ورسوله.

ومما كتبه سيدي يوسف الفاسي رحمه الله لبعض أصحابه: واعلم أن البصيرة كالبصر أدنى شيء يغير النظر. اهـ.

وفي البخاري: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»، وأخرج الطبراني: «**مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللهُ فِي زُمْرَتِهِمْ**».

قال المناوي: فمن أحب أولياء الرحمن كان مَعَهُمْ فِي الجنان، وَمَنْ أَحَبَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَعَهُمْ فِي النِّيرَانِ. اهـ.

وفي هذا كفاية (...) والمصاب من أصيب في دينه، والمخذول من خذل في إيمانه، فطُرِدَ عن دائرة توفيقه، ولا مصيبة أعظم من مصيبة الدين، إذ هي أشد من الجذام والبرص والجنون وفقد المال والأهل والبنين، وعنوان على الشقاء وموت القلوب، وقاطع عن الله علام الغيوب، يشهد له عدم التأسف والحزن على فوات الطاعات، وعدم الندم على ارتكاب المعاصي والزلات، والاغترار بالمهلة وتأخير العقوبة والانتقام، وعدم المعاجلة بذلك والأمن

من سوء الختام، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ الآية، وقال: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ إشارة إلى مخالفتهم وعصيانهم، ﴿**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أي فتحنا عليهم أسباب العافية وأبواب الرفاهية ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**﴾ من الحظوظ الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم إلينا، ﴿**أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾ أي فجأة ﴿**فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾أي آيسون من كل خير.

قال تعالى: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، قال التاج: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة، والمغرور كل المغرور من كان منهمكا في الفجور، مصرا على هتك حرمات الله مدبر الأمور، غير مستقبح لحاله ولا خائف من عاقبتها، مُكبا على جمع الدنيا وحطامها، وهو مع ذلك يصلي ويذكر الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويزعم أن ذلك يكفيه، وذلك تلاعب واستخفاف بذكر الله ورسوله، مؤذن بخلو القلب من التعظيم يخاف عليه أن (...) سوء الخاتمة عياذا بالله، وذكره هذا وصلاته هذه حجة عليه، وبلاء يجر نفسه إليه، وقد جاء أن الله أوحى إلى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: قُلْ لِلظَّالِمِينَ لَا يَذْكُرُونِي فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّ مَنْ ذَكَرَنِي ذَكَرْته، فَإِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتهمْ بِالْغَضَبِ. اهـ.

وفي هـذا القـدر كفايـة ومناسـبة لبعض المتفقهة والمتفقرة.

## فصل في التحذير والتهديد والإنذار
## لبعض أولاد الصالحين وبعض آل النبي المختار

لتطـاولهم وتعـديهم على المسـلمين، وإخلالهم بالقواعـد وأصـول الـدين، اتكـالا على النسـب، دون تمسـك بسـبب، والاغـراء على متابعـة جـدهم قـولا وفعلا، فرضـا وسـنة ونقلا، وبـذلك يتكملـون، وفي سـلك من انتمـوا إليـه ينخرطون، لأن الطيني مشـروط بالـديني، (...) التفاخر والتعاظم على عباد الله، ويحببونهم في سيد البشر، وخير من حجَّ واعتمر، ولا يتكلمـون على آبائهم وأجدادهم أولياء الله.

قال الإمام العـارف باللـه السـمهودي: ممـا يتأكد على أهل البيت ترك الفخـر بالآبـاء وعـدم التعويـل عليهم من غـير اكتسـاب الفضـائل الدينية، فقـد قـال تعـالى: ﴿**إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾.

وكـان سـيدي علي الخـواص يقـول: غـالب أولاد العلمـاء والصـالحين لا حيـاء فيهم ولا

فضيلة، لأنهم عكارة ظهور آبائهم حين تصفو من الكدرات، فنزل ذلك في نطفة أولادهم، بخلاف أولاد الفلاحين والعوام الغالب عليهم اكتساب الفضائل لموت آبائهم من غير تصفية. اهـ. قاله في العهود.

وفي البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قال: «**أَتْقَاكُمْ**»، الحديث.

وعن علي كرم الله وجهه: الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسودد كل السودد لمن اتقى الله ربه، والكريم من أكرم عن ذلك الناس وجهه. اهـ.

وقال المناوي على حديث: «**وَآفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ**»، قيل لبعض الحكماء ما الذي لا يحسن وإن كان حقا؟ قال: مدح الرجل نفسه وإن كان محقا. اهـ.

وقال بعضهم: أيها المفتخر إن افتخرت بفرسك فالحسن له دونك، أو بثيابك أو متاعك فالجمال لها دونك، أو بآبائك فالفخر فيهم لا فيك، ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا أين محاسنك. اهـ.

وفي جامع البيان والتحصيل لابن رشد رحمه الله ما نصه: وحدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد العتبي عن عيسى أنه قال: بلغني أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد سلمان الخير وصهيبا وبلالا مولى

أبي حذيفة، فقال لهم: تخلفتم يا معشر العجمة؟ كأنكم من الأوس والخزرج، وسعد بن أبي وقاص يصلِّي ويسمع كلامه، فعجل وسلم، ثم قام إلى الأعرابي (...) بردائه وقال: يا عدو نفسه، تقول هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فذهب به سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا أي غضبان، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أَيُّهَا الناس إن الرب واحد والدين واحد والأب واحد، ومن أسرع به علمه لم يبطئ بِهِ حَسَبُهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ، ومن دخل هذا الدين فهو من العرب**». فقال سعد: ما أصنع بهذا يا رسول الله؟ فقال: ادخره إلى النار فقد رأيته ارتد مع مسيلمة فقتل معه. اهـ.

ومن هذا المعنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، وإنما يكون للحسب مزية مع الاستواء في العلم والفضل، قال عليه السلام: «**النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**». اهـ.

وخرج الإمام أحمد رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن من جملة خطبته صلى الله عليه وسلم وهو بمنى: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ،**

**لَا فَضْل لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بالتَّقوى، خَيْركُمْ عِنْد اللَّه أَتْقَاكُمْ».**

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾ قيل: سبب نزولها أن ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه صمم، فكان يجلس قرب النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع ما يقول، فجاء يوما وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فصلاها، فأخذ الناس مجالسهم وجاء يتخطى الناس ويقول: ألا فافسحوا حتى أنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينهما رجل فقال له: افسح، فقال له الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس خلفه مغضبا، فقال له ثابت: من أنت؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، وذكر أمه لأنه كان في الجاهلية يعيَّر بها، فخجل الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنِ الذَّاكِرفُلَانَة؟**» فقال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: «**انْظُرْ فِي وُجُوهِ النَاسِ**»، فنظر، فقال: «**مَا رَأَيْتَ يَا ثَابِت؟**» قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: «**فَإِنَّكَ لَا تُفَضِّلهُمْ إِلَّا بِالدِّينِ وَالتَّقْوَى**»، فنزلت الآية، فقال ثابت: لا أفخر على أحد في النسب بعدها أبدا. اهـ.

وقيل إن سبب نزول قوله تعالى ﴿**وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**﴾ أن أزواجه عليه السلام كن يقلن لصفية بنت حيي يا يهودية بنت يهوديين فنزلت.

وروي عنه عليه السلام أنه قال لها: «**هَلَّا قُلْتِ أَبِي هَارُونُ، وَعَمِّي مُوسَى، وَزَوْجِي مُحَمَّدٌ؟**». قال ابن عبد البر في الاستيعاب: غضب عليه السلام على زينب بنت جحش لقولها لصفية تلك اليهودية، فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر انتهى.

وخرج الإمام أحمد رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**كَرَمُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خَلْقُهُ**». اهـ.

قال المناوي: ليس شرفه بشرف آبائه بل بشرف أخلاقه. اهـ.

وخرج القضاعي وغيره مرفوعا: «**مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**». رواه مسلم.

وأخرج البيهقي: «**لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ، أَوْ عَمِلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا**»، أي يكفيه من الشر أن يكون متصفا بذلك. اهـ.

وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم: « **إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ نَادَاهُمْ بِصَوْتٍ يسمعُ أَقْصَاهُمْ كَمَا يسمعُ أَدْنَاهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَنْصَتُّ إِلَيْكُمْ مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا فَأَنْصِتُوا لِي الْيَوْمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي**

**جَعَلْتُ نَسَــبًا وَجَعَلْتُمْ نَسَــبًا فَوَضَــعْتُمْ نَسَـــبِي وَرَفَعْتُمْ نَسَــبَكُمْ، قُلْتُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ﴾، وَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَن تَقولُــوا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَفُلَانٌ أَغْنَى مِنْ فُلَانٍ، فَالْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي، أَيْنَ الْـــمُتَّقُونَ؟ فينصـــب للقـــوم لـــواء فيتبـــع القـــوم لـــواءهم إلى منـــازلهم فَيدْخلُونَ الْـجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».** اهـ.

وفي المنذري (الترمذي) عن أبي هريرة أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَـاتُوا إِنَّمَـا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُـونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْـجُعَلِ الَّذِي يُدَهْـدِهُ الْـخِرَاءَ بِأَنْفِـهِ إِنَّ اللـهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْـجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ إِنَّمَا هُوَ مُـؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوَ فَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**».

وفي الصــحيحين من حــديث أبي هريــرة رضي الله عنـه: لمـا نـزل ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ دعا صلى الله عليـه وسـلم قريشـا فاجتمعوا فعم وخص فقال: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُـؤَيٍّ أَنْقِـذُوا أَنْفُسَـكُمْ مِنَ النَّارِ، يَـا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ أَنْقِـذُوا أَنْفُسَـكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَـمْسٍ أَنْقِـذُوا أَنْفُسَـكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِـذُوا أَنْفُسَـكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَــكُمْ**

**مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا».**

وأخرج أبو الشيخ وابن حبان: **« يَا بَنِي هَاشِمٍ لَا يَأْتِيَنَّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْآخِرَةِ يَحْمِلُونَهَا عَلَى ظُهُورِهِمْ وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا عَلَى ظُهُورِكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا».** اهـ.

وفي البخاري: **«إِنَّ أَوْلِيَائِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُتَّقُونَ وَإِنْ كَانَ نَسَبٌ أَقْرَبَ مِنْ نَسَبٍ لَا يَأْتِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: هَكَذَا وَهَكَذَا»، وَأَعْرَضَ فِي كِلَا عِطْفَيْهِ.** اهـ.

وفي الطبراني: **«إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِي، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا».**

وأخرج الشيخان مرفوعا: **« إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».**

وفي الأحياء -للغزالي- لما تكلم على الإعجاب بشرف النسب: إن من خالف آباءه في أفعالهم وأقوالهم وظن أنه يلحق بهم فقد جهل، ولا يتكل على شفاعتهم فإنه قد لا يؤذن لهم فيه، فإنه بمنزلة من يتعاطى أكل السم اتكالا على طب أبيه، وذلك جهل وخطر، لأن من ذلك ما لا يعالج فالحزم الحذر. اهـ.

ورضي الله عن الشيخ زروق إذ يقول:
يفتخـرون بأجـداد لهم سـلفوا=نعم الجـدود ولكن بئس ما خلفوا
والقائل:
ولســت كـذي جهـل يظن جـدوده=ترقيـه والمرفوع بالفعل فاعله
والقائل:
ومـا الفخـر بـالعظم الـرميم وإنمـا=فخـار الذي يبقى الفخار بنفسه
والقائل هـو سـيدي عبـد الـرحمن بن شـيخ الإسلام سيدي عبد القـادر الفاسـي رضـي اللـه عنهما في كتابه (...).
وأضـمر أن لسـت بخـير من أحـد=فـالختم غيب ليس يدرى من سعد
والقائل:
لَعَمْـرُكَ مـا الإنسـانُ إلَّا بِدينِـهِ= فَلا تَتْـرُكِ التَّقوى اتكالًا على النسب
لَقد رَفَعَ الإسلامُ سَلمَانَ فَارِسٍ=وقد وضـع الكفر الشريف أبا لهب
فمـــــا الحســــــب المـــــــوروث إن در دره=بمحتسب إلا بآخر مكتسب
إذا الغصـن لم يثمـر وإن كـان شـعبة=من الثمرات اعتده الناس للحطب
والقائل:
يا نفس قومي لما خلقت له=خلقت للجـد لا للعب

لا تحســـبي إن أتيت فاحشـــة=أن تفتـــدي بقرابة للنبي
فـالقرب للأنبيـاء معتـبر=بالـدين لا بقرابـة النسب
لو ينفع النسب القـريب لمـا=سـمعت تبت يدا أبي لهب
والقائل:
قـــل لمن يعلـــو على النـــاس بآبـــاء سرات=ليس من شاني الفخر بعظام نخرات
مـــا الفخــار إلا بعلــوم زاخــرات=ومزايــا وسجايا وهبات وافرات
وضـــــراب بنصـــــال في مجـــــاري العركات=وجفان كالجواب وقدور راسيات
وقال سيدنا علي بن أبي طـالب كـرم اللـه وجهه:
الناس من جهة التمثيـل أكفـاء=أبـوهم آدم والأم حواء
فإن أتيت بفخر من ذوي نسب=فإن نسبتنا الطين والماء
لا فخــر إلا لأهــل العلم إنهم=على الهــدى لمن استهدى أدلاء
أطلب لنفسك علما واكتسـب أدبـا=النـاس موتى وأهل العلم أحياء
وقـل لمن يـدعي بـالعلم معرفـة=عـرفت شيئا وغابت عنك أشياء
وقيل في المعنى:

لســنا وإن أحســابنا كــرمت=يومــا على الأحساب نتكل
وقيل فيه أيضا:
حســب الفــتى أن يكــون ذا حســب=من نفسه ليس حسبه نسبه
وقيل فيه أيضا:
قل لمن يفخــر جهلا بالنســب=إنمـا النـاس لأم ولأب
أتراهم خلقوا من فضة=أم حديد أم نحـاس أم ذهب
إنمـا الفخــر بفعـل صـالح=وبـأخلاق كـرام وأدب
وقيل فيه أيضا:
ومن كــان ذا نســب كــريم ولم يكن=لــه حسب كان اللئيم المذمما
وأنشد في تنبيه الغافل في المعنى:
من كـان مفتخـرا بالمـال والحسـب=فإنمـا فخرنا بالعلم والأدب
لا خــير في رجــل حــر بلا أدب=وإن كــان معروفا من العرب
ما للجهول له ضد يعادله=إلا الحمـار وكلب مات في سخب
إخواننـا من ذوي الألبـاب كلهم=مـا لي إلى غيرهم يقوم من إرب
هم الكرام وسادات لهم أدب=وقادح الدين والآراء والخطب

وفي صحيح مسلم: «**لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُـلٌ: إِنَّ الرَّجُـلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُـونَ ثَوْبُـهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «إِنَّ اللـهَ جَمِيـلٌ يُحِبُّ الْـجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْـحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ»**.

ثم إن الفخـــر مـــذموم منهي عنـــه في الشـريعة على سـبيل العمـوم بـأي شـيء كـان وعلى أي وجه كان، وإنما يتصوَّر من المعصـوم وهم الأنبياء، فكيف يصح لغيرهم أن يفتخـر مـع أن خاتمته غيب ولا يدري مـا يختم لـه بـه. وهـو أي الفخر بخصوص الأنسـاب أكـبر قبحـا وأكـثر ذما وإثمًا، لما يترتب عليه من المفاسـد الدينيـة وهي كثيرة تنوف على المائة. اهـ. انظر الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة لابن زكـري رحمـه الله.

وقد ورد النهي عنه بخصوصه في الأحـاديث النبوية، وأنه من شأن الجاهلية، كحديث مسـلم عن أبي مالك الأشعري قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْـرِ الْـــجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُـــونَهُنَّ الْفَخْـــرُ فِي الْأَحْسَـــــابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَـــــابِ وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ»**.

وفي كتاب الـديات من صـحيح البخـاري أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَـالَى ثَلَاثَـةٌ: مُلْحِـدٌ فِي الْـــحَرَمِ، وَمُبْتَـــغٍ فِي الْإِسْـــلَامِ سُـــنَّةَ**

**الْـجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْـرِئٍ بِغَيْـرِ حَـقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ»**. اهـ.

والفخر بالأنساب من أشهر سنن الجاهليـة، ولشدة شناعته عبَّر عنه صلى الله عليـه وسـلم بالكفر، ففي كتاب الإيمـان من صـحيح مسـلم: باب الطعن في النسب والنياحة من الكفر. اهـ.

وقال العارف أبو زيد سـيدي عبـد الـرحمن الفاسـي في حاشـيته على البخـاري على قولـه صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضـي اللـه عنهـا في الحـديث السـابق: «**لَا أُغْنِي عَنْـكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، ما نصه: **مِنْ** بمعنى عنـد، أو للبدل، أي: لا أغني عنك عند الله أو بدل طاعـة الله، وهذا مع نفي الإيمان بقرينـة السـياق ومـا قبله من قضية إبـراهيم مـع أبيـه، وأنـه لا ينبغي أن يتكلوا على قرابتهم ونسبهم فيدعوا ما يجب عليهم وذلك سر تخصيص القرابة. اهـ.

وقـال سـيدي محمـد جسـوس في شـرحه للشـمائل، بعـد ذكـر حـديث «**خِيَـارُهُمْ فِي الْـــجَاهِلِيَّةِ خِيَــارُهُمْ فِي الْإِسْـــلَامِ إِذَا فَقُهُـوا**»، مــا نصــه: وبقولــه في الحــديث «**خِيَارُهُمْ**» تعلم أن من لم يعتبر النسب أصـلا فقد فرط، وبقولـه «**إِذَا فَقُهُـوا**» تعلم أن من اعتــبر النســب بمجــرده فقــد أفــرط. والحــق التوسط، وهو أن يعتبر إذا كان معه تقـوى اللـه وتفقه في دينه، وإلا فلا عبرة بـه، والكلام فيمن كان لسلفه شرف في الجاهلية فقط فلا يحصل لهم الشرف في الإسـلام إلا بهـذا الشـرط كمـا

هو صريح الحديث، دون أولاد الأنبياء والعلماء والصالحين فلا يشترط فيهم ذلك، والشرف ثابت لهم في الجملة، لأن العقوق لا ينفي النسب، وإن كان بين البار والعاق ما بين السماء والأرض، حتى قال الشيخ زروق في قواعده: المعتبر هو النسب الديني، فإن انضاف إليه الطيني كان مؤكدا فلا تلحق رتبة صاحبه بحال. اهـ.

نعم يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ**» وقوله: «**إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**» في الحديث السابق، أن نفع رحمه وقرابته وإن لم ينتفِ، لكن ينتف عنهم بسبب عصيانهم الوصف بولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه، بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم، وأعظم بها خسارة أن يمنح الله العبد قرب النسب من أفضل خلقه فيكفر هذه النعمة بتعاطي ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عمله عليه، ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عنه يوم القيامة إذا ناداه يا محمد كما في الحديث السابق، وكفى بذلك بلاء ونعمة، فوا سوأتاه من الله ورسوله، وإن حصل له الغفران ودخول الجنان، فإنما أولياؤه المتقون، لأن ولي الله ورسوله من توالت منه الطاعات ولم يصر على ارتكاب الشبهات، قاله الإمام السمهودي.

وقد تقدم أن العقوق وإن لم ينفِ النسب، لكن

بين العاق والبار كما بين السماء والأرض، كما قيل:

وَهَبْكَ وجدت العفو عن كل زلة=فأين مقام العفو من مقعد الرضا

وما دنس تبغي زوال سواده=كثوب جديد لم يزل قط أبيضا

وفي الإحياء: الثالث التكبر بالنسب والحسب، كالذي له نسب شريف ويستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملا وعلماز وقد يتكبر فيرى أن الناس له موالي وعبيد، ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم. وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره: يا قبطي ويا هندي، من أنت ومن أبوك، وأنا فلان بن فلان، وإنى لمثلك أن يكلمني وينظر إلي، ومع مثلي يتكلم، وما يجري مجراه، وذلك عرق دقيق في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا، إلا أنه لا يتشرف (يترشح) منه عند اعتدال الأحوال، فإن غلبه غضب رد ذلك نور بصيرته، كما روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: تناولت رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن السوداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا أَبَا ذَرٍّ طَفَّ الصَّاعُ طَفَّ الصَّاعُ لَيْسَ لِابْنِ بَيْضَاء عَلَى ابْنِ سَوْدَاء فَضْلٌ**»، قال أبو ذر: فاضطجعت فقلت للرجل فطأ على خدي. انظر بقية كلامه فيه، وطَفَّ الصَّاعُ معناه قريب بعضكم من بعض. اهـ.

وقــال في (...): وأمــا الــواجب عليهم في أنفسهم فشكر النعمة، وإدامة الخدمـة للمـولى الكريم، الذي بوأهم هذه الحرمة، وأكمل فضـله عليهم بها وأتمه، واختصهم من بين سائر الأمة، بمحض سابق العناية والرحمة، بأن يصـرفوا مـا أنعم الله به عليهم مصـارفه، ويتعرفـوا إحسـان المنعم بــذلك وعوارفــه، فبــالقلب الاعــتراف والإقرار، وباللسـان المحامـد والأذكـار، وبسـائر الأركان تسخيرها في الطاعة بالعشي والإبكـار، وأن يديموا الفرح بالواحد المنان، المبتدئ بهذه النعمة الكبيرة الشان، الـتي لا يُقـدر قـدرها ولا يكيف خطرها، ولا يدخل تحت حصر مـا لهـا من الكرامــة في العقــبى، ورضــي اللــه عنــه ابن السكاك إذ قال في كتابه نصح ملـوك الإسـلام: واعلم أن حاصل جميع ما ذكرت هنا، وجميع مـا ذكرت في كتابي الكبير الخاص بـآل الـبيت، من اسـتنباط عنـايتهم من الآي القرآنيـة ونصـوص الأحـاديث النبويـة، إنمـا هـو أن اللـه أعطى لآل البيت عطاء جزيلا لا يحيط به وصف ولا تكييف، ولا يــدخل تحت مقولــه حــد ولا تعريــف، وأنهم سبق لهم في علم الله المحيـط القـديم سـابق عناية لا يمكن شكرها إلا بــالعجز. فمن المتعين على الأشراف استحضار هذه النعم التي خصهم الله بها، والإحسان الذي مـيزهم بـه على سـائر خلقه. ولا شك أنهم إذا استحضـروا ذلـك أحبـوا الله بكليـة قلـوبهم، إذ جبـل اللـه القلـوب على حب من أحسن إليها. ومن لـوازم الحب امتثـال

أمر المحبـوب، والمبـادرة إلى ابتغـاء مرضـاته، والتقـرب إليـه بالنوافـل، وشـدة الحيـاء منـه، واستحقار النفس بين يدي عظمته، واضمحلالها وفناؤهـا، وقـول هـذا الإنسـان المخلـوق من ضعف: من أنا حـتى يعتـني بي جبـار السـموات والأرض العظيم الـذي خضـعت لـه ملائكـة (...) الأعلى خضوعا لا يخطر على بال، أم أي شـيء أنـا حـتى يـذكرني في قِدمـه، ويقسـم لي في أزله، نسبة من أحب خلقه إليه واتصالا به.

ولا شك أن المستحضر لهذا أو لشيء منـه، يجد من الذل والخضوع والتواضع والـذهول عن الـدارين، والتسـلي عن كـل فـائت من هـذه الفانية، ما يحـل تـراكيب عوالمـه ويـذهب معـه في الذاهبين، لولا تلافي الأمر واستنشاق روائح الحياة بمنة الله، والفـرح بفضـل اللـه ورحمتـه، والسـرور بالاتصـال بحبيبـه والانتسـاب إليـه. وعنـدي أن كـل من صـحت نسـبته إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم لـو خـير بين مـا يملأ السموات والأرض من الـذهب واليـاقوت، وبين كونـه حفيـد حـبيب اللـه فقـيرا لا يملـك شـيئا، لاختار الفقر وما هو أشد منه.

إلى أن قـال مـا معنـاه: ومن وظـائف الأشراف إحياء سنن حبيب اللـه، وشـدة الحيـاء أن يخـالفوه لمـا أعطـاهم من المنـة الـتي لم يعطها غيرهم.

ومن وظـائفهم إحيـاء مـا أمـات النـاس من كل ما هو من جدهم بسبب، والتعصب في ذلك

والاجتماع عليه كتشببهم في قراءة حديثه صلى الله عليه وسلم، وسيره الفاضلة، وشمائله الكريمة، ومزاياه العظيمة، ومعجزاته الباهرة، ودرر صفاته الفاخرة، وبث ذلك في كل مسجد.

ومن وظائفهم استجلاب قلوب الأمة، واستمالتهم لحب الحبيب صلى الله عليه وسلم بضروب الإحسان لسائر الخلق من محسن أو مسيء، وإذا تسبب شريف بحسن أخلاقه ومعاشرته لخلق الله في زيادة حبهم في الحبيب، قدم يوم القيامة على جده وهو قد أرضاه، وفعل ما بُعث به سيد الخلق من سياقة الخلق إلى السعادة؛ ومن تسبب في نفور، كما حكي أن مؤمنا ارتد بسبب إذاية شريف، فهذا على خطر عظيم من لقاء جده، إذ يقول له: إنما بعثت رحمة للملائكة والأنبياء والإنس والجن، وأنت فعلت ضد ما بُعثت به. فرحم الله من أنعم تأمُّل هذا النص، وأشفق على نفسه وعلى أمة جده صلى الله عليه وسلم. اهـ.

وفي وصلة الزلفى ما نصه: وقوله شيء من الوصلة بهذه النسبة السنية المباركة، فعليه بتعهدها وتفقد معاهدها بصلاح شأنه، بحفظ حدود ربه، ومراعاة أسرارها في سره وجهره، والمراقبة بالتقوى، ولا يرضى لنفسه متابعة الهوى، وليأخذ في تعلم ما يعنيه، والإقبال على ما يحمد به عند العليم العلام ويرضيه، وليتحمل من الاصطبار على طلب الرضا ما يطهره به ويزكيه، فليتأصل بأصله ليكون قدوة لغيره،

ويتأكد الرجاء فيه باتباع أنوار بره. اهـ. انظر بقيته فيها.

وهذا سيدنا علي الرضا سيد العارفين، وقدوة المقتدين، مع شدة قربه واتصاله ومحبوبيته واتباعه لسنة جده صلى الله عليه وسلم، خاطب أخاه سيدنا زيد بن موسى الكاظم لما خرج على المأمون، وظفر به، وأرسله إليه، ووبخه بكلام كثير وزجره من جملته: ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني يوم القيامة، إذا سفكت الدماء وأخفت السبل وأخذت المال من غير حله، غرَّك حمقاء الكوفة، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللهُ ذُرِّيَتَهَا عَلَى النَّارِ»**، هذا لمن خرج من بطنها فقط مثل الحسن والحسين، لا لي ولك، والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله إنك لأكرم على الله منهم. اهـ.

قال ابن حجر: فتأمل ذلك فما أعظم موقعه ممن وفقه الله من أهل هذا البيت المكرم، فإن من تأمَّل ذلك منهم لم يغتر بنفسه، ورجع إلى الله سبحانه عما هو عليه مما لم يكن عليه المتقدمون الأئمة من آبائه، واقتدى بهم في عظم مآثرهم وزهدهم وعبادتهم وتحليهم بالعلوم السنية، والأحوال والخوارق الجلية. اهـ. بخ.

وأخرج أبو نعيم عن سيدنا محمد الجواد بن علي الرضا أنه سئل عن حديث: «**إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا**» إلخ، فقال بما مر آنفا عن أبيه: ذلك خاص بالحسنين. اهـ.

وليتأمل قول سيدنا الحسن يعني المثنى ابن سيدنا الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم: وَيْحَكُمْ أحبُّونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا فأبغضونا، ويحكم لو كان نافعًا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، أي كأبي طالب وأبي لهب، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وأن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. اهـ. ومثله في الأربعين للطائي. اهـ.

وليتأمل أيضا ما ذكره في الدر النفيس عن المستطرف عن الأصمعي قال: بينما أنا أطوف ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْـمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ= يَا كَاشِفَ الضُّرَّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ

قَدْ نَامَ وَفْدُكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا=وأنت يا حي يا قيوم لَمْ تَنَمِ

أدعوك رب حزينا قالقا هائما=فارحم بكائي بحق البيت والحرم

إن كان جودك لا يرجوه ذو سعة= فمن يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

قال ثم أنشد بعد يقول:
ألا أيها المقصود في كل حاجة=شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي=فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح ردية=وما في الورى عبد جنا كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى=فأين رجائي ثم أين مخافتي

قال: ثم سقط على الأرض مغشيا عليه، فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهم، فرفعت رأسه في حجري وبكيت، فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه فقال: من هذا الذي تهجم علينا؟ قلتُ: عُبَيْدك الأصمعي، سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوءة ومعدن الرسالة، أليس تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾؟، فقال: هيهات يا أصمعي، إن الله تعالى خلق الجنة وأعدها لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار وأعدها لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا، أليس الله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ**﴾ إلى ﴿**كَالِحُونَ**﴾. ولا خفاء أن الخوف على قدر المعرفة، وأن من كان لله أعرف كان منه

أخوف وأن أهل الفضل لا يرون لأنفسهم مزيــة كما قيل:

فــوا عجبــا كم يــدعي الفضــل نــاقص=ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

وذكر الإمام القشيري في رســالته عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، أنه كــان في ســجوده فوقــع حريــق بــداره فلم ينصــرف عن صــلاته، فســئل عن حالــه فقــال: ألهتني النار الكبرى عن هذه النار. اهـ.

وليتــدبر مــا ذكــره ابن خلكــان في تاريخــه، وهــو أنــه سُــعِيَ بــأبي الحســن العســكري ابن محمــد الجــواد إلى المتوكــل، أي وكــان خليفــة وقتئذ، بأن في منزله ســلاحا وكتبــا من شــيعته، وأنه يطلب الأمــر لنفســه. فبعث إليــه المتوكــل جماعة فهجمــوا عليــه منزلــه ليلا، فوجــدوه في بيت مغلق عليه مدرعة من شــعر، وعلى رأســه ملحفة من صوف، وهــو مســتقبل القبلــة يــترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينــه وبين الأرض بساط. فحُمل في تلــك الهيئــة إلى المتوكل، فلمــا رآه المتوكــل أعظمــه وأجلســه، وقال له: أنشدني، فقال لــه: إني قليــل الروايــة للشعر، فقال له المتوكل: لا بد. فأنشده:

بــاتوا على قلــل الجبــال تحرســهم=غلب الرجال فلم تمنعهم القلل

واستنزلوا من أعالي عز معقلهم=فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا

فـــإذا هم صـــراخ من بعـــدما دفنـــوا=أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه الـتى كـانت منعمـة=من دونها تضرب الأستار والكلل
فأصـــبح القـــبر عنهم حين ســـاءلهم=تلـــك الوجوه عليها الدود تقتتل
قـــد طـــال مـــا أكلـــوا دهـــرا ومـــا شربوا=فأصبحوا بعد هذا الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكـل والحاضـرون، ثم قـال لـه المتوكل: يا أبـا الحسـن هـل عليـك دين؟ قـال: نعم أربعـة آلاف دينـار، فـأمر لـه بهـا وصـرفه مكرما. اهـ. بخ.

ولليافعي في روض الرياحين عن بهلول بن راشـد قـال: بينمـا أنـا أمشـي ببعض شـوارع البصـرة والصـبيان يلعبـون بـالجوز واللـوز وإذا بصـبي ينظـر إليهم ويبكي، فقلت: أي بـني مـا يبكيك؟ أنشتري لم مـا تلعب بـه؟ فرفـع بصـره إلي وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنـا، قلت: فلماذا خلقنـا؟ قـال: للعلم والعبـادة، قلت: من أين لـــك ذلـــك؟ قـــال: من قولـــه تعـــالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُـــونَ**﴾، قلت: يـــا بـــني أراك حكيمـــا فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز للطلاق=مشمرة على قدم وساق
فما الدنيا بباقية لحي=ومـا حي على الـدنيا بباق

كــأن المــوت والحــدثان فيهــا=إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور ذي الـدنيا رويـدا=فخـذ لنفسـك منها بالوثاق
قال: ثم رمق السماء بعينيـه وأشـار بكفيـه ودموعه تنحدر على خديه وأنشأ يقول:
يا من إليه المبتهل=يا من عليه المتكل
يا من إذا عن أمل=نرجوه لم يخطئ الأمل
ثم خر مغشيا عليه، فلما أفاق قلت لـه: أي بـني مـا نـزل بـك وأنت صـبي لم يكتب عليـك ذنب؟ قــال: إليــك عــني يــا بهلــول إني رأيت والدتي توقد النـار بـالحطب الكبـار فلا تقـدر إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم، فقــال: أي بــني أراك حكيمــا فعظــني، فأنشأ يقول:
غفلت وحادي الموت في أثـري يحـدو=وإن لم أرح ميتا فلا بد أن أغدو
أرى العمــــــــر قــــــــد ولى ولم أدرك المنى=وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصيا=وأحــدث أحداثا وليس لها رد
وأرخيت دون النـاس سـترا من الحيـا=ومـا خفت من سري غدا عنده يبدو
بلى خفتــه لكن وثقت بحلمــه=وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
فلو لم يكن شيء سوى المـوت والبلا=ولم يكن من ربي وعيد ولا وعد

لكان لنـا في المـوت شـغل وفي البلا=عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشد
عسى غافر الزلات يغفر زلـتي=فقـد يغفـر المولى إذا أذنب العبد
أنا عبد سوء خنت مولاي عهده=كذلك عبـد السوء ليس له عهد
فكيـف إذا أحـرقت بالنـار جثـتي=ونـارك لا يقوى لها الحجر الصلد
أنـــا الفـــرد عنـــد المـــوت والفـــرد في البلا=وأبعث فردا فارحم الفرد يا فرد

قال بهلول: فوقعت مغشـيا عليَّ وانصـرف الفـتى، فلمـا أفقت لم أجـد الصـبي، فسـألت الصبيان عنه من هو، فقـالوا من أولاد الحسـين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقلت: عجبت أن تكـــون هـــذه الثمـــرة إلا من تلـــك الشجرة. والصبي المذكور في هذه الحكاية هـو سيدنا الحسـن الخـالص بن علي العسـكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد البـاقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي رضي الله عن جميعهم وحشرنا في زمرتهم آمين. اهـ.

نعم من مقام الكمَّل شدة الخوف من اللـه تعالى على الدوام، وعدم طمأنينتهم من الطرد من حضرته في الليـل والنهـار، حـتى إن السـيد عبـد القـادر الجيلي كـان يقـول: أعطـاني اللـه أربعين عهدا وميثاقا أنـه لا يمكـر بي حين رأيتـه في المنام، ومع ذلك فإني غـير آمن من مكـره

بي لعلمي بسعة إطلاقه وأنه يفعل ما يشاء. اهـ.

إذا فهم هذا، فلا يغتر من وفقه الله من أهل البيت وأخذ بيده، واشتغل بما يعنيه ويتقرب به إلى الله، بما ذكره بعض العارفين مما يقتضي التجاوز عن سيئاتهم، فإن ذلك كله قد (...) المحققون من أهل السنة، إذ من الضروري من الدين أنهم لا يرتفع عنهم الأمر والنهي، وأنهم يجري في حقهم الوعد والوعيد، وأعدى الأعادي لأهل البيت من يوهمهم ذلك بل يذكر لهم نحو ﴿**يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾.

وهذا أيضا في حق من علم الله أنه منهم كما قاله الإمام النظار، العلامة القصار، قال العارف أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي فيه، يعني في قوله (وهذا في حق من علم الله أنه منهم) تنبيه: على أنه لا يقطع في معين ولا يقطع به أحد لنفسه ولوالده من كون شرطه الوفاة علي الإسلام وهو غيب، وهكذا ينبغي أن يكون كل أحد في كل فضيلة وعد عليها في العقبى، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله وهو غيب، وكذا ما ورد في قبول الطاعات والدعاء وادخاره فإنما هو فيمن عُلم منه خاتمة الإيمان، ونفذت بذلك إرادته ومشيئته، وأما أحد في خاصته فلا يصح له القطع والجزم بذلك لنفسه ولا لغيره، وقد قال أبو الحسن الشاذلي يعني في الحزب الكبير: وقد أبهمت علينا الأمر

لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية وبذلك تنقطع الآمـال إلا من اللـه، ويتحقـق الرجـاء والاعتمـاد عليه لا على الأسباب فاعرفه. اهـ.

ثم قـال العـارف أيضـا: من أطلـع عـوامهم على فضائلهم ومنـاقبهم من غـير نصـح لهم ولا تعليم فقد غشهم، على أن أكـثر تلـك الظـواهر قـد لا تشـملهم كمـا قـال كثـير منهم، فـإن من اعتقـد ذلـك منهم أو من غـيرهم مبتـدع، بـل مـذهب أهـل السـنة أنهم في المشـيئة. انتهى. قاله القصار.

وقـال ابن زكـري: ثم إن الـدليل الكلي أو الجزءي في هـذا البـاب، وإن دل دلالـة قطعيـة بحسـب الدلالـة والسـند في الجملـة، فلا يـدل دلالـة قطعيـة في الشـخص المعين، لأن ثبـوت منـاط الحكم في المعين ظـني، أمـا الأحكـام الدنيوية فتابعة للظن ولا إشكال. ومـا قـال أبـو علي بن رحـال التـادلي المعـداني رحمـه اللـه الذي ينفصل عنه في الآيـة يعـني قولـه تعـالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الـرِّجْسَ﴾** أن المراد بـالرجز خصـوص الكفـر بعبـادة الأوثـان، ودليله قوله تعـالى: **﴿فَـاجْتَنِبُوا الـرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَـانِ﴾** و**مِنْ** بيانيـة كمـا عنـد النحـاة، وإلا فصدور الإثم غير الكفر من الأشراف نفـع اللـه بهم مشـاهد لا ينكـره إلا من لم ينصـف أو لم يعرف، وأما مغفرة الذنب فالإرادة غير مسلطة عليها بحسب صناعة الكلام والأسلوب العـربي والأصـل عـدم الحـذف، وعلى هـذا فلا إشـكال

والحمد لله ولم يسمع أن شريفا يعبد غير الله تعالى. اهـ. بخ. بنقل بعض الأعلام.

قلتُ: ومن هنا زلت من جهلة أهل البيت الأقدام، فاعتمدوا على ظواهر بعض الأحاديث، فتهاونوا بقواعد الدين وأركان الإسلام، وتطارحوا في المعاصي وهتك أستار السنة والكتاب، وتكالبوا على جمع الحطام بسيف الحياء والغصب الذي ليس فيه يرتاب، وتمسكوا بالبدع وعضوا عليها بنواجذهم، ونبذوا الشريعة خلف كواهلهم، تاركين للصلاة جاهلين بالفروض والسنن وخصوصا المعتقدات، غافلين عن ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستغرقين في أكل لحوم الناس والطعن في أولياء الله كل الأوقات، حتى إن بعضهم وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه، يزعم أن الأمر والنهي ساقط عنه من حيث قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عياذا بالله من هذا الاعتقاد المؤدي إلى سقر وبئس المهاد، كيف وخطابات التكليف عامة والإجماع منعقد على ذلك، كما للسعد في شرحه للنسفية ونصه: وذهب بعض المباحين لعنهم الله إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأمر والنهي ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر، وبعضهم إلى أنه يسقط عنه العبادات الظاهرة، وتكون عبادته التكفر، وهذا كفر وضلال، فإن أكمل الناس في

المحبة والإيمان هم الأنبياء خصوصا حبيب الله صلى الله عليه وسلم، مع أن التكاليف في حقهم أتم وأكمل، أي حتى إنهم يُعاتبون على أدنى زلة بل على ترك الأفضل. قال: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرُّهُ ذَنْبٌ**» فمعناه حفظه من الذنوب فلم يلحقه ضررها. اهـ.

ونحوه للكمال، قال الكمال: أو معناه أن الله تعالى يوفقه للتوبة النصوح، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. اهـ.

وكذا ذكره غيره كصاحب القوت، وقال حجة الإسلام الغزالي: لو زعم زاعم أن بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض من ادعى التصوف، فلا شك في وجوب قتله، وإن كان في خلوده في النار نظر، وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أشد. اهـ.

وقد حكي عن الجيلي رضي الله عنه كما في مناقبه، أنه خرج في بعض سياحته، قال: فمكثت أياما لأجل ماء فاشتد بي العطش، فظللتني سحابة فنزل عليّض منها شيء يشبه الندا، فترويتُ، ثم رأيت نورا أضاء به الأفق فبدتْ لي صورة نوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات، أو قال ما حرمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور

ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في أحوال منازلك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة نحو سبعين من أهل الطريق. ثم قيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله قد حللت لك المحرمات. اهـ. قاله التفجروتي رحمه الله.

ثم قال المعزي بعد نقله ما نصه: قلتُ: وكلامه أيضا بالحروف والأصوات وأنه سمعه من جهة والصورة الظاهرة والحق تعالى ليس كمثله شيء. إلى غير ذلك مما لا يخفى عند الصديقين العارفين. على أن العارف كما في شرح المقاصد ربما يحصل له كمال الانجذاب إلى عالم القدس والاستغراق في ملاحظة جناب الحق بحيث يذهل عن هذا العالم ويخل بالتكاليف من غير أن يأثم بذلك، لكونه في حكم غير المكلف كالنائم، وذلك لعجزه عن مراعاة الأمرين وملاحظة الجانبين، فربما يسأل دوام تلك الحالة وعدم العود إلى عالم الظاهر وهذا الذهول هو الجنون الذي ربما يرجح على بعض العقول، والمتسمون به هم المسمون بمجانين العقلاء، وبهذا يظهر فضل الأنبياء على الأولياء، فإنهم مع استغراقهم أكمل وانجذابهم أشمل، لا يُخلون بأدنى طاعة، ولا يذهلون عن هذا الجانب ساعة، لأن قوتهم القدسية من الكمال بحيث لا يشغلها شاغل عن ذلك

الجنـاب، ولهـذا ينعى عليهم أدنى زلـة عن نهج الصواب. اهـ.

وأيضا فإن مـا يصـدر من بعض أهـل الـبيت من التخـريب، والتهـاون بـالأوامر والنـواهي والاستخفاف والتثريب، ربمـا يـؤذن بـالأمن من مكر الله الذي إليه يرجعون، فإنا للـه وإنـا إليـه راجعون، والله تعالى يقـول: ﴿**فَلَا يَـأْمَنُ مَكْـرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْـخَاسِرُونَ**﴾.

قال بعض أهل الفتح:

ومن لمكر الله ربنا آمن=فذاك بالخسـران والطرد قمن

وجاء ذا الوعيد في القرآن=أعاذنا اللـه من الخسران

فالأنبيا على علا رتبهم=لم يأمنوا بذاك مكر ربهم

فإذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام مـع ما اختصوا به من كمـال العصـمة وعلـو الـرتب بين الأنـام، لحقهم الخـوف من الـرب الكبـير المتعال، ولم يأمنوا مكره لكمـال معـرفتهم في حـال من الأحـوال، فمـا بالـك بمن عـداهم، وليتـذكر مـا حكـاه اللـه تعـالى في القـرآن عن الكليم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسـلام في قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾، وذلك بعد أن قال له عز وجـل وقت الرسالة: ﴿**وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ حيث لحقه الخوف مع كمال عصـمته بعـد مـا

سمع وقت الرسالة ما سمع، وما ذاك إلا لعــدم أمنــه مكــر اللــه تعــالى في حــال من الأحــوال. ومثله أي مثل هذا ما وقع لنبينا صلى الله عليــه وسلم يوم بدر، فإنه صلى الله عليه وسلم كـان وعده ربه جل وعلا النصر على قــريش والظفـر بهم وأراه مصارعهم، ومع ذلك لما رآها تصــوب من كثيب الرمل آتية لبدر قـــال: « **اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ جَـاءَتْ بِفَخْرِهَـا وَخُيَلَائِهَـا تُحَـادُّكَ وَتُكَـذِّبُ رَسُــولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْــرَكَ الَّذِي وَعَـدَّتْنِي**». ثم لمــا ســوى الصــفوف للقتـال انعزل ناحية وحده في العريش يستغيث باللـه، وأبو بكر قائم على رأسه يحرسه ويقول له: دع مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك بــه، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقلع عن المناشدة والاستغاثة.

إلى غير هذا مما أشارت إليه الآي القرآنيــة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يـدل على عظيم خوفهم من الله تعالى الذي لم يكن يزايلهم في حال من الأحوال، وذلك لأن خوفهم على قدر معرفتهم.

وورد أيضــا في حــق الصــحابة رضــي اللــه عنهم ما يدل على عدم أمنهم من مكر الله، مع كمــال فضــيلتهم وثبــوت خصوصــيتهم الــتي لم يسبقهم فيها أحد من العـالمين مـا عـدا الأنبيـاء والمرسلين.

وكــذلك في حــق كبــار التــابعين مــع قــوة إيمانهم وشدة متابعتهم وكثرة مجاهـدتهم الــتي

اختصوا بها عمن عداهم ممن بعدهم. وتدبر ما في العهود للقطب الشعراني رضي الله عنه ونصه: وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: كل الخلق تحت المشيئة ويخاف عليهم دخول النار ما عدا الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وقد درج الأكابر كلهم على قدم الخوف مع عملهم بالشريعة على الكمال، فكيف يليق بغيرهم عدم الخوف، ولكن إبليس للخلق بالمرصاد، فربما طمع العصاة في جانب العفو والمغفرة حتى تراكمت عليهم الذنوب مع عدم التوبة، حتى أتلف عليهم دينهم، وكان ذلك من جملة مكر إبليس بهم. فالعاقل من عمل وخاف من الله عز وجل أن يدخله النار بذنوبه التي شملتها طاعته فضلا عن معاصيه. اهـ.

هذا (...) تهديدا وتحذيرا من بشنشنته منهم، أي من أهل البيت ولا مفهوم لهم تذكيرا، الحلف بأيْمان الفساق من الحرام، والأيمان اللازمة مع الحنث فيها، والاسترسال على الأزواج من غير طلاق ولا رجعة، ويلد معهن على تلك الحال الذميمة الأولاد، وخصوصا من يتساهل في الوقوع في الردة قولا وفعلا دون توبة ولا أوبة إلى الله تبارك وتعالى، عافانا الله مما وقع فيه أهل الزيغ والفساد.

ففي الإحياء لما تكلم على الإعجاب بشرف النسب: أن من خالف آباءه في أفعالهم وأقوالهم، وظن أنه يلحق بهم فقد جهل، ولا يتكل على شفاعتهم فإنه قد لا يؤذن لهم فيه،

فإنه بمنزلة من يتعاطى أكل السم اتكالا على طب أبيه، وذلك جهل وخطر لأن مِن ذلك من لا يعالج فالحزم الحذر. اهـ.

وإذا كان الأمر وهو الحلف بإيمان الفساق كذلك، وهو الحنث فيها، والاسترسال على الأزواج والحالة هذه وهي أن يلد الحانث المسترسل من غير طلاق ولا رجعة، فاعلمْ أن الأولاد إذ ذاك أولاد زنى، ومذهب أهل الحق أن ولد الزنى لا يلحق بأبيه، وإن كان فيه عند أهل الظاهر خلاف للتدافع في الخبر، ولأنه من جملة المكلفين له ما لهم وعليه ما عليهم، والحق مذهب أهل الحق كالحاتمي من أنه لا حظ له في الجنة، ذكره أي الحاتمي في كتابه مواقع النجوم، فمن أراده فليطالعه إن عثر عليه. وذكره يعني هذا القول، وهو أن ولد الزنى لا حظ له في الجنة كشفا هكذا تلقاه بالمعنى بعض المحققين من خاصة سيدنا مشافهة رضي الله عنهم وعنا بهم، وذلك أن الانهماك في المعاصي والحلف بأيْمان الفساق اتكالا على النسب يقطع الأنساب، بحيث لا يلحق من وُلد للحانث فيها المسترسل على مذهب أهل الحق به، أي بأبيه الحانث المسترسل، لكونه ولد زنى وحرام، ولا يسمى شريفا ولا ولد سيدي فلان إذا كان من ينتسب إليه شريفا أو صالحا، وذلك لأن ولد الزنى مأواه جهنم وبئس العقاب، سيما وقد كثرت الردة والوقوع في الإماء دون استبراء في

زمننا هذا في أقوال وأعمال الناس، والحلف بالأيمان اللازمة والحنث فيها، حتى لا يسلم منها إلا عالم عامل موفق غالب الأوقات والأنفاس، ولفظ بعض الخاصة المذكور في بعض مؤلفاته إثر كلامه في فضل أهل البيت:
تحذير: ربما يطلع على ما ذكرناه هنا من الفضل واحد من أهل البيت، فيتطارح نفسه في معاصي الله اتكالا على ما رآه من الفضل ويغتر به، كما شاهدناه في بعض أهل البيت، وفقني الله وإياهم، وهو متعدد غير واحد ولا يدري أهو من أهل هذا النسب أم لا، لأن الأمر مغيب ولا تظهر الحقائق إلا في الآخرة، ولكثرة الأيمان الحانثة، ولكثرة الردة في أقوال الناس وخصوصا النساء لمن انتبه إليهن، والوقوع في الإماء من غير استبراء، وهذا اليوم كثير في الأمة أهل البيت وغيرهم من جملة تضييع حقوق الشريعة، فيلد الرجل مع المرأة وهي حرام عليه كما ذكرنا، وكذلك الأمة من غير استبراء ويلحق الولد به، فمن كان على هذه الحالة السيئة فأولاده لم يلحقوا به لأنهم أولاد حرام إلا في اليمين ففيهم خلاف، المشهور عند مالك أنهم أولاد حرام لأنه من حلف بالحرام وحنث يلزمه الثلاث.
فمن علم هذا كيف يتحقق نسبه حتى يتطارح، فالخوف أحق به، لأن من خلق من نطفة حرام هي ولد زنى وولد الزنى لا حظ له في الجنة لأنه شر الثلاث. وسأل بعض المحبين

عنه أي ولد الزنى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بأنه للنار ولم يدخل الجنة إلا إذا تطهر، وتطهيره أن يتعلق بواحد من الأكابر المذكورين. هذا هو نص القائل رضي الله عنه بلفظه، وتعلقه بواحد من الأكابر إما بصحبة أو خدمة أو بشيء من وجوه الإحسان، فيشفع فيه من تعلق به عند الله ويدخل الجنة.

والأكابر المذكورون يعني الذين إذا تعلق بواحد منهم بوجه من وجوه التعلقات تطهرهم، القطب والإمامان وقاضي الديوان وهو الخليفة ومفاتح الكنوز الأربعة والأفراد الأربعة، وما أبعدها من خاصية، لأن أهلها غلب عليهم الخفاء في هذا الزمان، ولا يقع عليهم إلا من وفقه الله وهو نادر، لأن موائد الله لها أهل. فمن لا تحقيق لنسبه في نفس الأمر لا يتحقق إلا لمن شهد له صلى الله عليه وسلم وأنه ولده، كما وقع لشيخنا رضي الله عنه أو من أخبره بعض الصديقين من أولياء الله.

وكل ما ذكر من الفضل لأهل البيت في الدار الآخرة فهو لمن كان نسبه ثابتا في نفس الأمر، وأما من لم يثبت نسبه في نفس الأمر فلا حظ له من تلك المزايا المذكورة، بل هو كغيره من الناس. هذا بالنظر إلى الآخرة، وأما في الدنيا فهو من أهل البيت للحوقه لأبيه في الظاهر، فله ما لهم من الحقوق على الأمة من المحبة والمودة وعدم الإذاية والعداوة وغيرها من الحقوق. اهـ.

قلتُ: وإذا كان هذا في زمان هذا السيد رضي الله عنه الذي كان العلماء فيه متوافرون، والملوك والولاة فيه يعدلون، وأهله يعملون بالسنة المحمودة النبوية، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، فكيف بزمننا هذا الذي كسفت فيه شمس العلم واندرست أعلامه، وتفقه في الدين للدنيا والتبس الجاهل بالعالم والعالم بالجاهل إلا الفذ النادر وأضرابه، حتى صار الحلف بالحرام والأيمان فيه ديدنا عند الكبير والصغير، وخصوصا باديتنا، المشتكى إلى الله السميع البصير، عرف هذا من خالطهم وساكنهم وتحققه وعليه فلا يطمئن لنسبته المعتاد لتلك الحال (...) عليه من ولده وأصله.

ثم اعلم أيضا أن مما يتأكد في حق الناس عامة، وأهل البيت خاصة، أمورا منها الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية خصوصا الكتاب العزيز والسنة النبوية. قال العلماء أهم الأشياء لأهل هذا البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة، إذ هو الذي ورثه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما، فحقهم أن يتنافسوا فيه كل المنافسة، ويعتنوا به غاية الاعتناء، إذ أولى الناس بالإرث الأقارب، ولم يزل سلفهم الصالح رضوان الله عليهم على ذلكن ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم إلى التأدب مع المعلمين والتواضع لهم والجلوس بين أيديهم.

فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: طلبت العلم فلم أجد أكثر منه في الأنصار، فكنت آتي الرجل فأسأل عنه فيقال لي نائم، فأتوسد ردائي ثم اضطجع حتى يخرج إلى الظهر، فيقول: متى كنت ها هنا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأقول: (منذ زمن) طويل، فيقول: بئس ما صنعت هلَّا أعلمتني؟ فأقول: أردت أن تخرج إليَّ وقد قضيت حاجتك. اهـ.

وهذا الرشيد مع عظمته في خلافته كان يأتي للفضيل بن عياض إلى منزله ويسمع موعظته ويبكي، وكان يتأدب مع العلماء ويبالغ في إكرامهم وإعظامهم، حتى ربما تولى صب الماء على يد بعضهم ويقول: إنما صببت الماء على يدك لأنها كف عُنِيَتْ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال له ابن السماك يوما: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك، ثم وعظه فأبكاه.

وهذا السيد الشريف المعروف بالنفس الزكية ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم يقول: كنت أطلب العلم في دور الأنصار حتى إني لأتوسد عتبة أحدهم، فيوقظني الإنسان فيقول: إن سيدك قد خرج إلى الصلاة ما يحسبُنِي إلا عبده. اهـ.

وهذا علي بن الحسين كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس إليه يعني للأخذ عنه، فقيل له:

أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس إليه؟ فقالك العلم يتبع حيث كان، وممن كان. اهـ.

وهذا ابن عباس أيضا رضي الله عنهما رئي يأخذ بركاب أبي بن كعب فقيل: أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأخذ بركاب رجل من الأنصار؟ فقال: إنه ينبغي للحبر أن يعظم ويشرف. اهـ. بخ.

فأين الناس من هؤلاء الناس، ذهب والله الناس وبقي النسناس.

تنبيه: أذكر فيه أمورا كل من وقع في واحد منها مات كافرا والعياذ بالله:

الأولى: كثرة إذاية المسلمين.

الثانية: الكثرة من الزنى من غير توبة.

الثالثة: ادعاء الولاية بالكذب.

الرابعة: الانتصاب للمشيخة من غير إذن.

الخامسة: تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكاية قوله.

السادسة: الانهماك في الغيبة والنميمة بلا توبة.

وهذه الأمور مقطوع لصاحبها أنه يموت كافرا ولو عمل ما عمل، إن لم يتب وبقي مصرا حتى مات والعياذ بالله.

وكذا الطعن في الأنساب، والتكذيب بالولاية، وقد قالوا: غابتان لا ينبغي للعاقل أن يخوض فيهما: غابة الشرف والنسب، وغابة الولاية. اهـ.

وأطلت النفس هنا بعض الطول رجاء النفع به، وأسأل الله أن يحقق المنى والسول، وفيه كفاية.

# فصل

لا شك أن سبب الإنكارِ هو انحجاب المنكِر كسرا عن مقام المنكَر عليه. وانظر قضية الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي مع الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما في محلها، ولها نظائر، إذ من جهل شيئا عاداه.

قال القطب الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت، في مناقب الشيخ سيدي علي الخواص رضي الله عنه: وسمعته رضي الله عنه يقول: الخلق على طبقات: عامة، متصوفة، صوفية، عارفون، كاملون، مكملون، أقطاب. فكل من كان في مرتبة من هذه المراتب ينكر ما وراءها ضرورة لعدم ذوقه له، فالفقيه ينكر على المتصوف، والمتصوف على الصوفي، والصوفي ينكر على العارف، وهذا لا ينكر على أحد لمروره على المراتب كلها.

ومرادنا بالإنكار من حيث الفهم لا الإنكار من حيث الأحكام الشرعية.

قال شيخنا رضي الله عنه في جوابه لمن سأله عن شطحات الأولياء رضي الله عنهم: إن الله تعالى يفيض على كل ولي في حضرته من

الخيرات الكثيرة، والمنح الجسيمة، ما لا يعلم قدره إلا مُعطيه. وكل واحد من العارفين له حضرة خاصة به، وربما اشترك في الحضرة الواحدة جماعة لكنهم يتفاوتون فيها بحسب القسم الإلهية. فإذا عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى قد يمنح بعضهم أسرارا خاصة في الحضرة الخاصة به أو المشتركة، ويقال له هذا لم يعط لأحد قبلك، ولا يعطى لأحد بعدك، فيتكلم به ويصرح بإنه في أعلى المراتب والمقامات، ويأتي آخر وآخر، حسبما هو معلوم من شطحات الأولياء.

ثم قال رضي الله عنه مجيبا عما أورده السائل على هذا الكلام ما نصه: إن الأولياء صادقون فيما يدَّعي كل واحد منهم، لأن كل واحد يُعْطَى في حضرته ما لم يعطَ لغيره، ويسمع في حضرته الخطاب به. قيل له: كيف نصنع بمراتب أهل الديوان فإن بعضها أعلى من بعض بلا ريب، كمرتبة القطب مع غيره؟ فقال رضي الله عنه ما مضمنه: إن ذلك الذي يعْطَى للولي في حضرته الخاصة به إنما هو مزية في حقه، وهي لا تقتضي تفضيله على من هو أعلى منه، كغير القطب مثلا مع القطب.

ثم قال رضي الله عنه: وذلك كما يقع لبعض العارفين من أنه يدرك من العلوم المحمدية أكثر من القطب مع أنه لا يشم رائحة لمقامه، ولا يقدر على تجلياته؛ وكقضية سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام مع ما

ذُكِـر من أن لسـيدنا موسـى على نبينـا وعليـه الصلاة والسلام ألْفُ مجلس مع الله تعـالى في مدة حياته، كل مجلس وهبه الله تعالى فيه من العلوم ما يبهر عقول الخلق أجمعين؛ وكالقطب المكتوم مع غيره.

ثم قال رضي الله عنه: وليس مرتبة كاملـة من جميع الوجـوه إلا لسـيد الوجـود صـلى اللـه عليه وسلم.

وقـال بعض أهـل التحقيـق: واعلم أنـه لمـا كانت هذه الطريق أمرها عجيب وسرها غريب، قلما تجـد أهلهـا متفقين أو يثبت أحـدهم للآخـر قدما أو يكون لـه معظمـا. بـل تـرى الغـالب أن كل واحـد يـدعي أنـه الواصـل، وأن غـيره ليس عنده طائل. حتى قال بعضهم: إن للقطب مائة ألـف مقـام واثنـتين وأربعين ألـف درجـة، وكـل واحـد ممن سـلك مرتبـة من هـذه المـراتب أو مقاما من هذه المقامات يرى أنه لم يسلك أحد مقامه لقوة أنواره وعظيم أسراره. اهـ.

ويحكى عن سيدنا الخضـر كمـا في النزهـة للعـارف باللـه سـيدي أحمـد بن عبـد القـادر التستاوتي رضي الله عنه، أنه أي الخضر اجتمع ببعض الصـالحين فقـال لـه ذلـك الصـالح: هـل تعرف الأولياء جملة؟ فقال عليه السلام: أعرف أهل الـدائرة، وغـيرهم منهم من أعرفـه ومنهم من لا أعرفـه. فسـأله عن عـدد أهـل الـدائرة فقـال: هم واحـد، وثلاثـة، وأربعـة، وسـبعة، وعشـرة، وأربعـون، وسـبعون، وثلاثمائـة. ولـو

اطلع السبعون على الأربعين لرأوا سفك دمائهم حلالا، كما وقع لي مع موسى عليه الصلاة والسلامن فليس الشارب من الماء كالشارب من العسل المصفى، ولا الشارب من العسل كالشارب من الخمر، ولا الشارب من الخمر كالشارب من اللبن، وهو شراب أهل التمكين، ولا الساقي لهم من هذا كالساقي لهم من هذا، ولا النشوان من هذا كالنشوان من هذا. وقد تدفع هذه الكؤوس كلها بيد واحد يسقي كل وارد على حسب ما سبق له يوم ألست بربكم. اهـ.

فقول الخضر عليه السلام: منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه، يدل على أن الصالحين يعني عامة الأولياء الذين ليسوا من أهل الدائرة يعرف بعضهم لا كلهم، لأنه إذا كان الخضر عليه السلام لا يعرف كلهم فغيره أحرى والله أعلم.

وقال سيدنا رضي الله عنه كما في الجامع عنه: «إن الأولياء الذين ليسوا من أهل الدائرة كثيرون، ومع كثرتهم فهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص، فإذا مات الواحد منهم خلفه غيره في مرتبته».

قال رضي الله عنه: «ومنهم طائفة تسمى الضنائن عددهم أربعة آلاف أيضا».

قال: «وكذلك الذخائر طائفة أخرى، وعددهم أربعة آلاف أيضا».

قال: «ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الكون ولا يرونه، لأنهم غرقى في بحار الألوهية». اهـ.

وقول الخضر عليه السلام: ولو اطلع السبعون على الأربعين لرأوا سفك دمائهم حلالا، يريد أنهم لو اطلعوا على ما يتحققون به من الحق في بواطنهم لأفتوا بسفك دمائهم. وذلك لأن كل واحد منهم يطلعه الله تعالى على ما لم يُطلع عليه غيره، فيطلع هذا على ما لم يطلع عليه الآخر، ويطلع الآخر على ما لم يطلعه هو أيضا عليه بحسب ما اقتضته المشيئة الربانية والقسمة الإلهية. ومن هنا جاء إنكار بعضهم على بعض حتى ربما أفضى الأمر في ذلك الإنكار إلى التكفير. اهـ.

وقال الأبار في حاشيته على المختصر عند قوله: ولا عالم على مثله، ما نصه: ذكر صاحب كتاب المعارج أنه قد يفضي إنكار القوم بعضهم على بعض إلى أن يكفر بعضهم بعضا، وذلك من أجل أن يحكم بحاله على غيره.

وقال الغزالي في الإحياء: ولذلك تختلف أجوبتهم.

وهذا معنى قول التاج في حكمه: تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال، وواردات الأحوال ما يرد على القلوب من المعارف، فقد يكون وارد يوجب قبضا، وآخر يوجب بسطا أو هيبة أو أنسا أو رجاء أو خوفا. وانظر قضية يحيى وعيسى عليهما السلام حين

التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: كأنك آمن من مكر الله، فقال له الآخر: كأنك آيس من رحمة الله. فتنوع ما ظهر عليهما لتنوع وارد حاليهما، وكل منهما صادق بنسبته. فلهذا يجب تحسين الظن بالجميع، وأن لا يسمع كلام البعض في البعض لأجل غيرتهم على الدين لا تحاسدهم. اهـ. منه بفظه بواسطة.

وقد جرى التعبير بمثل عبارة الخضر عليه السلام في قوله: لرأوا سفك دمائهم حلالا، على ألسنة كثير من السلف والخلف. فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ملأت من النبي صلى الله عليه وسلم وعاءين يعني من العلم، أما أحدهما فها أنا أبثه لكم، وأما الآخر فلو بثثته لكم لقطع مني هذا البلعوم اهـ. ومعلوم أنه لا يقطع منه البلعوم إلا بإفتاء من لم يطلعه الله تعالى على ما اختص به من العلم الذي يتحققه في باطنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثله روي عن مولانا علي كرم الله وجهه، ومثله أيضا قول الجنيد رضي الله عنه: لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق اهـ. قال محيي الدين رضي الله عنه: وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم. قال: وهؤلاء هم حملة العلم الذين كان يقول فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يضرب بيده على صدره ويتنهد: إن ها هنا علوما لو وجدت لها حملة. اهـ.

وكثيرا ما كان يجري مثل هذه العبارة على لسان سيدنا رضي الله عنه، يعلم ذلك باستقراء كلامه في رسائله وغيرها، فليراجعها مبتغيه. اهـ.

قال بعض العارفين: الصالحون كثيرون مخالطون للعوام لصلاح الناس في دينهم ودنياهم، والنجباء في العدد أقل منهم، والنقباء في العدد أقل منهم وهم مخالطون للخواص، والأبدال في العدد أقل منهم وهم نازلون في الأمصار العظام لا يكون منهم في المصر إلا الواحد بعد الواحد، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان، والأوتاد واحد باليمن وواحد بالشام وواحد بالمغرب وواحد بالمشرق، والله تعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه، غير أنه يرى عالما كجاهل أبله كفطن تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسيرا، وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة والعارفين وسُترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة، وكشف بعضهم لبعض، وكشفت أحوال الصالحين للعموم والخصوص ليقضي الله أمرا كان مفعولا. وعدة النجباء ثلاثمائة، والنقباء أربعون، والبدلاء قيل ثلاثون وقيل أربعة عشر وقيل سبعة وهو الصحيح، والأوتاد أربعة. فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة، وإذا مات أحد من الأربعة جعل مكانه خيار السبعة،

وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جُعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين، وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين، وبهم يرفع عن عباده البلاء وينزل قطر السماء. اهـ.

وقال بعض العارفين: والقطب هو الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرافيل. ومكانه في الأولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم. اهـ.

ونص حديث ابن مسعود على نقل السيوطي في كتابه الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال: «**إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَلْقِ ثَلَاثُمِائَةٍ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَللهِ فِي الْخَلْقِ أَرْبَعُونَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ نوح (مُوسَى) عَلَيْهِ السَّلامُ، وَللهِ فِي الْخَلْقِ سَبْعَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَللهِ فِي الْخَلْقِ خَمْسَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَللهِ فِي الْخَلْقِ ثَلَاثَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَللهِ فِي الْخَلْقِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَإِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثَةِ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الْخَمْسَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ**

**الْـخَمْسَةِ أَبْـدَلَ اللـهُ مَكَانَـهُ مِنَ السَّـبْعَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ السَّـبْعَةِ أَبْـدَلَ اللـهُ مَكَانَـهُ مِنَ الأَرْبَعِينِ، وَإِذَا مَــــاتَ مِنَ الأَرْبَعِينِ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثِمِائَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثِمِائَةِ أَبْـــدَلَ اللـــهُ مَكَانَـــهُ مِنَ الْعَامَّةِ، فَبِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمْطِـــــــرُ وَيُنْبِتُ وَيَدْفَعُ الْبَلاَءُ. قيـل لعبـد اللـهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كَيْفَ يُحْيِيَ وَيُمِيتُ. قَالَ: لأَنَّهُمْ يَسْــأَلُونَ اللـــهَ تَعَــالَى إِكْثَــارَ الأُمَمِ فَيَكْثُــرُونَ، وَيَــدْعُونَ عَلَى الْـــجَبَابِرَةِ فَيُقْصَــمُونَ، وَيَسْتَسْــقُونَ فَيُسْــقَوْنَ، (وَيَسْــأَلُونَ) فَتَنْبُتُ الأَرْضُ، وَيَــدْعُونَ فَيُــدْفَعُ بِهِمْ أَنْــوَاع الْبلَاء».** أخرجــه ابن عساكر. اهـ.

إذا عـرفتَ هـذا، فـاعلمْ أن الاتسـاع الإلهي الذي لا يحتمل الحصر ولا التناهي يأبى انحصـار المواهب الاختصاصـية، والمنح الاصـطفائية في نوع من أنواع الصـفات الكماليـة، أو صـنف من أصـناف النعـوت الجلاليـة، لأن المفيض لتلـك المـواهب والعطايـا، والمخصِّـص بتلـك المنـائح والمزايا، هو المولى الجواد الكـريم، ذو الفضـل العظيم، الفاعـل المختـار، الموصـوف بكمـال الاقتدار، الـذي لا يسـأل عمـا يفعـل ويخلـق مـا يشاء ويختار.

وإذا كـــان ســـبحانه هـــو الـــواهب لتلـــك المواهب، والمانح لتلك التخصيصات والرغـائب، وكـان سـبحانه فتاحـا على الـدوام، وهابـا بلا

انقطـاع ولا انصـرام، فكيـف تنحصـر مواهبـه لأوليائـه في شــيء من الأنــواع والأجنــاس، أو تدخل منحه لخاصة أصفيائه تحت حيطة ضــابط أو قياس.

فإن أحكمت هذا الأصل وأحطت بـه علمـا، وفتح الفتاح عليك في التحقق بـه ذوقـا وفهمـا، يســهل عليــك الاطلاع على توجيــه اختلاف مذاهب الأوليـاء وعـدم تـوافقهم في الطرائـق، وينحل ما يشكل عليـك من تبـاينهم في الأذواق والحقــائق، وتعلم مــوجب الانكــار من البعض منهم على البعض، ومعاملتـه إيـاه بالحــط من قــدره والغض، فحينئــذ لا يســتفزك ظــاهر أحــوالهم، ولا يحجبــك عن الاســتمداد منهم والاقتباس من نور كمالهم، وترسخ قدمك بحول اللــه في المتابعــة لمن اتخــذت منهم إمامــك، فـألقيت إليـه قيـادك وملكتـه زمامـك، فتظفـر يمينـك بكيميـاء السـعادة، وتستنتج نتـائج النجح من مقدمات هذه الإفادة.

فإن قلت: قد يظهر منهم في بعض الأحوال ما يقتضي أنهم مخالفون لأهل الظاهر.

قلنا: إن كان المراد بأهل الظاهر الـذي هـو الجمود على أن الحديث أو الآية لا يفهم من كل واحــد إلا معـنى واحــدا وهــو الــذي فهمت ولا يتناول غيره، فإن أهل الله كلهم مخالفون لأهل الظاهر ولا يلتفتون لما هم عليـه، لأنهم سـمعوا قول مولانا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «**أُوتِيتُ جَوَامِـعَ الْكَلِمِ**»، وقـول مولانـا علي

كرم الله وجهه: لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع، وأهل هذا العلم هم أهل الظاهر حقا وأهل الباطن حقيقة لكون اتفافهم واختلافهم رحمة، وهذا سر تفرق المذاهب وكثرة اختلافها، وكل ذلك رحمة من الله حتى لا يمكن متعصب من قتل مخالف لهم أو لاحن.

وهذه الطائفة ليست من أهل الجمود، بل كيف ما تعين حكم الله في نازلة في الوقت الذي نزلت فيه إن كان من باب الرخص ارتكبوها أو العزائم فكذلك، لأنهم سمعوا «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ**».

قال الفاسي في ابتهاج القلوب ما نصه: كان الشيخ يعني الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب، ربما تصدر منه أمور تنفر منها النفوس من بادئ الرأي، ولها بالنظر إلى حقيقتها ومآلها اعتبار آخر غير ما يتبادر منها، تصير بذلك الاعتبار مما يستحسن أو يؤكد أو يباح فعله. يعتبر بذلك ويفهمه، من شرح الله صدره، ونور بصيرته، ولم تسترقه دائرة حسه، ويكل علمه إلى الله ويسلم إليه ما قصر عنه إدراكه وفهمه، إن كان ممن طابت سريرته، وسلم من داء الحسد أديمه، فلم يبادر بالانكار، ولم يتقيد بمعقوله، حيث جوز أن وراء ذلك أمر لم يحط به علما، لأن أحوالهم خارجة عن تكييف العقل، وغير مدركة بقانون العادة والنقل، وأنه لا خلوص إلى شيء من نفحات

تلك الرحمة والقرب، وتنسم شيء من رائحة الوصلة والأنس بالمحبوب، إلا بعدم التقييد بشيء من ذلك، والخروج عما هنالك، إلى ما لا تسطره بنان، ولا يستطيع النطق به لسان، إلا رمزا وإشارة لأهله، كما قيل الولي لم يفهم عنه إلا ما أشرق فيك، وهي إشارة العارف للعارف:

تشير فأدر ما تقول بطرفها=ويطرف طرفي عند ذاك فتفهموا

وأن الله تعالى خص بذلك أصفياءه كما ورد «**لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ**». وشأن المؤمن أن يطلب المعاذير لأخيه ولو جاوز السبعين عذرا، فإن لم يجد رأى العيب من نفسه، وأنه المانع له من إدراك وجه العيب، لا سيما أهل الله وأهل الديانة المنتسبين، لكن إذا أراد الله بعبد شرا أورثه الإنكار على أهل الديانات. وتقدم شيء من هذا في الفصول قبله، وأعدت الكلام فيه هنا تتميما للفائدة، وإذا كان كذلك فلا يضر ما فيه من التكرار لما هنالك، والله الفتاح العليم، الخبير الحكيم.

قال الشيخ زروق رضي الله عنه في بعض شروحه على الحكم: قلت لشيخنا الحضرمي رضي الله عنه: إنهم ينكرون على الحاتمي، فقال: والله إنه ليستحق الانكار لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو أدنى منه في السناديس.

وقال في آخر: ذكر لي أن النووي رضي الله عنه سئل عنه فقال: الكلام كلام صوفي وتلك أمة قد خلت، ومثله قول الشيخ كمال الدين بن الهمام لمن سأله عن شيء من كلام القوم: نحن بين الملأ حتى نصحح إسلامنا. اهـ.

وفي طبقات الشعراني رضي الله عنه أن أبا حنيفة سئل أيهما أفضل هل علقمة أو الأسود؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن ندركهما، فكيف أن نفاضل بينهما. اهـ.

قال اليدالي: وبحمد الله المنكرون كلهم جاهلون، إذ ليس أحد منهم أتقن علوم المكاشفات بل ولا شم لها رائحة، ولا أحد منهم ملك زمامه لأحد منهم حتى أحاط باصطلاحهم. اهـ.

إذا عُلم هذا ظهر لك أن الإنكار على شخص عارف دليل على أكمليته. قال ابن عباد رضي الله عنه: ثم لنا في الانتظام في سلك من اعترض من أهل الحق ونسب إلى الضلال والزندقة، وهم خاصة الأولياء، نعمة جزيلة لا يقدر قدرها ولا يوفي شكرها، بيد أنهم لم ينقصهم ذلك ذرة واحدة من أحوالهم المكينة، ولم ينقلب متنقِصهم إلا بالعين السخينة، ولهذا قيل كلما اتسعت دائرة المعرفة ضاقت دائرة الإنكار. قال الشعراني رضي الله عنه: وهذا مقام شريف لا يصل إليه السالك إلا بعد مجاوزة مائتي ألف حجاب وتسعمائة وتسعة وتسعين حجابا فليس هذا لكل ولي. اهـ.

وهـذه الحجب الـتي ورثهـا الأوليـاء من المرسلين قاله الشيخ الأكبر في البـاب 73 من الفتوحات، وقال إنه كلما نزل الولي مقاما منها يخلع عليه من العلوم ما لا يحصى، ولكل مـنزل ذوق خاص به لا يكون لغيره. اهـ.

وشيخنا رضـي اللـه عنـه وإن شـاركه بعض من قبلـه من الكمـل في الوصـول إلى المقـام فإنه لا يشاركه فيه من بعده، أي ولا يظهـر فيـه بالظهور الذي ظهر هو فيه، لأنـه الخـاتم الأكـبر الذي ختم الله به المقام المحمدي، أخبره بذلك رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم. وثبت عنـه رضي الله عنه إخبـاره بإخبـار من سـيد الوجـود عليـه السـلام أنـه رضـي اللـه عنـه هـو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، بمعنى أنه المنتصب للإمامـة بجميـع الأوليـاء والأقطـاب في عـالم الأرواح، وأنه الخاتم والوارث المحمـدي الجـامع ما للأولياء من الكمالات، وأنه هو الممـد لجميـع الأولياء منذ أنشأ الله العالم.

# فصل

## في ذكر شروط وردنا المحمدي، وذكر ما يسقطه من الأعذار، وحكم من فرط فيه حتى خرج وقته، وحكم من تركه تهاونا، وغير ذلك.

وهي أي الشـروط على قسـمين: شـروط صحة، وشروط كمال.

-أما شـروط الصـحة: فهي طهـارة الحـدث والخبث، وتـرك الكثـير من الكلام، وعـدم الاجتماع مع ورد.

-وأما شروط الكمال: فهي استقبال القبلة، والمحافظـة على الصـلوات في أوقاتهـا في الجماعـات إلا لضـرورة في هـذا كلـه، وأن لا ينقص الركوع عن قدر ما يقال فيه سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثـا، والسجود عن مقـدار مـا يقـال فيـه سـبحان ربي الأعلى وبحمـده ثلاثـا، والحائض لا يمنعها الحيض من الورد وعليها مـا قدرت عليه من شروطه.

وصاحبه لا يزور المشايخ بقصد التعلق بهم، ويعظم الأوليـاء كلا، ويعظم أهـل الـورد كلا، وأوراد شـيخه تكفيـه في أغراضـه الدينيـة والدنيوية.

ومن عنده ورد لا يلقنه المقدم حتى يتركـه وينسلخ عنه، فيلقنه إذ ذاك من له الإذن الخاص من الشـيخ ولـو بواسـطة أو وسـائط، مـع الشروط المشـروطة فيـه، ولا خـوف عليـه من شـيخه أيـا كـان من الأوليـاء الأحيـاء والأمـوات، وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة لا من شيخه يعني الذي رفض ورده وأخذ وردنا، ولا من غيره.

ومن تأهل للتقـديم فلـه أن يقـدم من كـان أهلا له أي للتقديم، في إعطاء الورد لمن طلبه.

وله أن يقدم عشرة تحته لا أزيد إن احتاج لهم لبعد المسافة أو لعذر وذلك بحسب السند وما أجيز فيه.

ومن أذن له المقدم كمن أذن له الشيخ، ومن أخذه عن المقدم فكمن أخذه عن الشيخ، وله من الفضل والمرتبة ما لمن أخذه عن الشيخ، وللمقدم من الحرمة ما للشيخ، وسيأتي إن شاء الله ما يشترط في الملقن فتحا وكسرا.

وأما ما يسقطه من الأعذار فكالمرض والسفر. أما المرض فصاحبه مخير بين الإتيان بالورد وعدمه، وأما السفر فلا يسقط به إلا الوظيفة على اختلاف الإجازات، والذي درج عليه صاحب المنية رحمه الله تبعا للخليفة فيما ألحقه في الجواهر، وهو صريح في لزوم قضائها كالورد، وإن كان بعض الأصحاب يخفف في أمرها، ويعلِّل ذلك بأن التأكيد في قضائها إنما هو للترغيب في تحصيل فضلها.

وأما حكم من تركه كسلا أو طرحا:

أما من فرط، فإن كان لمرض فلا قضاء عليه ويكتب له أجره، وإلا فعليه القضاء، والورد والوظيفة في هذا سواء، إلا أن الأمر في الوظيفة أخف كما تقدم آنفا.

وأما من تركه كسلا من غير رفض للورد والطريقة، فإن ذلك لا يخرجه عن دائرة أهل الورد، وإن كان رفضا للورد فإن جاء تائبا نادما أعطيه وإلا فلا.

هذا حكم المضيع غير المتهاون.

وأما من تركه تركا كليا أو متهاونا بـه، فإنـه تحـل بـه عقوبـة ويأتيـه الهلاك، وتصـب عليـه مصائب الـدنيا والآخـرة، ولا يقـدر لـه أحـد على شيء، هكذا ذكره الشيخ رضي الله عنه مخـبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**تنبيه:** اعلم أن مبنى طريق التصـوف على طلب الكمـال، ولـذلك تـراهم يحـافظون على المندوب حـتى كأنـه واجب، ويـتركون المكـروه حـتى كأنـه حـرام. ومن ثم ضـل من لا يعـرف مبنى طـريقهم في أخـذهم بـالأحوط والكمـال، فيرون أن ذلك تشـديد في الـدين وحـرج، ومن هنـا سـقط بعض المعترضـين على شـيخنا في اشـتراط مـا قـدمناه من أن مبـنى الطريـق أي طريق التصوف على الكمال، ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَـا لَمْ يُحِيطُـوا بِعِلْمِـهِ**﴾، ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَـدُوا بِـهِ فَسَيَقُولُونَ هَـذَا إِفْـكٌ قَـدِيمٌ**﴾، ومن جهـل شيئا عاداه.

إذا عرفت هذا، فاعلمْ أن لما ذكـره الشـيخ رضي الله عنه من الشروط في وردنا وجها.

أما الطهارة: ففي الحـديث أنـه صـلى اللـه عليه وسلم تيمم لرد السلام، وفيه أنه توضأ لـه واعتذر إلى المسلم عليه وقال: «**إِنِّي كَـرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ عَلَى غَيْرِ طَهَـارَةٍ**»، رواه أبـو داود.

وأما استقبال القبلة: فهو أن الـذاكر ينـاجي ربه فينبغي لـه أن يكـون منتصـبا إلى بيت اللـه

وحرمه، ففي الحديث: **«خَيْرُ الْــمَجَالِسِ مَـا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ»**.

وأما تـرك الكلام: فهـو أن الـذاكر إذا توجـه لأداء ورده كأنه قـادم على اللـه تعـالى يخاطبـه ويناجيـه ويحاضـره، فقـبيح قطـع ذلـك لعـارض، اللهم إلا أن يكون واجبا أو كالواجب.

وأما المحافظة على الجماعة: فإنها متكفلة بالعصـمة من جميـع المهلكـات، ولـلـه سـبحانه بالمداوم عليها عناية عظيمة، فكم يجبر لـه من كسر، وكم يستـر لـه من عـورة، وكم يعفـو لـه عن زلــة، وفي الخـــبر: « **صَــلَاةُ الْجَمَاعَــةِ أَفْضَـلُ مِنْ صَـلَاةِ أَحَـدِكُمْ وَحْـدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْــرِينَ دَرَجَــةً»**، وفي لفــظ: **«بِسَــبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**.

وأمــا مــا ذكــره في الركـــوع والســـجود: فمستندنا في التحديد ما في ســنن أبي داود أن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: **«إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ ثَلَاثَ مَـرَّاتٍ: سُـبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُـبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»** أي كـذلك، وفي روايــة: **«وَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ وَذَلِكَ أَدْنَاهُ»**. انظر شـرح سـيدي محمد الفاسي على عدة الحصن الحصين.

وقال في شـرح التهـذيب بعـدما سـاق هـذا الحــديث: قــال ابن حــبيب يريــد أن ذلــك أدنى التخفيف الذي ينبغي في الركوع.

وفيه أيضا: قال ابن رشد: قوله يعني مالكـا لا أعرفه، يعـني التسـبيح في الركـوع، معنـاه لا

أعرفه من واجبات الصلاة، وكذلك قوله إنه لا يراه من حد السجود الذي لا يجزئ دونه لا أنه يرى أن تركه أحسن من فعله، لأن التسبيح من السنن التي يستحب العمل بها. ولا ينافي هذا الذي أمر به الشيخ أصحابه عدم تحديد مالك في المكث، فإن هذا نقوله نحن في اللبث للطمأنينة والزائد عليها، ولا تحصل هي وما زيد عليها غالبا بأقل من قدر ثلاث تسبيحات، ولا نقول ببطلان الصلاة لمن تركه بعد حصول الطمأنينة، بل هو من باب الكمال والأخذ بالأحوط في الدين، ولم يزل السلف رضوان الله عليهم يأخذون بالأحوط في الدين، ويشددون على أنفسهم في العمل على الخروج من الخلاف ما أمكن طلبا لصحة العبادة على جميع المذاهب. والحامل للشيخ رضي الله عنه على الإيصاء بذلك نصح الأمة كما في وصاياه، فانظرها. وذلك لما رآه من كثرة نقر الديكة والغراب في صلاة الناس في هذا الزمان، بحيث لا تحصل طمأنينة وأحرى ما يزيد عليها، كما هو مشاهد. سيما والصلاة مكيال فمن استوفى استوفي له، ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين، قال عليه السلام: «**شَرُّ النَّاسِ سَرِقَةً مَنْ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ**» كما قال ابن مسعود، وقال يزيد الرقاشي: وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم موزونة، وهذا لا ينافي التخفيف المطلوب لما في حديث أنس رضي الله عنه أنه لما صلى

خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب، قال: وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا، قاله الغزالي في الإحياء.

وقال ابن عباد مجيبا لمن قال إن صلاة الأبدال كانت خفيفة موجزة، كما في رسائله الكبرى ما نصه: وما ذكرتموه عن سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه أن صلاته كانت موجزة في تمام، فهو صحيح وهو من الرأي الحسن، إذ بوجازتها تسلم من الآفات ومجاذبة الخواطر، وبتمامها يكون فيها أهلية التقرب إلى الرب القادر. وكون صلاة الأبدال خفيفة لا أدري هل هو لما ذكرناه أو لا على أن الثقل والخفة أمور نسبية، فرب صلاة خفيفة بالنسبة إلى ما هو أثقل منها وإن كان فيها طول، والناس يغلطون في هذا فإذا سمعوا أن تخفيف الصلاة مطلوب في الشرع نقروها نقر الديك، ولم يعبؤوا بإتمام ركوعها ولا سجودها ولا مراعاة شروطها. فالأولى أن يرجع في تقدير الخفة والثقل إلى ما ثبت في الشرع، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في آخر عمره صلاة المغرب بسورة والطور، وأظن هذا الحديث في الصحيح، مع أن صلاة المغرب من أقصر الصلوات قراءة.

فإذا عملنا على هذه النسبة كانت الصلاة التي نصليها اليوم المغرب أو غيرها خفيفة جدا.

وقد أسند الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن إبراهيم التيمي: كان أبي وهو يزيد بن شريك، قد ترك الصلاة معنا، قال: إنكم تخففون الصلاة، قلت: فأين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّ فِيكُمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»؟ قال: قد سمعت عبد الله بن مسعود يقول مثل هذا ثم صلى أضعاف ما تصلون. فانظروا في هذا، ويمكن أن يتلمح من أحوال السلف في الزمان المتقدم ما ذكرناه هنا. اهـ. المراد من كلام ابن عباد، فلينظر تمامه مبتغيه في شرح النصيحة لابن زكري رحمه الله.

وقال ابن أبي جمرة في شرحه للأحاديث التي انتقاها من صحيح البخاري ما نصه: لا نفهم التخفيف حتى نذكر شيئا من عادتهم المنقولة عنهم في طول صلاتهم، لأن الله تعالى قد أثنى على المصلين في صلاتهم في كتابه حيث يقول: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ والقنوت في الصلاة لغة هو طول القيام فيها، وما تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم إلا بطول القيام. قال: وقد رأيت وسمعت عن بعض من ينتسب في الوقت إلى العلم ويقتدى به وهو لا يكمل الواجب من بعض أركان صلاته، فإنا لله وإنا إليه راجعون على تضييع العلم وحقيقته والعمل به. اهـ. بخ.

وفي الإحياء: إن العبد ليسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى، ولو قسمت

ذنوبه في سجدته على أهل مدينة لهلكوا، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يكون ساجدا عند الله تعالى وقلبه مصغ إلى هوى، ومشاهد لباطل قد استولى عليه. اهـ.

ومن وصية لسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه: فإن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. اهـ.

وقد نص المحققون على أن سائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة. اهـ.

فالمحافظة عليها آكد وأهم، والواقع من الناس اليوم خلافه، جبر الله حالنا جميعا. وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر: إن الرجل ليشيب في الإسلام وما أكمل لله صلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله تعالى فيها. اهـ ذكره في العوارف.

ونقل عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال: وقد رأيت من لا يحافظ عليها آلافا لا أحصيها، فأما من يحفظها فلا أعد منهم خمسة.

وكان سيدنا الشيخ رضي الله عنه يشترط المحافظة عليها على المريد عند الأخذ عنه قبل كل شيء، وكذلك جميع نوابه رضي الله عنه وعنهم. انظر إجازاته لخاصته تقف على ما يقضي بتقديم هذا اللازم على كل لازم من لوازم الطريق. وقد ألم بما في هذا الفصل أي إلمام، ابن بابا العلامة الهمام، في منيته، تغمده

اللــه برحمتــه. فلينظــره فيهــا من أراد شــفاء الغليل، وسلوك سواء السبيل.

## فصل

في إقامـة الحجـة والـدليل والبرهـان، على من زعم جهلا وعنادا أن شيخنا رضي اللـه عنـه قـال بتفضـيل الـذكر على القـرآن، وذلـك إفـك وبهتــان وزور، بشــهادة مراجعــة كلامــه في نصائحه ونصوص أرباب القلوب والصدور.

قــال حجــة الإســلام كمــا في شــرح عــدة الحصن الحصين للعلامة المتبحر سـيدي محمـد بن شيخ الإسلام أبي محمد سـيدي عبـد القـادر الفاسي رضي الله عنهم ما نصه: قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا للـذاهب إلى اللـه تعـالى في جميــع أحــوال بدايتــه، وفي بعض أحــوال نهايته، فإن القرآن هـو المشـتمل على صـنوف المعـارف، فمـا دام العبـد مفتقـرا إلى تهـذيب الأخلاق وتفصيل المعارف فمداومة الذكر أولى، فـإن القـرآن يجـاذب خـاطره ويسـرح بـه في رياض الجنة، والمريد الذاهب إلى الله تعـالى لا ينبغي لــه أن يلتفت إلى الجنــة ورياضــها، بــل يجعل همه هما واحدا حتى يدرك درجـة الفنـاء. اهـ.

وقال الإمام الساحلي في بغية السالك بعد كلام ما نصه: فالكلام في المفاضلة بين حركة اللسان بالتلاوة، وحركته باسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، أو نحو ذلك، يكون على الجملة والتفصيل:

* أما على الجملة، فتلاوة القرآن أفضل لاشتماله على الأسماء والصفات والمواعظ والقصص والأخبار والأحكام.

* وأما على التفصيل، فالناس باعتبار ذلك على قسمين: عامة وخاصة:

أما العامة فثلاثة أصناف:

-صنف قائم على تلاوته قاصدا ما وعده الله به من الأجر في ذلك، فهذا ثابت الأجر.

-وصنف قائم على تلاوته تعلما مجهدا نفسه، فهذا له الأجر الأول ، وزيادة أجر تعبه.

-وصنف قائم على تلاوته ، ترتيلا وتدبرا، ليجني ثمار معارفه فيعمل بها ويعلمها غيره. فهذا أفضل من الأول والثاني، وكلهم له أجر حركة اللسان.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم الذين يعاملون الله تعالى ابتغاء أجره وثوابه.

وأما الخاصة فهم على قسمين: أهل بداية وأهل نهاية.

-أما أهل البداية، وهم الذين أخذوا في تخليص أنفسهم من عللها مجاهدة على سبيل الرياضة، فالأولى بهم دوران أقرب الوسائل على ألسنتهم مداومة بالتكرار، فيؤمرون

بالمداومة على ما يذهب الأهم فالأهم من علل النفس نطقا باللسان وتدبرا لمعناه بالفكر.

فتأمر صاحب علة الأمن مثلا بالاستغفار، فلا يزال يردده حتى يقوم ما تضمنه من الخوف بالنفس، وتلاوة القرآن لا توصل إلى هذا المعنى المراد، فإن الآية تجري على اللسان والفكر يتدبر معناها فلا تلمح النفس ذلك المعنى إلا واللسان قد جاوز إلى آية أخرى لها معنى آخر، فينتقل الفكر لتدبر ما انتقل إليه اللسان ذاهلا عن معنى الآية الأولى، فلا تلمح النفس معنى الآية الثانية إلا ومعنى الأولى قد غاب عنها، ثم كذلك في الآية الثالثة والرابعة وإن بقي في النفس من ذلك أثر ، (فإنما هو) أثر علمي لا ذوقي.

ولو أمرنا صاحب علة الأمن بالإدمان على التلاوة فمر على آية تقتضي الخوف، فما هو إلا أن صرف لها وجه الفكر لتدبر معناها ليرسخ في النفس، وإذا باللسان قد انتقل إلى آية أخرى ربما اقتضت الرجاء، فينتقل الفكر معه إلى تدبر معنى (ما انتقل إليه اللسان، ثم كذلك. فمتى يحصل معنى) الخوف في النفس قائما راسخا فيها، فينفي عنها نقيضه مع اختلاف الآيات واختلاف معانيها، فلا يزال ينتقل من نوع إلى نوع، والمعاني تخطر على النفس خطورا لا يحصل له مع ذلك الاتصاف بها، ولا يتأتى رسوخ ذلك فيها. فلذلك كان الذكر الواحد أولى، ونعني بالأولوية هنا أن يكون الذكر

الخاص بذهاب علته هو الغالب عليه في أكثر أوقاته، مع بقاء حظه من التلاوة وطلب العلم مع الإمكان.

-وأما أهل النهاية فلهم حالان: حال تمكين وحال نهاية. أما أهل النهاية فجميع وسائل الذكر عندهم سواء في استثمار ثمرة التوحيد.

وأما أهل التمكين فلهم حالان: حال استغراق، وحال صحو.

أما حال الاستغراق فالمداومة على ما يقتضي استصحاب استغراقهم أولى لهم لشرف أحوال الاستغراق.

وأما حال الصحو فجميع وسائل الذكر عندهم سواء لما حصلوا عليه من رسوخ في معنى التوحيد، وما نالوه من طهارة وزكاء واطمئنان. اهـ. بخ.

قال سيدي محمد بن سيدي محمد الصغير رحمه الله في جيشه: وهذه الأولوية التي ذكر هذا السيد في حق السَّالك الآخذ في تخليص نفسه بالذكر، هي عين المراد بما ذكره شيخنا رضي الله عنه في كلامه المتقدم من فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلخ. ألا تراه ذكر في آخر كلامه أن ذلك للخواص دون غيرهم، فما هو جواب الساحلي هو جوابنا لتوارد الكلامين على معنى واحد، والله أعلم.

وهذا التفصيل الذي ذكره الساحلي، ذكر الشيخ رضي الله عنه ما يقاربه، قال في جواهره ما ملخصه:

أَمَّا تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرٌ أوْضحُ من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله، شهدتْ بذلك الآثار الصحيحة.

وتفضيله من حيثيتين: الحيثية الأولى كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام. والحيثية الثانية ما دلَّ عليه من العلوم والمعارف، ومحاسن الآداب، وطرق الهدى، ومكارم الأخلاق، والأحكام الإلهية، والأوصاف العليَّة، التي لا يتصفُ بها إلا الربانيون. فهو في هذه المرتبة أيضا لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور.

ثُمَّ إن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلا عارف بالله، قد انكشفت له بحار الحقائق، فهو أبدا يسبح في لججها. فصاحبُ هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار لكونه يسمعه من الذات المقدسة في حال استغراقه وفنائه.

المرتبة الثانية دون هذه، وهي معرفة معاني القرآن ظاهرا، وإلقاء السَّمع عند تلاوته كأنه يسمعُهُ من الله يقصُّه عليه ويتلوه مع وفائه بالحدود. فهذا أيضا لاحقٌ في الفضيلة بالمرتبة الأولى، إلا أنه دونه.

المرتبة الثالثة رجلٌ لا يعلم شيئا من معانيه، ولا ماذا تدل عليه حروفه من العلوم

والمعـارف، إلا أنـه يعتقـد أنـه كلامُ اللـه ويلقي سمعَهُ عند تلاوة القرآن. وهذا لاحقٌ في الفضل بالمرتبتين إلا أنه منحط عنهما بكثير، بشرط أن يكـون مُهتـديا موفيـا بالحـدود والواجبـات، غـير مخل بشيءٍ منها.

المرتبة الرابعة رجُل يتلوهُ يعلم معانيه أو لا يعلمُها، إلا أنه متجرئ على معصـية اللـه تعـالى غير متوقـفٍ عن شـيء منهـا، فهـذا كلمـا ازداد تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك. ومثل هــذا الصَّلاة على النَّبي صلى الله عليه وسـلم أسْـلم له وأنجى له من القرآن، لأنه يزدادُ بالتلاوة لعنـا وطردًا. يشهَد لذلك قوله تعــالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَــاتِ رَبِّهِ فَــأَعْرَضَ عَنْهَــا وَنَسِيَ مَـا قَـدَّمَتْ يَـدَاهُ**﴾ إلى قولـه: ﴿**فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾، وقولـه تعـالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُـلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ إلى قولــه: ﴿**وَلَــهُمْ عَــذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ وقولـه تعـالى: ﴿**لَسْتُمْ عَلَى شَـيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾.

وكـل من يحفـظ القـرآن ولم يقم بحـدوده فقـد اتخـذه هـزوا، قـال تعـالى: ﴿**وَلَا تَتَّخِـذُوا آيَــاتِ اللَّهِ هُــزُوًا**﴾، وقــال تعــالى: ﴿**وَمَنْ أَعْـرَضَ عَنْ ذِكْـرِي**﴾ إلى قولــه: ﴿**وَكَـذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾.

فمن تــرك العمــل بــالقرآن فقــد نسِــيَهُ، والوعيـد ثـابت عليـه. وتلاوة القـرآن مـع عـدم العمـل بـه هـو المثـل الـذي ضـربه اللـه لأهـل التوراة، فقـال سـبحانه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُـوا**

**التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** أي لم يعملوا بما فيها، وقال تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ** وحق تلاوته هو العمل بما فيه، ومن أعرض عنه بعدم العمل بما فيه فما تلاه حق تلاوته.

وَأَمَّا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى قد تكفَّلَ لصاحبها بأن يُصلي عليه بكل صلاة صلاها عليه عشرا عشرا، ويُصلي عليه جميع العوالم في كورة العالم عشرا. والسرُّ في ذلك أن الله تعالى عظيم المحبة والعناية برسوله، فمن توجَّه إليه بالصلاة على حبيبه اعتنى به وأحبَّه لأجل تحبُّبه بحبيبه، فلو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها لأدخلها في فضله، وواجهه بتبليغ أمله في الدارين.

فَإِذَا عرفتَ هذه الحيثية، عرفتَ أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمثل أهل هذا الوقت أسْلم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتَها فقط، لا أنها أرفعُ درجة من القرآن. فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى، لكن لمن صفتْ أعماله وأحواله مع الله تعالى، فتاليه إذًا من أعظم الفائزين برضى الله تعالى. ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا، فإنه يقعُ بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تُدركه العقول، فإن لله تعالى غيرة على كتابه لكونه حضرة القُرْب والتداني، فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طردَهُ ومقته، لكونه لم يُعْطِ الحضرة حقَّها.

فإذا عرفتَ هـذا عـرفت النسـبة بينـه وبين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. اهـ.

هــذا ملخص كلامــه، وحاصــله أن نســبة الفضل باعتبار حال الـذاكرين لا باعتبـار الـذكر، وهـو مقتضـى كلام الغـزالي والسـاحلي أيضـا، وذلك لا يُنـافي أفضـلية القـرآن على غـيره من جميع الأذكار، بل نصَّ كل واحد منهم على ذلـك صريحا، ولهذا قيَّد الشيخ رضي الله عنه تفضيل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسـلم بقولـه «من هـذه الحيثيـة فقـط»، يعـني من حيث أن التـالي لـه مـع قلـة الأدب والعصـيان ممقـوت، والمصلي عليه صـلى اللـه عليـه وسـلم يُصـلي الله تعالى عليه بكـل صـلاة عشـرا كيـف كـان، والصـلاة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مقبولــة قطعــا أو ظنــا على خلاف، وهــذا لا يقتضي أنه فضَّل الصلاة على النبي صـلى اللـه عليه وسلم على القـرآن. كيـف وقـد رفـع ذلـك الإيهام بقوله رضي الله عنه «لا أنَّها أرفعُ درجة من القرآن، فإن القرآن هـو أفضـل الـدرجات» إلخ كلامه المتقدم.

ومما يبين صحة كلامه رضي اللـه عنـه، مـا عُلِم من قواعـد الشـرع ونصوصـه أن العمـل المفضول قد يكون فاضلا، والفاضـل قـد يكـون مفضولا باعتبار الأشخاص والأزمان.

قَالَ الأجهوري في حاشيته على الرسالة ما نصـه: وَقَـدْ سـئل صـلى اللـه عليـه وسـلم عن أفضـل الأعمـال، فقـال: «**الصَّـلَاةُ فِي أَوَّلِ**

**وَقْتِهَـــا»**، وقـــال في حـــديث آخـــر: «**بِـــرُّ الوَالِــدَيْنِ**»، وقـــال في آخـــر: «**الْـــجِهَادُ**»، وظاهرها التعارض.

وأجيب بوجهين:

أحدهما: أن ذلك باعتبـار الأشـخاص، وكـان طبيبـا للخلـق صـلى اللـه عليـه وسـلم. فـرُبَّ شخص كان الغالب عليه عدم البر فقال له «**بِرُّ الوَالِـدَيْنِ**»، ورُبَّ شـخص كـان الغـالب عليـه ترك المحافظة على الصلاة، فقال له «**الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا**»، ورُبَّ شـخص كـان الغـالب عليه ترك الجهاد فقال له «**الْـجِهَادُ**».

ثانيهما: أن ذلـك يختلـف بـاختلاف الأزمـان. فرُبَّ عبادة في زمان أفضل من غيرها، وغيرها أفضل في زمان آخر. ذكره الشاذلي في شــرح العقيدة. اهـ.

قُلْتُ: أي سـيدي محمـد بن محمـد الصـغير المتقدم الذكر: ومعلـوم أن الشـيخ رضـي اللـه عنـه قـد اعتـبر في هـذه الأفضـلية الأشـخاص والأزمـــان. وأن الأفضـــلية جاريـــة بين عملين، وهما: حركة اللسان بـالقرآن، وحركتـه بالصـلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أيضا عند العلماء أن المفضول قد يختص بمزيـة لم ينلهـا الفاضـل، وذلـك لا يقتضـي أنـه أفضـل منه.

قال في جنة المريد بعد كلام مـا نصـه: قـد وردت في أعمال خاصة وعـود بـأجور لم يـرتب مثلهـا على غيرهـا، بـل قـد ورد تخصـيص بعض

الأعمال المفضولة بنوع من الأجر لم يحصل على العمل الفاضل. مثاله حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **«ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَالعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ مَوَالِيهِ؛ وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»**.

وكان في الصحابة جماعة آمنوا بأنبيائهم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، مع أن غيرهم من الصحابة أفضل منهم، اختص هؤلاء بأن لهم أجرين، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين، وكذلك العبد المملوك، وكما ورد في أجر الشهيد من الحياة بعد الموت. فثبت أن الدرجات تتفاوت تارة بحسب الأعمال، وتارة بحسب رتب الأعمال، وتارة بخصوصية عمل خاص. اهـ. المراد من كلامه.

قلتُ: أي قال هو أيضا: ومن هذا القبيل ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم **«أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً أَكْثَرُكُمْ أَزْوَاجًا فِي الْجَنَّةِ»**، وقال صلى الله عليه وسلم **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»**، ومنه أيضا ما ذكر العلماء رحمهم الله أن ثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقصور على فاعلها، لا يؤخذ في الديون والتباعات يوم القيامة، إلى

غير ذلك مما لم يرد في القرآن مـع أنـه أفضـل الأذكار.

ومن ذلـك مـا ورد من فـرار الشـيطان من عمر، ولم يكن لأبي بكر رضي الله عنه مـع أنـه أفضل منـه رضـي اللـه عنهمـا. ولهـذا قـالوا إن الكرامة لا تقتضـي التفضـيل، كمـا قـال الجنيـد رضي الله عنه: مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش من هو أفضل منهم. ونحـو هـذا لا يكاد ينحصر، فتأمله فإن كثـيرا من النـاس إذا سمع فضلا لعمـل أو كرامـة لشـخص اغـتر بهـا فاعتقد أفضليته.

وبهذا يتضح لك وجه تفضـيل الشـيخ رضـي الله عنه استعمال الصلاة على النبي صلى اللـه عليه وسلم لمثل أهل هذا الوقت، مع أنه رضي اللــه عنــه أوضــحه غايــة الإيضــاح للمنصــف المتأمل، ولا عبرة باستثقال نفس الجاهـل كلام العارف الكامل.

فـإن قلتَ: مـا ذكـره رضـي اللـه عنـه من المقت لمثـل أهـل هـذا الـوقت بتلاوة القـرآن يقتضـي أن يهجـروا تلاوتـه، ويشـتغلوا بالصـلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

قلتُ: ليس هذا مراد الشيخ حاشاه، بل هـو رضـي اللـه عنـه حضَّ قارئـه على التـأدُّب مـع الملــك الجليــل في تلاوة كلامــه، وأن يُعْطى الحضرة حقها، ولعلمـه رضـي اللـه عنـه بعجـز أهـل هـذا الـوقت عن ذلـك، حَضَّـهم أيضـا على

الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم شفقة عليهم.

ويشهد لذلك ما قاله في جواهر المعاني: ومن كلامه رضي الله عنه قوله: وأيضا فتلاوة القرآن مطلوبة شرعا لما فيه من أسرار المعاملة، ولهذا لا يحل لقارئه ترك تلاوته. وأما فضل هذه الصلاة فمن باب (التخيير)، ولا شيء على من تركها. ونظير ذلك ما ذكره العلماء من آفات العلم وسطروه في كتبهم، أتراهم قصدوا بذلك تنفير الناس عن العلم؟ حاشاهم من ذلك، كيف وقد حثوا على طلبه غاية الحث، ورغبوا فيه غاية الترغيب، بل إنما قصدوا بذلك تعريف الطلبة بالآفات ليتحرزوا منها، ويأخذوا حذرهم، فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، مع ما في ضمن ذلك من إرشادهم إلى تصحيح النية والإخلاص فيه.

فإن قلت: ما وجه المخرج الحسن لملتمسه في قول الشيخ المتقدم «صلاة الفاتح إلخ تعدل ستة آلاف من القرآن»؟.

قلت والله الموفق: له عندي في توجيهه مأخذان:

المأخذ الأول: أن ذلك باعتبار السلوك لأهل البدايات في سلوكهم بالصلاة أو بالقرآن. وقد علمتَ ما تقدم عن الساحلي والغزالي من أن الذكر أسرع تأثيرا في تهذيب الأخلاق، وحينئذ فيُمكن أن يُراد أن المرة الواحدة من هذه الصلاة للسالك المنجمع خاطره فيها،

المستحضر لمعانيها، المشخِّص لصورته صلى الله عليه وسلم مع نية الاستمداد منها تؤثر في أخلاقه ما لا يؤثر ذلك العدد من القرآن مع تشتيت الفكر. وليس في ذلك ما يقتضي أفضلية رأسًا، لأن المفضول قد يختص بما لم ينله الفاضل، والله أعلم.

المأخذ الثاني: أن ذلك باعتبار الثواب المرتب عليهما باعتبار صاحب المرتبة الرابعة المذكورة في كلام الشيخ المتقدم، ويكون المراد والله أعلم أن مرة واحدة من الصلاة وهي مقطوع بقبولها يحصل بها من الأجر ما لا يحصل بذلك العدد من القرآن، مع سوء الأدب المتعرض صاحبه للمقت، لا سيما وقد ذكر الهاروشي رحمه الله في شرح كنز الأسرار أن صلاة الفاتح تعدل ستمائة ألف صلاة. فانظره، واقدر قدر ما ينال المصلي بكل صلاة من صلاة الله تعالى عشرا عشرا.

لعمْري لقد نبَّهت من كان نائما = وأسمعْتُ من كانت له أُذُنَانِ

اهـ. بخ. بنقل صاحب الجيش رحمه الله، وفيه للصادق الكفاية، وللحسود الجهول المتحامل النكاية.

## فصل

في نصح من تساهل من بعض المقدَّمين، جهلا بالشروط المشروطة فيه عند شيخنا رضي الله عنه ونوابه ذوي الرسوخ والتمكين، واغترارا بظاهر لفظ بعض الإجازات، واعتمادا على فهمه دون مشافهة أولي التحقيق ومجاراتهم كل المجاراة، وخصوصا هذه البوادي، عصمنا الله إلى يوم التنادي، حتى إنهم يتسامحون في الإذن لمن ليس له أهل في تلقين الأوراد، دون مراعاة الأهلية فيه وظهور الشواهد الحالية عليه والقرائن التي تفيد الظن فضلا عن العلم المراد، على أن له شروطا لا بد من وجودها فيه، بحيث لو لم تتوفر أو بعضها فيه لا يصلح للتقديم ولا ينخرط في سلط ذويه، وهي كثيرة جدا لكن اقتصروا على المؤكد منها المعين أبدا.

وغير تقي يأمر الناس بالتقى=طبيب يداوي الناس وهو عليلُ

فيا حسرتا على الوكور لقد خلت=وساكنها *العقبان* من عدم الصقر

لقد هزلت حتى بدا من هُزالها=كلاها وحتى سامها كل ذي فقر

لقد أسمعت لو ناديت حيا=ولكن لا حياة لمن أنادي

وقد أوضح ذلك كل الإيضاح، العارف بالله من لاحت عليه الأسرار الإلهية، والعلوم المحمدية، وأقر له بالتفرد بها الطالح والصالح، سيدي محمد العربي بن سيدي سائح، وأفصح

عنه كل الإفصاح، في كتابه بغية المستفيد، لشرح منية المريد، رضي الله عنه ومتع ببقائه الأنام، بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ونص كلامه شرحا لقول صاحب المنية رحمه الله:

يعطيه من قدمه الشيخ ولا= يقدّم الغير سوى من حَصلا

ذاك له من شيخه ويجري=ذا في المقدم ممر الدَّهر

وليس يخلو الدهر من مُقدم=مُلقن أوراد هذا العلَم

ثم إن الإذن في التقديم أي في تلقين الورد، تشترط فيه الأهلية على السنن المعروف والنهج المألوف. فليس الإذن عندنا في تلقين الورد جاريا على نهج الإذن في ذكره فقط، كما يفهمه من لا علم عنده، فإن الإذن في ذكر الورد لا يشترط فيه عندنا إلا عرض الشروط المشروطة فيه على مريد الدخول في الطريق، وتقريرها له حتى يتعقلها، فإذا قبلها أذن له في الورد أيا كان من المسلمين ذكرا أو أنثى كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا طائعا أو عاصيا، من غير توقف في شيء ولا نظر إلى شيء، إلا إلى ما ذكر من قبوله الشروط فقط.

وأما الإذن في تلقينه فتشترط فيه مراعاة الأهلية، فلا يؤذن في ذلك إلا لمن ظهر عليه من الشواهد الحالية ما يفيد غلبة الظن في تأهيله لذلك.

وقد صرَّح سيدنا رضي الله عنه بهذا، فيما وقفنا عليه من الإجازات بخط يده المباركة، وهو من المتفق عليه بين جميع أئمة الطريق قديمًا وحديثًا.

واستأنسوا رضي الله عنهم فيما استندوا إليه فيه بنحو قوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى**﴾ الآية، وبنحو قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ الآية، ونحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ** اتَّبَعَنِي﴾ وغير ذلك. فاتباع الحق، وترك اتباع الهوى، والدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى بصيرة، هو معنى الأهلية المشروطة عند أهل الطريق.

قال: والناظم رحمه الله أي بابا ناظم المنية، إنما ترجم هذا الفصل بقوله: «صفة المقدم يعطيه إلخ»، قصدا منه إلى التنبيه على أن الأهلية في التقديم لا بد من مراعاتها، لكنه لضيق النظم اكتفى باشتراطه حصول الإذن الصحيح من الآذن للمأذون له يعني في التلقين، لأن التلقين لازم الأهلية وفرع عنها، فلا يوجد إلا حيث توجد الأهلية، ولا ينشأ إلا عنها، ولا ينبني إلا عليها. فهو أي التلقين، بلا هي أي الأهلية، في حيز المستحيل الوجود بالنسبة

للمتعارف عند أهل الطريق، المتفق عليه فيما بينهم في القديم والحديث.

ومعنى الأهلية عندنا تقريبا مَعْرفة ما لا بدَّ منه مما يتعلق بالورد كأركانه التي لا يقوم إلا منها، ومعرفة وقته الاختياري والضروري، ومعرفة شروطه التي لا يصح إلا معها، وكذا الكمالية منها أيضا. ولا أقل من معرفة شروط الصحة، ثم معرفة ما يُبطله وما يدخله من النقص والخلل، وما ينجبر به ذلك، ثم ما يلزم مريد الدخول في الطريق عند إرادة الدخول وبعده، ثم معرفة الأذكار اللازمة بلزوم الورد الأصلي، وما لها من الأوقات، وما يُقضى منها كالورد وما لا يقضى إذا فات وقته.

فبمعرفة هذه الأمور يصح رجوع إخوانه إليه فيما يشكل عليهم، أو يعرض لهم في أمر طريقهم.

ثم بعد هذا، معرفة ما يراد بالدخول في طرق المشايخ، وفي أي شيء، ولأي شيء يُصحبون، وأن النفع في صحبتهم مقصور على شهود أمرين:

الأول: (أن يعلم) أن الشيخ المراد صحبته والدخول في طريقه ولي لله تعالى، فيصحبه ويدخل في طريقه لتجذبه موالاته لموالاة الله.

والأمر الثاني: أن يعلم أنه من عبيد الحضرة الإلهية، وأنه عارف من طريق التعريف الإلهي مكاشفة ومنازلة بما للحضرة من الآداب، فيصحبه ليدله على ذلك.

ومن صحب المشايخ ودخل في طرقهم لغير هذين الأمرين، فقد خسر الدنيا والآخرة، قاله سيدنا رضي الله عنه.

فهذا أقل ما يراعى فيمن يراد للتقديم من العلم والمعرفة لما هو بصدده، زيادة على معرفة أحكام الطهارة استبراء ووضوءا وغسلا وتيمما، وكذا معرفة ما لا تصح الصلاة إلا به.

ومن نقص عن هذا القدر في العلم لا يصلح للتقديم، لأنه لم يحصل على حقيقة ما هو بصدد أن ينقله لغيره كمية وكيفية ووقتا، وغير ذلك مما يتعلق بالورد، ولأنه لم يعرف المراد والمقصود من هذا الأمر الذي يريد أن يدخل غيره إليه ويدله عليه، وربما دله على غير المراد، وسلك به في مقصده غير طريق السداد، بل ربما أوقعه في مهواة الطرد والبعاد.

وقد شوهد في بعض من ينتحل طريق الإرشاد والدلالة على الله تعالى من غير معرفة بل ولا حق ولا حقيقة، ما هو مباين صورة ومعنى غاية المباينة لمناهج الشريعة والطريقة. وذلك أنه يقول لمن يريد استمالته إليه وإلى حزبه: إن من أخذ عنا، وانحاش إلى جنابنا، يدرك الكلمة الرئاسية في الأمور المخزنية، كفلان وفلان، ويذكر له بعض من اتفق له شيء من ذلك. فيتعاون عليه هو وشيطانه وهواه، فيضله عن طريق الهدى وهو يظن أنه انخرط في سلك أهل الله، وهذه والعياذ بالله من

أعظم الفتن الموعود بها في آخر الزمن، ولهذا حذروا من صحبة المتصوفة الجاهلين.

وإذا عرفت القدر الذي هو أقل ما يراعى في حصول الأهلية للتقديم من جهة العلم، فينبغي أن تعرف أنه لا بد في حصول ذلك من أن يكون من يراد لذلك بعد تحصيله للقدر المذكور من العلم ذا ديانة وعقل وحلم وأمانة ورفع همة عن الخلق ثقة بالملك الحق. ومن نقص في شيء من هذه المذكورة، وكان محصلا للقدر المذكور من العلم ولم يوجد غيره ممن هو أكمل منه، اعتمد فيما معه من العلم والمعرفة بحسب ذلك.

فأصل أركان الأهلية وأساسها هو تحصيل القدر المذكور من العلم بما تقدم، وباقي الأركان تدور على مركز مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة بقدر الإستطاعة، وميزان ذلك كله هو رفع الهمة عن التشوف لما في أيدي إخوانه من العرض الفاني، وعن تكليفهم بما فيه حظ له كيفما كان. وإنما كان هذا الأخير ميزانا لما عداه من أركان الأهلية ليزن به الموفق حال نفسه، فكلما وجد فيها رائحة من الطمع في رفق يأتيه من قبل إخوانه الذين يلقنهم عرف أنه ليس بأهل لذلك ولا مرادا، فيكون اشتغاله بالإقبال على إصلاح أمر نفسه أهم الأشياء إليه، فلا يقبل التقدم على أحد، وأحرى أن لا يتعرض له بطلب أو استجلاب شيء، فإن فعل فقد

أخسر الميزان، والعياذ بالله تعالى من أسباب الخسران.

قال بعض العارفين: رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء، وقبيح بالفقراء أن ينزلوا حاجاتهم بغير مولاهم، ويبذلوا أنفسهم لأرباب الدنيا بالسعي إليهم وكثرة الوقوف على أبوابهم، موافقين لهم على مآربهم، تراهم يتزينون كما تتزين العروس، معتنين بإصلاح ظواهرهم، غافلين عن إصلاح سرائرهم، لقد كان حق أحدهم لو صدق في فقره أن يسمى عبد الكبير، فخرج عن هذه الإضافة فصار يضاف لعدم صدقه إلى الذليل الحقير، أولئك هم الكاذبون على الله، الصادون العباد عن محبة أولياء الله. اهـ. من تذكرة المحبين للرصاع رحمه الله بواسطة.

وقال ابن عطاء الله: رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسيما أهل التحقيق، وقال بعضهم:

الله يعلم أنني ذو همة=تأبى الدنية عفة وتظرفا

لم لا أصون عن الورى ديباجتي=وأريهم عز الملوك وأشرفا

أأريهم أني الفقير إليهم=وجميعهم لا يستطيع تصرفا

أم كيف أسأل رزقه من غيره=هذا لعمري إن فعلت هو الجفا

شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله=عجز
أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي إحسانه=عم البرية
منة وتلطفا

وقد جمع سيدنا رضي الله عنه في بعض وصاياه معظم هذه الأركان، فقال رضي الله عنه: وأُوصي من كان مقدمًا على إعطاء الورد، أن يعفو للإخوان عن الزلل، وأن يبسط رداء عفوه عن كل خلل، وأن يجتنبَ ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا، وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي إزالة كل ما يوجب بغضا في قلوب بعضهم لبعض، وإن اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها، وليكن سعيه في ذلك طلبا لمرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك، وأن ينهى من يراه يسعى بالنميمة بينهم، وأن يزجره برفق وكلام لين. وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير، والبعد عن التنفير والتعسير، في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه، من حقوق الله وحقوق الإخوان، ويراعي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم، وأن لا يلتفت لما في أيديهم، معتقدا أن الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع، وليجعل همته في تحرير دنياهم من التشتيت والتبذير، وأن لا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير، إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب، فإن عقول

الناس حول هذا المطاف تدور، وعلى هذا المقدار تجري بهم جميع الأمور». اهـ.

وهذه الوصية من سيدنا رضي الله عنه كافية في الإشارة إلى الأهلية المشروطة في هذا الباب، كما أنها كفيلة بجمع معظم ما يطلب من المقدم التمسك به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب. وذلك لأن العفو عن الزلل والصفح عن الخلل هو أعظم ما ترسخ به المودة في القلوب، ويستنزل به أرواح الرضا من خزائن الغيوب.

ومن لطيف آدابهم السنية، الجارية على مناهج السنة المحمدية، أن المقدم إذا رأى من بعض إخوانه مكروها، أو علم من حاله اعوجاجا، أو أحس منه بدعوى، أو رأى أنه داخله عجب، أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على رؤوس الأصحاب كأنه غير قاصد لمعين، يشير إلى ذلك المكروه على وجه الاستطراد في الكلام، ويكشف عن وجه المذمة فيه كشفا بينا لكن على جهة الإجمال حتى لا يتفطن أحد لمقصوده بحال. ولا شك أن الفائدة تحصل بذلك للجماعة عموما ولذلك المعني خصوصا، وهذا أقرب إلى المداراة وأكثر تأثيرًا لتأليف القلوب، وفيه غاية التلطف في الأخذ بالعفو والستر.

وبالجملة فوجوه الأخذ بالعفو كثيرة، وكلها محمودة مرغب فيه، لكن أحسنها ما ضم إليه الإرشاد إلى الأصلح والأحسن من غير شعور

من المعني بذلك، بالعفو ولا بالإرشاد ولا بغير ذلك. ورووا في الإكثار من العفو حديثا عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال: «**كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**». اهـ.

وأما اجتناب المقدم لما يوجب في قلوب إخوانه ضغينة أو شينا أو حقدا، فهو أيضا من وجوه أهليته، فيستحق التقدم على غيره بحسب زيادته في ذلك عليه، ويكون الاجتناب لما ذكر بالتحلي بالأخلاق الحميدة، وهي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من التواضع والحلم والصبر والإيثار والتكرم ونحوها، وهي مبسوطة مشروحة معانيها في شروح الحديث.

وجماع ذلك كله في إنصافهم من نفسه، وترك الانتصاف منهم، وذلك بأن يرى لهم عليه من الحقوق ما لا يقدر على القيام بنزر النزر منه، ولا يرى لنفسه عليهم حقا في شيء مما قل أو كثر، كحال الوالد الشفيق مع أولاده الصغار، فيتعطف عليهم، ويقضي حوائجهم في حال الصحة والمرض، ولا يترك شيئا من حقهم اعتمادا على ما يعلمه ظاهرا من صحة إرادتهم وكمال صدقهم، قال بعضهم: لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة.

ومن الحكايات في تعطف الأكابر على غيرهم وقيامهم بحقهم وعدم رؤيتهم لأنفسهم حقا عليهم، ما ذكر أن الجريري رحمه الله

تعالى قال: قدمت من الحج فابتدأت بالجنيد، فأتيته وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى، ثم أتيت منزلي. فلما صليت الغداة التفتُّ فإذا الجنيد رضي الله عنه خلفي، فقلت: يا سيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكي لا تتعنى إلى ها هنا، فقال لي: يا أبا محمد هذا حقك وذلك فضلك. اهـ. فانظر كيف رأى الإمام الجنيد رضي الله عنه لصاحبه الحق عليه، ولم ير لنفسه على صاحبه حقا، فجعل ابتداءه بالتسليم عليه من فضله. والكلام في هذا الباب طويل، والحكايات فيه كثيرة، وفي هذا القدر كفاية لما قصدنا إيراده هنا على وجه التمثيل.

وقول سيدنا رضي الله عنه: «وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم» إلخ، فهو أيضا من آكد آداب المقدم مع إخوانه، فيراعي فيه ما يدل على ذلك، وهو مما أفصح به القرآن العظيم ورغبت فيه السنة الطاهرة، قال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾، وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: وَمَا هُو؟ قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**».

وقوله رضي الله عنه: «وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير» إلخ، فهو أيضا من وظيف المقدم مع إخوانه، فيطلب منه النزول إلى حالهم من الرفق بهم وبسطهم. قال بعضهم: إذا رأيت الفقير القه بالرفق ولا تلقه بالعلم،

فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه. فإذا فعل الداعي إلى الله تعالى، المرشد إلى طريق معرفته، مع الفقير بهذا الخلق الذي هو الرفق فإنه يتدرج بذلك إلى الانتفاع بالعلم، فيعامل حينئذ بصريح العلم. ويطلب منه أيضا النزول إلى إخوانه عن حقه فيما يجب له من التبجيل والتعظيم، فيستعمل التواضع معهم، فلا يثبت لنفسه قدرا ولا مزية عليهم.

ومما حكي في هذا الباب، أن الأستاذ أبا علي الدقاق رضي الله عنه دخل على جماعة من الفقراء بمصر وهم جلوس بالمسجد، فقام إلى أسطوانة، فقالوا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه، فلما فرغ جاء إليهم مبادرا وسلم عليهم، فقالوا: كنا أولى بهذا منك يا سيدي، فقال رضي الله عنه: ما عذب قلبي بهذا قط، يعني ما تقيدت بأن أحترم وأقصد قط. وهذا كله ما لم يخرج فيه إلى حد المداهنة بأن يتجاوز فيه حد المداراة، وإلا صار فتنة على التابع والمتبوع والعياذ بالله.

ولا بد من إقامة ميزان الاعتدال فيما ذكر من التنزل والانبساط للإخوان لأنه إنما وضع للحاجة، والشيء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدرها من غير إفراط ولا تفريط. هذا والناس في هذا الميدان باعتبار ما يتجلى لقلوبهم من آثار الجلال والجمال، فلا كلام مع واحد من الفريقين فيما اقتضاه حاله في ذلك، ويحمل كل على ما اعتيد منه وغلب عليه.

وروي عن بعضهم قال: كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين، وكان يقوله ويمزح عنده ويمازحنا فيما نحن عليه، وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك، وكنا نخرج من عند الحسن ونحن نكاد نبكي.

وبالجملة، فلا يقف على حد الاعتدال في هذا الانبساط إلا من قهر نفسه، وكان عالما بأخلاقها وطبائعها، سائسًا لها بوفور العلم، حتى يقف على حد الاعتدال فيه. قالوا: ولا يصلح النزول والانبساط بالمداعبة للإخوان لمن لم يرتق في باطنه عن حالهم في الصفاء ورسوخ القدم في الإقبال على الله تعالى، بأن صارت العزيمة غالب أوقاته، لئلا تجره ممازجه طبعه لطبعهم إلى الإخلاد إلى الرخصة، وعدم التشوف لطلب الحق.

وبسط القول في مقدار (هذا) وتحقيقه يطول، وقد أشرنا إلى محل الحاجة لمن يفهم ذلك، والله الموفق.

وعلى هذا القانون يجري الحكم أيضا فيما تقدم أنه يطلبُ من المقدم من النزول عما يجب له من التبجيل والتواضع، فلا يخرج في ذلك النزول أيضا عن حد التواضع المحمود، بأن يتجاوزه إلى حد الضعة المذمومة.

والكشف عن حقيقة التواضع، أنه رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة، فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره، والضعة وضع الإنسان نفسه مكانا يزرى به، وكل منهما مذموم، والتواضع

مرتبة بين مرتبتين، وحقيقته أن يرضى الإنسان بمنزلة دوين ما يستحقه. قالوا: ولو أمن المـرء جماح النفس لأوقفها عن حـد مـا تستحقه من غير زيادة ولا نقصان، ولكن لما كـانت مجبولـة على الجمـوح احتـاجت إلى التـداوي بإيقافهـا دوين ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر.

فالتواضـع والضـعة مشـتبهان بالصـورة، متباينان بالحقيقة، ولذلك يلتبسـان، كمـا يلتبس الكـبر المـذموم بـالعزة المحمـودة، لاتحادهمـا بالصورة وتباينهما بالحقيقة أيضـا. فـالكبر جهـل الإنسان بنفسه وإنزالهـا فـوق منزلتهـا، والعـزة معرفة الإنسان بحقيقـة نفسـه وبمـا خلقت لـه وإكرامها أن يضعها لحظ دنيوي خسـيس سـريع الزوال، وهي من سـمات المؤمـنين الموقـنين، قـال اللـه تعـالى ﴿**وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾. وذكـروا عن الحسـن البصـري رضي الله عنه أن العزة كانت وصفه، فقال لـه بعض النـاس يومـا: مـا أعظمـك في نفسـك، فقال: لست بعظيم ولكني عزيز.

ولما كانت العزة محمودة وبينها وبين الكبر المذموم مشاكلة قـال تعـالى: ﴿**يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾، قـالوا فيـه إشـارة إلى إثبات العزة بالحق والوقوف على حـد التواضـع من غير انحراف إلى الضعة. اهـ.

ثم مـا يوجـد من كلام الأئمـة في التواضـع مما يلحقـه بحـد الضـعة وهـو كثـير، قصـدوا بـه

رضي الله عنهم المبالغة في تنفيرالمريد والأخذ بحجزه عن الوقوع في الكبر لا غير، والحــق إن شاء الله تعالى ما تقرر من المــيزان في ذلــك، والله أعلم.

وقول سـيدنا رضـي اللـه عنـه: «وعليـه أن يتباعـد عن تغـريم دنيـاهم»، قـد تقـدم آنفـا أن مـيزان طريـق الإرشـاد والـدعوة إلى اللـه هـو الاستغناء عما في أيدي المدعوين، وهـذا أعظم الأركـان عنـدهم. فـالواجب التـنزه عن الطمـع فيما في أيديهم بحيث يعد التشوف إلى ذلك إن ابتلي به في باطنه، بلية عظيمة وعقوبة معجلة من الله تعالى. فيلجأ إلى الله ويتضرع إليـه في رفعهـا عنـه، ويجتهـد في صـرف ذلـك عنـه بمجاهدة نفسه وتذكيرها بمـا أشـار إليـه سـيدنا رضـي اللـه عنـه بقولـه: «مُعتقـدا أن اللـه هـو المعطي والمانع» إلخ. فإن غلبته نفسـه وخـرج إلى حـد السـؤال لـذلك منهم، فليعلم أنـه قـد أخسر الميزان، وطغى فيه غاية الطغيـان، وهـو النــاجي إن ســلم لــه رأس مالــه ولم يعــاقب بالحرمــان، لأنــه خــرج إلى التلبس بالــدعاوى الكاذبة، ومعلوم ما هو الجزاء على ذلك والعيـاذ بالله تعالى.

وكان سيدنا رضي الله عنه أومـأ في قولـه: «فإن عقول الناس حـول هـذا المطـاف تـدور» إلخ، إلى مـا قالـه قتـادة في قولـه تعـالى ﴿**وَلَا يَسْـــأَلْكُمْ أَمْـــوَالَكُمْ، إِن يَسْـــأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا**﴾ الآية، أعلمنا الله تعالى في

هذه الآية أن في خروج المال إخراج الأضغان، وهذا تأديب من الله الكريم جل وعلا، والأدب أدب الله تعالى.

وقول سيدنا رضي الله عنه: «إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب»، يحقق ما أشرنا إليه من أن المذموم هو التشوف والطمع، فإن انتهى الحال إلى السؤال أعني سؤال المقدم من إخوانه، فقد أفضى إلى بلاء عظيم وفتنة كبيرة في الدين، نسأل الله العافية من كل بلية بمنه وكرمه.

فقام من هذا ميزان قويم، وقسطاس مستقيم، فيما يجريه الله تعالى من الإرفاق للإخوان على أيدي بعضهم لبعض، فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله، من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال، فهو لا بأس به شريعة وطريقة، وذلك لأن الهدية مباحة في الجملة، بل هي محسوبة في الفقه من وجوه الحلال. فإن عرض عارض في المعطي أو في وجه الإعطاء، فالآخذ أعرف بما يأتي وما يذر. وهذا بالنسبة لمطلق الإخوان وبحسب أحوال العامة منهم، وأما أهل التمكين فأحوالهم في الأخذ مختلفة تبعا لما اقتضته الواردات والتحفظ عن الآفات، وهي في الأخذ والترك كما قاله الأستاذ السري السقطي رضي الله عنه للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ.

والحاصل أن كل من عرف بصحة العلم والعمل ومتانة الديانة فأمره موكول إلى دينه ولا سبيل للانتقاد عليه، قاله العلامة اليوسي رضي الله عنه.

ومثل الحكم فيما سمحت به نفوس الإخوان لإخوانهم كالمقدم ومن في معناه من غير طلب، الحكم فيما إذا اضطر المقدم ونحوه فله الأخذ من مال إخوانه ولو بالتعرض لذلك، ويتصرف فيه بحكم الصدقة على الوجه الذي أبيح له من أجله بقدره في وقت الاحتياج لا غير.

ثم إن هذا أيضا في غير المشايخ الكاملين، وأما هم رضي الله عنهم فهم بحكم ما يرد عليهم من الله تعالى في ذلك، فقد يظهر لهم قبول الرفق من المريد لصلاح يتراءى لهم في ذلك من الله تعالى لذلك المريد، فيكون أخذهم لماله والارتفاق بخدمته مثلا لمصلحة تعود عليه منهم، مأمونة الغائلة من جانبهم. وقد يظهر للواحد منهم أن يقبل من بعض المريدين خروجه عن جميع ماله، وذلك إذا علم أن خروجه عنه يكسبه حالا لا يتطلع معها إلى مال ولا غيره، ويكون في ذلك مقتفيا لأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبوله من الصديق الأكبر رضي الله عنه جميع ماله؛ وقد يظهر له قبول البعض منه دون البعض؛ وقد يظهر له عدم القبول في الكل معاملة منه لكل

بما فيه صلاحه، لأنهم أساة النفوس وأطباء القلوب رضي الله عنهم.

وهذا إنما ذكرناه تتميما لتقرير هذه المسألة حتى لا يرد علينا ما اتفق لكمل المشايخ رضي الله عنهم، وإلا فالمدار فيما نحن بصدده على ما ذكر سيدنا رضي الله عنه في وصيته السابقة آنفا، فوقوفنا عنده لازم. ألهمنا الله رشدنا، ووفقنا لما فيه رضاه، بمنه وكرمه آمين.

وقول الناظم: «وليس يخلو الدهر من مقدم»، إلخ، أراد به الناظم رحمه الله دفع ما قد يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة بوفاة الشيخ رضي الله عنه، أو بتطاول العهد، والرد على من يقول إن الشيخ الميت لا تنفع صحبته لانقطاع مدده بموته كما قيل بذلك، ويريد أن يسحب الحكم بذلك على شيخنا أيضا رضي الله عنه. وقد تقدم أن هذه الطريقة المحمدية لا يزال مددها جاريا مدى الدهور والأعصار، على أيدي من يصله الإذن الصحيح فيها في سائر البلاد والأقطار، بضمان النبي المختار. وتقدم أي للشارح أن من المقدمين من يكون في مرتبة التربية والترقية بحصول الإذن له في ذلك من الله تعالى في سره من طريق الإلهام المعروف عند أهل هذا الشأن، أو من حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو على يد بعض أهل الفتح الأكبر من الإخوان الكبار. إلا أن أهل هذا الطريق لا يتظاهرون

بالتصدي للتربية والانتصاب للمشيخة، أدبا مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع سيدنا الشيخ رضي الله عنه، ولذلك جرى اصطلاحهم في غالب البلاد على تسمية المرشد مقدما فقط، وفي بعض البلاد الجنوبية وصحارى المغرب الأقصى تلقيب من تأهل للتربية منهم بالشيخ، ومن دونه بالمقدم، جريا على اصطلاح الأقدمين من أهل الطريق المشهورة بالمغرب. ولا مشاحة في الاصطلاح بعد معرفة موقع الإشارات منه، فافهم والله تعالى أعلم. اهـ. بخ. وتغيير من البغية على المنية.

قلتُ: وطريقتنا هذه المحمدية الأحمدية الإبراهيمية مبنية على الجد والتحقيق، مؤسسة على الكتاب والسنة والاحتياط والتدقيق، خالية من الرخص واتباع الهوى، والتساهل الموقع في الطرد والمقت والبلوى، ولهذا قل ما تجد من جل المقدمين ومن قلدهم من العامة عند الامتحان متقنا عالما بما يجب عليه فيها، متحريا عاملا بمقتضى ذلك فصرفوا ولم يشعروا وذلك عين الخذلان والخسران، وقل أيضا ما تجد من يعرف منهم ما تجب عليه معرفته عينا في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام واجبا ومستحيلا وممكنا، ولو على طريق الأئمة الأربعة وغيرهم كابن أبي زيد والغزالي وابن عباد من المحققين لا

على طريق غـيرهم من المناطقـة والمتكلمين، قال في المرشد:

أول واجب على من كلفا=ممكنـا من نظـر أن يعرفا

الله والرسل بالصـفات=ممـا عليهـا نصـب الآيات

إلى أن قال:

يجب للـه الوجـود والقـدم=كـذا البقـاء و الغنى المطلق عم

وخلقـه لخلقـه بلا مثـال=ووحـدة الـذات ووصف والفعال

وقدرة إرادة علم حياة=سمع كلام بصر ذي واجبات

ويسـتحيل ضـد هـذه الصـفات=العـدم الحدوث ذا للحادثات

كذا الفنا والافتقار عـده=و أن يماثـل ونفي الوحدة

عجز كراهـة وجهـل ومـمـات=وصـمم وبكم عمى صمات

يجـوز في حقـه فعـل الممكنـات=بأسـرها وتركها في العدمات

إلى أن قال:

يجب للرسل الكرام الصدق=أمانـة تبليغهم يحق

محـال الكـذب والمنهي=كعـدم التبليـغ يـا ذكي

يجـوز في حقهم كـل عـرض=ليس مؤديـا لنقص كالمرض

وإذا أحطت بهذا علما، وأمعنت فيـه النظـر وحققته فهما، ظهر لك أن غالبَ مقدمي زماننـا هذا سـامحنا اللـه وإيـاهم، وعافانـا من الطامـة الكـبرى الـتي أصـابتهم، لا يصـلح للتقليـد في تلقين الأوراد، ولا يصح الأخـذ عنـه ولا التمسـك بـه والاعتمـاد، لخلـوه من شـروطه أو بعضـها وجهله بالمقصود في ذلك المقام، وكذا الواجب عليه كالمعتقـدات الواجبـة معرفتهـا كمـا تقـدم عينا على كل مكلف من الأنـام، والتنـافس فيـه أي في التقديم غاية التنافس، والمزاحمة عليـه طلبا للشـهرة بـه والرياسـة والـترأس، والتمـيز بالرأي واللبسة والمنطـق والهيئـة عن الأتـراب والأقـران، والتغـاير عليـه تغـاير النسـاء على الرجال في الأصقاع والبلدان، حـتى إن أحـدهم إذا سـمع بقـوم يتحـدثون بـالانخراط في سـلك الطريـق، والأخـذ عمن بـإزائهم من المقـدمين وهو أولى بـذلك وأدرى منـه بـه على التحقيـق، بادر ولو بشد الرحـال إلى تلقين من ذكـر قبـل الطلب منهم والسـؤال، فيلقنهم ويقـدم عليهم وقتئذ من لا قدم له في أمـر الطريـق ولا يقبـل بحال، وقصده التفرد كما تقدم وجمـع الحطـام، الذي هـو من العوائـق العظـام، بـل إن بعضـهم كما شاهدناه يبذل فيه الـدين، ويـداهن فيـه من يتعاطاه كل حين، ويتكالب عليه تكالب الضرائر على الرجال، ويتكلف بما لا عهد له بـه ولا علم

من المقال، ويتشبه ظاهرا بأهل ذلك الميدان، وقلوبهم مشحونة بالرعونات والأدران، قد تحكمت منها الأمراض القاطعة، واستحكمت بها فأعمت منهم الأبصار والبصيرة، وبعضهم يضرب على خطوط النقاد الأعلام، ويسرق عباراتهم ويراسل بها تلبيسا على من اشتهر بالإذن الخاص والعام، ملتمسا منه ما هو من أصله وحقيقته بمراحل، مع أن ما يدلي به ليس هو في نفس الأمر تحت طائل، وهب أنه قد ينسب تلك العبارات لنفسه، مع أنها لا تخفى لركاكتها على من تأمل ذلك بقلبه، ولا شك أن من شروط الملقن الأمانة وإطلاع الآذن له على حاله والمجاورة زيادة على ما تقدم، لأن الورد حكمة من الحكم وسر من الأسرار، لا يتحمله إلا من كان أهلا له من الأبرار، ففي الخبر: «**لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ**»، وأيضا فإن أحوال الناس قد تخفى ولا يطلع عليها إلا الله تعالى أو من أطلعه عليها من خاصته الفضلاء، وأيضا فإن الشهادة هنا كالشهادة في التعديل، لا بد من مراعاة ما يراعى فيها من التفصيل، وإذا كان كذلك فتقدم على ذات السماع، من غير تردد ولا نزاع، والمريد الجاهل يقنع بتلبيسهم دون فحص فيأخذ عنهم إذ ذاك فيكون مغرورا فاقدا للإدراك، وأيضا فمن كان دأبه الخيانة في الأمانة والأسرار، كيف يليق أن يؤمن ويقلد وهو

من الخونة الأشرار، ومن غير رسم الطريق والقانون كيف يكون إماما وقد تخلق بإساءة الظنون، ومن ليس له بحمل أعباء الورد الذي هو سر من الأسرار يدان، كيف يقدم على تلقينه مر الأزمان، ومن يتهاون بالحضرة ويسيء الأدب مع الله ورسوله وشيخه، كيف يأمن من مكر الله ومقته وسخطه، وأيضا فإن وجود العدد ممن يزعم التأهيل في القرية الواحدة، دليل على خسر الميزان والتلاعب والتساهل في الطريقة، وليست والله هذه سيرة السلف الصالح وخلفهم الذين سلكوا سبيلهم الواضح، بيد أنه قد لا يلفى في البلاد الجنوبية كما وقفت عليه في إجازاتهم وبلغنا عن الثقات في الأقليم الواحد كشنجيط ووادان إلا المقدم الواحد أو الإثنان من العلماء المخلصين الأثبات، ولم يزالوا على هذا الأمر والشأن من لدن شيخنا رضي الله عنه إلى الآن، ولهذا بفضل الله يظهر في تلك الأقاليم والجهات على من أخذ عنهم الفتح والوصول، خلاف هذه النواحي والأصقاع التي عدل فيها من تصدى للتلقين عن نهج الاستقامة والهدى أي عدول. ولعمري إن الإذن قد رفع عنهم بذلك الهجوم وهم لا يشعرون، وكذا عمَّن قلدهم فالحذر الحذر أيها الجاهلون، وعليه فجيب التجديد على الفريقين دون مرية ولا مين، **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**، **فَمَنْ**

**يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** فاقد الإلهام، وشر العمى عمى القلب كما في الخبر المأثور، على أنهم باختلاقهم وابتداعهم وقعوا في المحظور، المفضي بهم إلى المهيع المحذور، وبرفعهم وتبجيلهم بعض الإخوان ممن فيه رائحة نسب أو قرابة أو رياسة، وخفضهم وإهانتهم من ليس كذلك من أهل الخمول منهم ومتانة الديانة، يُعلم أنهم خرجوا عن سنن الطريق المشهور، الذي عليه من الجهابذة المدار والعبور.

وقد ضمنت بعض أحوال من غيَّر أصول الورد والطريق، وسلك غير صراط التحقيق، منظومتنا العينية المشتملة على أربعمائة بيت واثنين وأربعين بيتا من عامة القراء والمتفقرة وغير ذلك من الفوائد المفيدة، جعل الله ما أودعناها وغيرها كهذه الرسالة من التقاييد، من العمل المقبول الذي لا ينقطع نفعه وأجره على التأبيد، بجاه سيدنا محمد المصطفى المجتبى المقتفى، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار.

قال في أدب السلوك: إياك يا أخي ثم إياك والاجتماع بهذه الطوائف الذين تظاهروا بطريق القوم مع الجهل بقواعد الشريعة المطهرة وأحكامها، والرفض لأصول الطريق وأركانها وآدابها، واشتغلوا بمطالعة كتب توحيد القوم الخاص من غير معرفة مرادهم فضلوا وأضلوا،

وغاب عنهم أن مطالعتها لا تجوز إلا لعالم كاملٍ أو من سلك طريق القوم على يد شيخ عارف ناصح، وأما من لم يكن واحدا من هذين الرجلين فلا يجوز له مطالعتها خوفا عليه من إدخال الشبهة التي لا يكاد الفطن يخرج منها فضلا عن غير الفطن. اهـ.

قال حجة الإسلام رضي الله عنه: متصوفة أهل هذا الزمان، يعني زمانه، إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة، من السماع والرقص، والطهارة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر، وتنفس الصعداء وخفض الصوت بالحديث، إلى غير ذلك، فظنوا أنهم منهم ولم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من منازل المتصوفة، ولو فرغوا من جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية، كيف ولم يحوموا قط حولها، بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال العمال، ويتنافسون في الفلس والرغيف والحبة، ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض.

إلى أن قال: ومنهم طائفة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال، ولا تعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ تتلقفها وتظن أن ذلك علم أعلى من علوم الأولين والآخرين، فهي تنظر إلى الفقهاء

والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء، حتى إن الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما، ويتلقف منهم هذه الكلمات ويرددها كأنه يتكلم على الوحي ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد (إنهم) أجراء متعبون، وفي العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين.

وأصناف اغترار المتشبهين بالصوفية لا تحصى، وأنواعها لا تُستقصى، ومن الله الاستعانة وبه الاستعاذة. اهـ.

وقال شيخ الإسلام السهروردي رحمه الله، في تأليف له في آداب الصوفية ما نصه: وقد كثر في زمننا المتشبهون بهذه الطائفة والمتلبسون بلبستهم، وقد لوثوا المذهب، وصفهم بعض المشايخ فقال: نقضوا أركان التصوف، وهدموا أساسها بأسام أحدثوها، سموا الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصا، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبا، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع إلى الدنيا وصولا، وسوء الخلق صولة، والبخل مكيدة، والسؤال عملا، وبذاذة اللسان ملامتة، وما كان هذا طريق القوم ولا بد من الميز بين منتحلهم ومتحيلهم، وقد قال الجنيد رضي الله عنه: لولا العلامات لادعى كل واحد سلوك الطريقة، قال

تعالى: ﴿**فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مات فلان من أهل الصفة فترك دينارين ودرهمين، فقال: «**كَيَّتَانِ، صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»، وقد صح أن في الصحابة من خلف مالا جما ولم ينكر عليه، وإنما أنكر ها هنا لأنه خالف معناه دعواه، كمن صلى محدثا أو قرأ القرآن جنبا فقد استحق المقت. قال: وقوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، أراد التشبه بسيرتهم لا بلبستهم، لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**مَنْ تَهَيَّأَ لِلنَّاسِ بِقَوْلِهِ وَلِبَاسِهِ وَخَالَفَ ذَلِكَ أَعْمَالَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». اهـ.

وأخرج العقيلي في الضعفاء، والديلمي في مسند الفردوس «**أَبْغَضُ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ مَنْ كَانَ ثَوْبَاهُ خَيْرًا مِنْ عَمَلِهِ أَنْ تَكُونَ ثِيَابُهُ ثِيَابَ الْأَنْبِيَاءِ وَعَمَلُهُ عَمَلَ الْجَبَّارِينَ**».

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين المجموعة للصوفية، والديملي في مسند الفردوس مرفوعا: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَرَى النَّاسُ أَنَّ فِيهِ خَيْرًا وَلَا خَيْرَ فِيهِ**».

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس أيضا عن ابن عباس مرفوعا: «**إِنَّ الْأَرْضَ لَتَعِجُّ**

**إِلَى اللهِ تَعَالَى تَشْكُو مِنَ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ رِيَاءً**». اهـ.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعا: «**مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا وَلَا يَطْلُبُهَا لُعِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ**». اهـ. ولذا قال الحسن: لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أولى من أن تطلب بأخسر ما تطلب به الآخرة.

وأخرج الطبراني أيضا مرفوعا: «**مَنْ رَاءَى بِاللهِ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ اللهِ**»، وقد ورد في الحديث: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ كَسَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ ذُلٍّ وَصَغَارٍ ثُمَّ أَشْعَلَهُ عَلَيْهِ نَارًا**»، نقله في المدخل.

وأخرج الضياء: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى يَضَعَهُ مَتَى وَضَعَهُ**»، وقد قال مالك رحمه الله فيمن لبس ثوب شهرة: إنه أشد من المطرق بالمطرقة. اهـ. وذلك لأن المطرق معلوم التحريم بخلاف المرقعات أي وما أشبهها فقد يظن بعض الناس جوازها.

وقال أبو حامد رحمه الله: فاحذر مخالطة متفقهة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدل منهم، فإنهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون، ويتغامزون وراءك بالعيون، ويحصون عليك عثراتك ولا يقيلون لك عثرة ولا يسترون لك

عـــورة، يحاســـبون على النقـــير والقطمـــير، ويحسـدون على القليـل والكثـير، ويحرضـون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغـات والبهتـان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سـخطوا فبـاطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وبـاطنهم ذئـاب، هـذا مـا قطع بـه المشـاهدة في أكـثرهم إلا من عصـمه الله عز وجل فصـحبتهم خسـران، ومعاشـرتهم خذلان، هذا حكم من يظهر لك الصداقة، فكيف من يجاهرك بالعداوة، فاحـذر من عـدوك مـرة، واحـذر من صـديقك ألـف مـرة، فلربمـا انقلب الصديق عدوا، فكان أعرف بالمضرة، وكن كمـا قال هلال بن العلاء الرقي:

لمـا عفـوت ولم أحقـد على أحـد=أرحت قلبي من هم العداوات

إِني أُحيي عَدوي عِنـدَ رُؤيَتِـهِ=لأَدفَـعَ الشَـرَ عَني بِالتحياتِ

وَأُظهَر البَشَر لِلإِنسانِ أَبغُضُهُ=كَأَنـه قَـد مَلا قَلبى مَسراتِ

وَلسَـت أَسلَمَ مِمَن لَسـتَ أَعرِفُـهُ=فَكَيـفَ أَسلَم مِن أهلِ المَوَداتِ

الناسُ دَاء دَواءِ الناسِ تَركُهُم=وَفي الجَفـاءِ لَهُم قطعُ الأخواتِ

فخالط الناسَ وَاصـبِر مـا بُقيت لهم=أصَـمٌ أبكَمٌ أعمى ذا تقيات

وسـالم النـاس تسـلم من غـوائلهم=وكن حريصا على كسب المروءات

لا تغتر بصديق أنت ممحصه=وخفه خوفك من ذي القذر والملق
إن الزلال وإن أنجاك من غصص=دأبا فربما أرداك بالشرق
ومما يستجاد من محاسن شعر أبي سعيد المؤيد بن محمد الأندلسي قوله:
إحذر مودة ماذق=مزج الحرارة بالحلاوة
يحصي الذنوب عليك=أيام الصداقة للعداوة
قال القلشاني: ومما يذكر أنه لما توفي الغزالي رضي الله عنه وجدت تحت رأسه رقعة مكتوب فيها:
قد كنت عبدا والهوى مالكي=فصرت حرا والهوى خادمي
وصرت بالوحدة مستأنسا=من شر أصناف بني آدم
ما في اختلاط الناس خير ولا=ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلا=عذري منقوش على خاتمي
فوجدنا على خاتمه ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾. اهـ.
وقال بعض الشيوخ: لي منذ عشرين سنة أو أكثر أطلب صديقا إذا غضب عليَّ لا يقول في إلا الحق فلم أجده.

وقال لقمان لابنه: ثلاثة لا تعرف إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة.

وقال الشاذلي رضي الله عنه: أوصاني أستاذي رحمه الله فقال: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم، واصحب من إذا ذكر ذكر الله فالله يغني به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد، ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب.

وقال بعضهم: لا تصحب إلا من لا تنقص عنده بالجفاء ولا تزيد بالوفاء، وأنت عنده سواء.

وقال سهل التستري رضي الله عنه: احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

إذا ما المرء أخطأه ثلاثة=فبعه ولو بكف من رماد

سلامة صدره وصدق فيه=وكتمان السرائر في الفؤاد

وقال في لطائف المنن: المحبة مراتب أربع: الحب لله، وهو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه؛ والحب في الله أن تحب فيه من والاه؛ والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه؛ والحب من الله أن يأخذك من كل (شيء) فلا تحب إلا إياه.

وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب في الله أن تحب من لم يحسن لك بدنيا من أهل الطاعة والخير، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث (الحظ) بنور الله مقهورا، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا.

قال الشيخ أبو الحسن: من أحبَّ الله وأحب لله فقد تمت ولايته، والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته. اهـ.

قال محمد بن داود الرضا: قلت للدقاق رحمه الله من أصحب؟ قال: من يعلم منك ما يعلمه الله ثم تأمنه على ذلك. اهـ.

قال العارف ابن أبي جمرة رضي الله عنه: وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**النَّاسُ كَشَجَرَةٍ ذَاتِ جَنًى وَيُوشِكُ أَنْ يَعُودُوا كَشَجَرَةٍ ذَاتِ شَوْكٍ**». اهـ.

إذا أنت مع شخص جلست ولم تجد=جلوسك ينمى فاجتنبه وفارق

فلا تصحب الأضداد واختر مصاحبا=يفيدك جمع الكل من غير عائق

وهنا انتهى الجزء الأول، ويتلوه إن شاء الله الثاني من رسالة الترغيب والترهيب، لمقيده محمد العربي بن إدريس العلمي اللحياني، جعله الله خالصا لوجهه، ومنه الإعانة على إتمامه، وغفران الذنب له ولشيخه، بل

ولأشـــياخه ولجميـــع المسـلمين والمسلمات، والمؤمنين المؤمنـات، الأحيـاء منهم والأمـوات،
**وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِـقَ وَالْـخَاتِمِ لِمَـا سَـبَقَ نَاصِـرِ الْـحَقِّ بِالْــــحَقِّ وَالْـــــهَادِي إِلَى صِــــرَاطِكَ الْـــمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِــهِ حَــقَّ قَــدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ.**